البيان

في فضل الإسلام

ونبيّه العدنان ﷺ

نخبة كبيرة من أقوال علماء الغرب
في فضل الإسلام ومدح نبيّه ﷺ

جمع وترتيب

جمال بن محمد بن محمود

دار الكتب العلمية®
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKi
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales@al-ilmiyah.com baydoun@al-ilmiyah.com

Title : **MERIT OF ISLAM AND PROPHET MOHAMMAD**

Classification: Preaching
Author : Jamāl Muḥammad Maḥmūd
Publisher : Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah
Pages : 256
Size : 17*24
Year : 2011
Printed in : Lebanon
Edition : 1st

الكتاب : البيان في فضل الإسلام ونبيه العدنان ﷺ

التصنيف : دعوة
المؤلف : جمال محمد محمود
الناشر : دار الكتب العلميـــة - بيروت
عدد الصفحات : 256
قياس الصفحات: 24*17
سنة الطباعة : 2011
بلد الطباعة : لبنـــان
الطبعة : الأولى

Exclusive rights by © **Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah** Beirut-Lebanon No part of this publication may be translated,reproduced,distributed in any form or by any means,or stored in a data base or retrieval system,without the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à © **Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah** Beyrouth-Liban Toute représentation,édition,traduction ou reproduction même partielle,par tous procédés, en tous pays,faite sans autorisation préalable signée par l'éditeur est illicite et exposerait le contrevenant à des poursuites judiciaires.

جميع حقوق الملكية الادبية والفنية محفوظة لدار الكتب العلمية بيروت-لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأ أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله - رب العالمين - نحمده ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عِمرَان: ١٠٢] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النّساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله - تعالى - وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد

إن الإسلام دين الحق ومنهج الحق، وحاول أعداؤه النيل منه، والقضاء عليه ففشلوا فشلاً ذريعًا، وكبدوا أنفسهم ذل الهزيمة والانكسار.

نعم أخي الحبيب

فقد خاض الإسلام حربًا ضد التآمر في جزيرة العرب فانتصر الإسلام وانهزمت الوثنية، خاض الإسلام حربًا ضد التآمر اليهودي علىٰ طول التاريخ من أول بني قينقاع وبني النضير إلىٰ يهود هذه الأيام.

وانتصر الإسلام، وهو يحقق اليوم انتصارات علىٰ يهود هذه الأيام.

آخر ذلك هزيمة اليهود علىٰ أرض لبنان، وخاض الإسلام حربًا ضد التآمر الصليبي من أول اليرموك وحطين دامت تسع قرون، وانتصر الإسلام، إلىٰ الحروب الصليبية الجديدة بقيادة بوش الأمريكي الصليبي، والزعامة الروحية لبنديكت

السادس بابا الفاتيكان، والذي بأقواله الأخيرة يعطي إشارة خفية لجند الصليب لإعلان حرب صليبية جديدة، وأبشره بهزيمة أخرى علىٰ أرض الإسلام، وبشائر النصر قد لاحت علىٰ أرض لبنان والعراق وأفغانستان.

نعم .. فالحق ظاهر لا محالة، وصراع الحق مع الباطل حتمي.

أما نحن فنؤمن بقول الله تعالىٰ: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الأنبياء: ١٨] .

ونؤمن بقوله تعالىٰ: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء: ٨١].

نعم أخي القارئ .....

الإسلام دين العدالة والحق والرحمة والهدى والإنسانية في أرقى صورها وأبهاها...

علَّم العالم وخاصة الغرب الذي تنكر لفضل الإسلام معنى السماحة والحرية والعدل.

"متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا".

وهذا الكتاب الذي بين يديك أيها القارئ الكريم جمعت لك فيه عشرات الأقوال من علماء الغرب المنصفين الأمناء ليردوا علىٰ أكاذيب بابا الفاتيكان وضلالته، وشرطي في الكتاب أن يكون مقتصرًا علىٰ أقوال علماء الغرب، ليعلم بابا الفاتيكان والغرب الحق، وذلك بأن نرد عليهم بأقوال أعظم مؤرخيهم ومثقفيهم، فإن أنكروا أقوال هؤلاء الأفذاذ في الفكر الأوروبي والغربي، فقد حكموا علىٰ أنفسهم آنذاك بأنهم لا فكر عندهم ولا حضارة، وإن أقروا بأن هؤلاء المفكرين والعلماء لهم مكانة عندهم، فقد كذبوا أنفسهم، وهذه مقارعة الحجة بالحجة.

وأقول للبابا: إما أن تكون من أهل المعرفة فإليك أقوال عشرات من أهل المعرفة والثقافة والإنصاف، وإن كنت علىٰ الضد فإنا ندعوك إلىٰ أن تتعلم من جديد، وتقرأ التاريخ من جديد.

وأختم هذه المقدمة بتفصيل لما في الكتاب، فقد جعلته ثلاثة أبواب، **الباب الأول**: فيه تمهيد وثلاثة فصول، ففي التمهيد بينت فيه حقيقة واضحة جلية ألا وهي حقيقة ما يضمره الغرب للإسلام والمسلمين، وما يعدون من مكائد للإسلام والمسلمين.

والفصل الأول: دمروا الإسلام وأبيدوا أهله، وهذه حقيقة علاقة الغرب بالإسلام وديارِه.

الفصلان الثاني والثالث: رد علىٰ شبهة بابا الفاتيكان بأن الإسلام كله شر، وأنه انتشر بحد السيف.

والفصل الثاني: رد إجمالي عام.

والفصل الثالث: رد تفصيلي، وقد قسمت الفصل الثاني إلىٰ سبعة مباحث، وأودعت فيها عشرات الأقوال من مقولات علماء الغرب ومفكريه في مدح الإسلام ونبيه، موضحة أنه دين الحق المنقذ للبشرية.

وهذه المباحث السبعة:

الأول: كتاب الله - تعالىٰ - هداية للعالمين.

الثاني: منزلة النبي ﷺ وفضله عند علماء الغرب.

الثالث: الإسلام دين للعالمين جميعًا.

الرابع: دين الوسطية والاعتدال.

الخامس: دين العقل والإقناع.

السادس: دين الحضارة والمعرفة والمدنية.

السابع: دين فيه إنقاذ البشرية.

أما الباب الثاني: "هل يخفى القمر"، ففيه عشرات الأقوال والحقائق المضيئة، والتي ذكرها عقلاء الغرب في منزلة نبي الإسلام وقدره، ومنزلة وعظمة شرعته، وهو باب ممتع، أخذناه من شيخنا الشيخ سيد العفاني، باب تتجلى فيه حقائق هامة للرد علىٰ المخالف، ففيه من الحجج الدامغات الكثير.

أما الباب الثالث: نظم الجهاد والحرب في الإسلام.

أودعت فيه كل ما أوصت به شريعة الإسلام في الحرب، واتضح جليًا من هذا الباب أن حروب الإسلام حروب رحمة وعدل، لم تكن للاعتداء بل لرد العدوان، ودفع ظلم الطواغيت عن البشر، ورفع لواء الحرية، وليختار الناس ما شاءوا بعد ذلك.

وهو عبارة عن تمهيد وخمسة فصول.

وختامًا أقول:

قالوا لنا غرب فقلت صناعة ... وسياحة ومظاهر تغرينا
لكنه خاو من الإيمان لا ... يرعى ضعيفًا أو يسر حزينا
الغرب مقبرة المبادئ لم يزل ... يرمي بسهم المغريات الدينا
الغرب مقبرة العدالة كلما ... رفعت يدًا أبدى لها السكينا
الغرب يكفر بالسلام وإنما ... لسلامة الموهوم يستهوينا
فالغرب يحمل خنجرًا ورصاصة ... فعلام يحمل قومنا الزيتونا
كفر وإسلام فأنى يلتقي ... هذا بذاك أيها اللاهونا
أنا لا ألوم الغرب في تخطيطه ... لكن ألوم المسلم المفتونا
وألوم أمتنا التي رحلت على ... درب الخضوع ترافق التنينا

وأقول: ألا عودوا يا مسلمين فالنصر آت يا غافلينا.

وبعد أخي . . . هذا جهد العبد الضعيف الطامع في عفو ربه - جل وعلا - وأسأل الله - تعالى - أن يرحمنا بما كتبنا، وأن يكون بيانًا شافيًا جليًا واضحًا لكل ذي عقل ولب، وأختم بأني حينما ذكرت أقوال علماء الغرب، وجعلته شرطي إنما يكون ذلك كالسيف القاطع علىٰ بابا الفاتيكان، فمن ألسنة الغرب نجيب ونبين أن ما ذكره كذبًا واضحًا متعمدًا.

أما علماؤنا الكرام فقد أبدعوا في الرد علىٰ هؤلاء، وفندوا أكاذيبهم، وإنما لم أذكر أقوالهم وأبحاثهم لما ذكرت لك سابقًا.

وسميت الكتاب "**البيان في فضل ومنزلة شريعة الإسلام ونبيه العدنان ﷺ نخبة كبيرة من أقوال علماء الغرب في فضل الإسلام ومدح نبيه**".

وأسأل الله - تعالىٰ - أن يقبل هذا العمل وأن يجعله في ميزان الحسنات، وأن يغفر لي به الزلات، وأن نلقى حبيبنا يوم القيامة في نعيم الجنات.

إنه ولي ذلك والقادر عليه.

كتبه
أبو عبد الرحمن
جمال بن محمد بن محمود
كاتب إسلامي

الباب الأول

المكائد الصليبية والدولية علىٰ العالم الإسلامي

نعم أيها القارئ الحبيب، إنها مكائد تخاط خيوطها وتبنى قلاعها بالليل والنهار، ويوضع لها أموال طائلة، والغاية إبادة هذا الدين وتنصير المسلمين، أو جعلهم أمة لا قيمة لها، تسير سيران الأعمى، وتفكر بعقلية العبد الذي لا يتحرك إلا وفق إشارة سيده.

وقد يقول القائل: أنتم غارقون في هذه النظريات وهي غير موجودة.

أقول له: نحن نعلم يقينًا ما يحاك لهذه الأمة المسلمة، وأستهل هذا المقام بقول يؤكد أنها معركة دائمة قائمة لا ينطفئ لهيبها.

يقول القسيس (لبسيوس) وهو أحد كبار مؤسسي الإرساليات التبشيرية:

"إن نار الكفاح بين الصليب والهلال لا تتأجج في البلاد النائية ولا في مستعمراتنا، بل ستكون في المراكز التي يستمد الإسلام منها قوته " [(١)].

وأثني هنا بقول أحد مؤرخي التبشير والاستعمار وهو (ويجوفارا) قال:

"إن الخطة للقضاء علىٰ الدولة العثمانية الإسلامية قد بدأت عشية انتهاء الحروب الصليبية عام ١٢٩١ م [٦٩٠هـ] واستمرت حتى حققت أهدافها عام ١٩١٨م . إن أصل العداوة المزمنة التي يشعر بها الأوروبيون للأتراك راجعة إلىٰ العداء الشديد الواقع بين النصرانية والإسلام " [(٢)].

وإليك أخي القارئ الخطوط العريضة في تحرك العداء الغربي تجاه الإسلام، والأصول التي تحركوا عليها، وهي في الحقيقة معركة شرسة مع الغرب بدأت من تسعة قرون، واتخذت ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى:

عن طريق الحروب الصليبية في حملات متصلة ؛ فقد خرجت جحافل الفرسان

---

(١) الغارة علىٰ العالم الإسلامي (لبسيوس) ترجمة محب الدين الخطيب .

(٢) المصدر السابق، وكتاب اليقظة الإسلامية (أنور الجندي) .

الأوربية في تسع حملات اتجهت إلىٰ العالم الإسلامي ميممة شواطئ تركيا والشام وفلسطين ومصر والمغرب، منذ عام ١٠٩٨م حتى عام ١٢٥١ م ثم كانت حملة المغرب عام ١٢٧١ م.

المرحلة الثانية:

على إثر قيام الدولة العثمانية في تركيا، واستهدفت القضاء علىٰ الإسلام في الأندلس وإجلاء العرب المسلمين منذ عام ١٤٩٠م حتى عام ١٦١٠ م حيث حققت إجلاء العرب عن أسبانيا، وكل هذه الحملات والمراحل بمباركة بابوية من الفاتيكان، وأن الفاتيكان قاد الدعم الروحي والمادي لهؤلاء جميعًا.

المرحلة الثالثة:

بالقضاء علىٰ الدولة العثمانية، وقد بدأت المعركة علىٰ إثر هزيمة الأتراك في معركة (سان جوتارد) في حصار فيينا عام ١٦٦٨ م وهي المعركة الكبرى التي امتدت حتى قضت علىٰ الإمبراطورية العثمانية ١٩١٧ م [١].

المرحلة الرابعة:

مكائد الاستشراق والتبشير والغزو الفكري لديار الإسلام:

وإجمالي القول فيها:

نشطت حركة الاستشراق في القرن الرابع عشر الهجري، وبخاصة بعد سقوط الخلافة العثمانية نشاطًا ملحوظًا.

وتتلخص حركة الاستشراق هذه بأنها إحدى المحاولات والأساليب التي اعتمدها الغرب عبر العديد من مؤسساته وعلمائه للقضاء علىٰ الإسلام، وإلقاء الكثير من المفتريات والأباطيل في محيط الإسلام وفكره وتاريخه، تحت مظلة البحث العلمي [٢].

ولعل أهم ما ركز عليه المستشرقون هو الإسلام والنبي محمد ﷺ فمنهم مدلسو الرأي عندما يتعرضون لتاريخ العالم القديم، فإذا بلغوا مرحلة الإسلام بدا التحريف والافتراء والكذب علىٰ الدين.

---

(١) الفكر الإسلامي والثقافة المعاصرة (معالم تاريخ الإسلام) ، والإسلام وتاريخ الحضارة ، أنور الجندي .

(٢) فتحي يكن : كتاب "العالم الإسلام والمكائد الدولية" (٥٥، ٥٦، ٥٧) .

وألخص جملة الشبه المتكررة والمعادة والمختلفة الصياغة، والتي ألقاها جميع أعداء هذا الدين علىٰ لسان أحدهم وهو مرجليوث، وهو أشد عداءًا وحقدًا:

قالوا:

١- محمد مجهول الأب، وثنيًا قبل الهجرة.

٢- القرآن كتاب وضعه محمد، وأنه حُرِّف وبُدِّلَ بعد النبي، وإن التوراة والإنجيل مُقَدَّسَيْن وأن القرآن غير مقدس.

٣- الدين الإسلامي مخترع وملفق.

٤- اللغة العربية لا تصلح لشيء، وهي لغة قديمة قد ماتت ولا يُتَكَلَم بها.

٥- انتشار الإسلام بالحرب وحدِّ السيف.

تلك هي أباطيل وأكاذيب المعاندين للإسلام الذين امتلأت قلوبهم حقدًا، فعميت عقولهم وصاروا عبيدًا لهذا الهوى والحقد فسال من أقلامهم وألسنتهم الكذب.

وقد انضم باب الفاتيكان (بنديكت السادس) إلىٰ هذه القافلة الحمقاء المسعورة، وأخرج كلمات حاقدة مسمومة، وسار له لسان سليط، وكشف عن حقيقة وجهه وما في قلبه.

ومئات الألوف المحشودة أمامه تصفق.

نعم . . فالكفر كله ملة واحدة.

قال:

"إن الله في العقيدة الإسلامية مطلق السمو، ومشيئته ليست مرتبطة بأي من مقولاتنا، ولا حتى بالعقل".

ثم ذَكَّرَ البابا الحاضرين بمقولة إمبراطور بيزنطي صليبي حارب المسلمين في حوار مع فارسي مثقف، وراح البابا يردد بلسانه قائلاً: يقول الإمبراطور لمثقف: "أرني ما الجديد الذي جاء به محمد ؟ لن تجد إلا أشياء شريرة وغير إنسانية ؛ مثل أمره بنشر الدين الذي كان ينشره بحد السيف".

وسيكون الرد - إن شاء الله - قاطعًا واضحًا كنور الشمس علىٰ ألسنة علماء الغرب المنصفين والأمناء، والذين احترموا عقولهم وأنفسهم داخل ثنايا الكتاب علىٰ هذه الأكاذيب.

إنما يشغل البال هنا أمور:

الأول: أنه لم يكتف بنقل لحاقد صليبي إمبراطور قاتل للمسلمين.

إنما لم يوضح لنا وينقل لنا رد المثقف الفارسي علىٰ الإمبراطور.

الثاني: عندما أراد الاعتذار اتهم جميع المسلمين في كل مكان بالغباء وعدم الفهم، وقال إنهم لم يفهموا ما أردت أن أقول.

الثالث: لم يعقب علىٰ كلام ذلك الإمبراطور البيزنطي حتى نحسن به الظن كما يريد هو منا ذلك.

الرابع: أنها كانت محاضرة مكتوبة ومراجعة من جميع أساقفة الفاتيكان، فإما أنهم كانوا راضين، وإما أنهم كانوا مغيبين في نار الحقد علىٰ ذلك الدين العظيم.

إذًا لم تكن مقولة ارتجالية، أو قولاً عفويًا، وحتى إن كانت مقولة ارتجالية فلا عذر له ولا لهم.

الخامس: لم يكتف البابا بذلك بل عرض علىٰ الحاضرين ذلك الإرث الروحي القديم بين اليهودية والنصرانية، والمتجذرة في وعود الرب الأبدية.

وأقول في خاتمة هذا التمهيد آيات من كتاب الله - تعالى - تبين أن هذا الكلام قديم معاد، وقد وضحه الله في كتابه، فانتبه أخي المسلم لكلام رب العالمين:

يقول تعالىٰ:

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة: ٥١].

أليس هذا هو نفس المعنى الذي قاله بابا الفاتيكان بالإرث الروحي بين اليهود والنصارى، وأن الرب بارك ذلك ؟

ويقول تعالىٰ:

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف ٨، ٩].

ويقول تعالىٰ:

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ﴾ [البقرة: ١٢٠].

ويقول تعالىٰ:

﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البَقَرَة: ٢١٧] .

لكن أقول لإخواني المسلمين في كل مكان قول الله تعالىٰ:

﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨] .

وأختم لإخواني المسلمين ببشرى ووعد من الله ووعد من رسوله ﷺ.

أما البشرى في كتاب الله - تعالى - يقول سبحانه:

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النُّور: ٥٥] .

وأما الأحاديث فكثيرة . . . . .

منها ما رواه النبي ﷺ من حديث شداد بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله زوى - أي جمع وضم - لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها»** (١).

ومنها قوله ﷺ:

«ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر (٢) **ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل ؛ عزًا يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل به الكفر»** (٣).

بل أقول هدية لكل مسلم يفرح بها وستصيب بابا الفاتيكان وأتباعه بالهم والحزن والنكد، وهي حديث النبي ﷺ.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٨/ ٧١) وأبو داود (٤٢٥٢) والترمذي (٢/ ٢٧) ، وابن ماجه (٢٩٥٢) ، وأحمد في المسند (٥/ ٢٧٨، ٢٨٤) .

(٢) المدر: البيوت التي تبنى بالحجارة .

(٣) رواه ابن حبان في صحيحه (١٦٣١، ١٦٣٢) وصححه الألباني .

فيه زوال الفاتيكان، وفيه علو راية الإسلام علىٰ أوروبا والعالم وإيطاليا.

عن أبي قبيل قال: " كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص، وسئل: أي المدينتين تفتح أولاً؛ القسطنطينية أو رومية ؟ فدعا عبد الله بصندوق له حِلَقٌ قال: فأخرج منه كتابًا، قال: فقال عبد الله: بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب إذ سئل رسول الله ﷺ: أي المدينتين تفتح أولا؛ القسطنطينية أو رومية؟ فقال رسول الله ﷺ: «**مدينة هرقل تفتح أولاً**» يعني القسطنطينية[1].

وقد تحقق وعد رسول الله ﷺ الأول، وإنا معاشر الإسلام مصدقون ومؤمنون بحدوث الوعد الثاني وهو فتح رومية.

(١) رواه أحمد (٢/ ١٧٦) ، والدارمي (١/ ١٢٦) ، وابن أبي شيبة (١٢ / ٤٧، ١٥٢) في المصنف ، والحاكم (٣/ ٤٢٢)، (٤/ ٥٠٨) ، وصححه الألباني رقم (٣) في الصحيحة .

الفصل الأول

قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله.

نعم أخي القارئ . . . .

هذا شعار الغرب، وهذا ما يضمر الغرب للإسلام وأهله [١].

وسأنقل لك العديد والعديد من مقولات حكام الغرب وبعض كبار قادته ومفكريه، والذين لم يكتفوا بالتخطيط والتفكير، وإنما بالتحرك العسكري، وما أدل علىٰ ذلك من الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي في العصر الحديث.

إذًا. . . أقول للغافلين من المسلمين: نحن لا نتوهم نظرية المؤامرة أو عداء الغرب لنا.

وذلك لأن المؤامرة قد أحيكت بالفعل، وبدأ التحرك من عشرات السنين علىٰ جميع الأصعدة العسكرية والاقتصادية والفكرية والتكنولوجية.

القول الأول:

آيوجين روستو: رئيس قسم التخطيط في وزارة الخارجية الأمريكية، ومساعد وزير الخارجية، ومستشار الرئيس جونسون لشؤون الشرق الأوسط عام ١٩٦٨م يقول:

يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول وشعوب ؛ بل هي خلافات بين الحضارة الإسلامية والمسيحية . لقد كان الصراع محتدمًا ما بين المسيحية والإسلام منذ القرون الوسطى، وهو مستمر حتى هذه اللحظة ومنذ قرن ونصف خضع الإسلام للتراث المسيحي . إن الظروف التاريخية تؤكد أن أمريكا إنما هي جزء مكمل للعالم الغربي وفلسفته وعقيدته ونطاقه، وذلك يجعلها تقف معادية للعالم الشرقي الإسلامي، وأن قيام إسرائيل هو جزء من هذا المخطط، وأن ذلك ليس إلا استمراراً للحروب الصليبية [٢].

وهنا أذكرك أيها القارئ الكريم بقول الصليبي جورج بوش حينما خرج علىٰ العالم كله وقال: هي حرب صليبية جديدة.

(١) هذا كتاب مهم لجلال العالم ، وقد لخصنا منه هذا الفصل .

(٢) معركة المصير (٨٧/ ٨٤) .

القول الثاني:

الفرنسيون ماذا قالوا:

الجنرال غورو عندما تغلب علىٰ جيش ميسلون خارج دمشق توجه فورًا إلىٰ قبر صلاح الدين الأيوبي عند الجامع الأموي وركله بقدمه وقال: ها قد عدنا يا صلاح الدين [١].

القول الثالث:

فرنسي أيضًا هو "مسيو بيدو": وزير خارجية فرنسا عندما زاره بعض البرلمانيين الفرنسيين وطلبوا منه إنهاء الحرب في مراكش.

قال لهم: إنها معركة بين الهلال والصليب [٢].

القول الرابع: راندولف تشرشل الفاشي المعروف قال بعد هزيمة ١٩٦٧ م وسقوط القدس.

قال: كان إخراج القدس من سيطرة الإسلام حلم المسيحيين واليهود علىٰ السواء، إن سرور المسيحيين لا يقل عن سرور اليهود، إن القدس خرجت من يدي المسلمين. وقد أصدر الكنيست اليهودي قرارًا بضمها إلىٰ القدس اليهودية ولن تعود أبدًا إلىٰ المسلمين والعرب [٣].

القول الخامس:

شعارات اليهود يوم دخلوا القدس:

تجمهر الجنود حول حائط المبكى المزعوم، وأخذوا يهتفون مع موشى ديان:

هذا يوم بيوم خيبر

يا لثارات خيبر

حطوا الشمس علىٰ التفاح

---

(١) القومية والغزو الفكري (٨٤).

(٢) مآساة مراكش. روم رولاند (٣١٠).

(٣) راندولف تشرشل "حرب الأيام الستة" (ص١٢٩).

دين محمد ولى وراح

محمد مات خلف بنات[١].

أقول لهم:

يا ماشية اليهود، والغرب الحاقد، محمد ﷺ لم يمت، وإن غدًا لناظره قريب، وهزائم اليهود في عام ١٩٧٣م علىٰ يد الجيش المصري، وآخر ذلك أربع هزائم علىٰ أرض لبنان من عام ١٩٨٢ م إلىٰ ٢٠٠٦ م لهي مبشرات الخير.

وأقول لهم:

إن أبناء محمد ﷺ ليوث، أسود، رجال ؛ ولكن كل شيء عند الله بمقدار، وسوف ترون يا ماشية اليهود وأعوانكم من الغرب الحاقد أن عزَّ الإسلام قادم.

القول السادس:

جان بول سارتر:

والذي يضحكون علينا ويطلقون أنه من الفلاسفة الخيرين في عام ١٩٦٧ م خرج بمظاهرات يجمع التبرعات لليهود، وكتب علىٰ صناديق كبيرة لهذه التبرعات: قاتلوا المسلمين، وقد تبرع الفرنسيون أيضًا، وجمعوا ألف مليون فرنك خلال أربعة أيام[٢].

والعجيب بعد ذلك أن يقول بعض الدعاة الجدد والمتساهلين: إن الغرب لا يعرفون الإسلام . أقول هذا الرد، وصدق الله - تعالى - حين قال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦] .

القول السابع:

لورنسبراون:

إن الإسلام هو الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوربي[٣].

---

(١) الشعب والأرض (١/ ٣٤) دروس من النكبة .

(٢) طريق المسلمين إلىٰ الثورة الصناعية (٢٠، ٢١) .

(٣) التبشير والاستعمار (١٨٤) .

القول الثامن:

غلادستون رئيس وزراء بريطانيا سابقًا، قال:

ما دام هذا القرآن موجودًا في أيدي المسلمين فلن تستطيع أوربا السيطرة على الشرق [١].

القول التاسع:

الحاكم الفرنسي في الجزائر في ذكرى مرور مائة سنة على استعمار الجزائر قال: إننا لن ننتصر على الجزائريين ما داموا يقرؤون القرآن ويتكلمون العربية، فيجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم، ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم[٢].

القول العاشر:

المبشر أشعيا يومان:

إن القوة الكامنة في الإسلام هي التي وقفت سدًا منيعًا في وجه انتشار المسيحية، وهي التي أخضعت البلاد التي كانت خاضعة للنصرانية، ولم يتفق قط أن شعبًا مسيحيًا دخل الإسلام ثم عاد نصرانيًا [٣].

القول الحادي عشر:

المستشرق غاردنز:

إن القوة التي تكمن في الإسلام هي التي تخيف أوربا [٤].

القول الثاني عشر:

البير تشاردور:

من يدري ؟ ربما يعود اليوم الذي تصبح فيه بلاد الغرب مهددة بالمسلمين ؛ يهبطون من السماء لغزو العالم مرة ثانية وفي الوقت المناسب [٥].

(١) الإسلام على مفترق الطرق ، محمد أسد (٣٩) .
(٢) المنار عدد (٨٩/ ١١/ ١٩٦٢) .
(٣) جريدة الكفاح الإسلامي (لعام ١٩٥٥) العدد الثاني .
(٤) التبشير والاستعمار (ص ٣٦) .
(٥) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي (١٨) .

ويقول في موضع آخر: لست متنبئًا، لكن الأمارات الدالة علىٰ هذه الاحتمالات كثيرة، ولن تقوى الذرة ولا الصواريخ علىٰ وقف تيارها.

القول الثالث عشر:

أنطوني ناتنج في كتابه " الغرب " يقول:

منذ أن جمع محمد أنصاره في مطلع القرن السابع الميلادي، وبدأ أول خطوات الانتشار الإسلامي، فإن العالم الغربي يحسب حساب الإسلام كقوة دائمة وصلبة تواجهنا عبر المتوسط [١].

القول الرابع عشر:

سالازر، قال:

إن الخطر الحقيقي علىٰ حضارتنا هو الذي يمكن أن يحدثه المسلمون حيث يغيرون نظام العالم. فلما سأله أحد الصحفيين: لكن المسلمين مشغولون بخلافاتهم ونزعاتهم !! أجابه: "أخشى أن يخرج منهم من يوجه خلافاتهم إلينا" [٢].

القول الخامس عشر:

(دمروا الإسلام)

قاله غاردز: إن الحروب الصليبية لم تكن لإنقاذ القدس ؛ إنما كانت لتدمير الإسلام [٣].

نشيد الاستعمار:

"أنا ذاهب أسحق الأمة الملعونة، لأحارب الديانة الإسلامية ولأمحو القرآن بكل قوتي".

---

(١) الولايات المتحدة ، وليم بولك (٤٢) .

(٢) جند الله (٢٢) .

(٣) استبعاد الإسلام (٤٤) .

قاله: فيليب فونداس

إن من الضروري لفرنسا أن تقاوم الإسلام في هذا العالم، وأن تنتهج سياسة عدائية للإسلام، وأن تحاول علىٰ الأقل إيقاف انتشاره [١].

القول السادس عشر:

المستشرق الفرنسي كيمون في كتابه " باثولوجيا الإسلام "

وقبل أن أبدأ أنقل أقواله، فإن أقل وصف يقال عليه فإنه مملوء بحقد وضيق قد ملأ قلبه، وجنون ملأ عقله.

يقول: إن الديانة المحمدية جذام تفشى بين الناس، وأخذ يفتك بهم فتكًا ذريعًا، بل هو مرض مريع وشلل عام وجنون ذهولي يبعث الإنسان علىٰ الخمول والكسل، ولا يوقظه من الخمول والكسل إلا ما ليدفعه إلىٰ سفك الدماء والإدمان ومعاقرة الخمور وارتكاب جميع القبائح.

وما قبر محمد إلا عمودًا كهربائيًا يبعث الجنون في رؤوس المسلمين، فيأتون بمظاهر الصرع والذهول العضلي ... إلىٰ ما لا نهاية.

ككراهية لحم الخنزير والخمر والموسيقى.

إن الإسلام كله قائم علىٰ القسوة والفجور في اللذات.

ويتابع هذا المعتوه المجنون قوله:

أعتقد أن من الواجب إبادة خمس المسلمين والحكم علىٰ الباقي بالأشغال الشاقة، وتدمير الكعبة، ووضع قبر محمد وجثته في متحف اللوفر [٢].

أقول له: أنت مجنون معتوه وهكذا يكون الرد عليك.

وبعد أيها القارئ الكريم ....

نقلت لك أقوالاً كثيرة عن عداء الغرب وماذا يريد منا ؟ أبعد ذلك نحن

---

(١) التبشير والاستعمار (١١٥).

(٢) الاتجاهات الوطنية (١/ ٣٢١) والقومية والغزو الفكري (٩٢) والفكر الإسلامي الحديث (٥١).

واهمون؟!! أبعد ذلك نحن نحيا في نظرية للمؤامرة على الإسلام لا وجود لها ؟ أبعد ذلك يقول بعض الدعاة قليلي العلم إن الغرب لا يعرف الإسلام ؟! أفيقوا أيها المسلمون يرحمكم الله.

وآخر ذلك تصريحات بابا الفاتيكان بندكيت [١].

نعم علينا أن نعد العدة لعدو حاقد صليبي لا يرحم، ولا يعرف إلا لغة واحدة؛ ألا وهي الذود عن الإسلام وديارة.

❊ ❊ ❊

(١) وهذا موضوع الكتاب .

الفصل الثاني

إجابة إجمالية علىٰ سؤال: هل انتشر الإسلام بالحرب وحَدِّ السيف ؟

اعلم يرحمك الله أن الإسلام لم ينتشر بالسيف والحرب والقوة كما ادعى بعض أعدائه، ولكنه انتشر بالحجة والمنطق، وقوى البرهان والدليل والإقناع الهادئ، والحكمة والموعظة الحسنة . انتشر لأنه يصلح لكل زمان وعصر وجيل، وكل مكان في الشرق أو الغرب ؛ فهو لا يفرق بين إنسان وإنسان لاختلاف في اللون أو الجنس أو الثقافة أو اللغة أو الغنى أو الفقر.

ولو جرد المتعصبون أنفسهم من بعض التعصب، وقرؤوا التاريخ لعرفوا عن يقين أنه انتشر لأنه دين يقبله العقل السليم، يقبله المنطق المبني علىٰ الإقناع والدليل[1].

دين الفطرة السليمة.

دين الإنسانية والمساواة والحرية.

دين الأخوة والعدالة الاجتماعية.

دين التوحيد والوحدانية حديث يدعو إلىٰ عبادة الحق الواحد الأحد رب العالمين.

دين الرحمة والعفو والمغفرة.

دين التسامح واليسر، لا التعسف والعسر.

قد يقول قائل: هذا قولكم أنتم معاشر المسلمين، وهذا لا غرابة ولا عجب ؛ فكل يحب دينه ويصفه هكذا، ويمدحه من خلال إيمانه.

قلت لهذا السائل: تعالَ معي لنقرأ ونسمع من أقوال علماء الغرب والتاريخ، والأدباء غير المسلمين ما يؤكد ذلك.

---

(١) عظمة الإسلام للشيخ محمد عطية الأبرشي (٢/ ٧) .

ومن هؤلاء:

توماس كارليل:

كاتب وفيلسوف إنجليزي ومصلح اجتماعي (١٧٩٥ - ١٨٨١ م).

قال في كتابه «الأبطال والبطولة»:

إن من السخف الذي لا يفهم أن يتهم محمد أنه اعتمد على السيف في نشر دعوته، وكيف يعقل أن يشهر رجل وحيد سيفه ليقتل به الناس حتى يستجيبوا لما يدعو إليه ؟!! فإذا آمن به من يستطيعون محاربة خصومه فقد آمنوا به طائعين مختارين، مصدقين محمدًا، وقد تعرضوا للتعذيب والإيذاء والحرب من أعدائه قبل أن يقدروا على الحرب [١].

ومن هؤلاء:

*** غوستاف لوبون:**

العالم والمؤرخ الفرنسي المعروف.

قال في صدر كتابه " حضارة العرب ":

إن القوة لم تكن عاملاً في انتشار القرآن ما ترك العرب المغوليين أحرارًا في أديانهم، فإذا حدث أن اعتنق بعض الأقوام النصرانية الإسلام، واتخذوا العربية لغة فذلك لما رأوه من عدل العرب الغالبين مما لم يروا مثله من ساداتهم السابقين، ولما كان عليه الإسلام من السهولة التي لم يعرفوها من قبل، ولم ينتشر القرآن إذًا بالسيف؛ بل انتشر بالدعوة وحدها، وبالدعوة وحدها اعتنقته الشعوب التي قهرت مؤخرًا كالترك والمغول [٢].

وقال في موضع آخر:

أدرك الخلفاء السابقون الذين كان عندهم من العبقرية السياسية ما ندر وجوده في دعاة الديانات الجديدة أن النظم والأديان ليست مما يفرض قهرًا فعاملوا أهل كل قطر استولوا عليه بلطف عظيم، تاركين لهم قوانينهم ونظمهم ومعتقداتهم، غير

(١) عظمة الإسلام (٢/١٦، ١٧).

(٢) حضارة العرب (١٢٧، ١٢٨).

فارضين عليهم سوى جزية زهيدة في الغالب إذا قيست بما كانوا يدفعون سابقًا في مقابل حفظ الأمن بينهم، فالحق أن الأمم لم تعرف متسامحين مثل العرب ولا دينًا سمحًا مثل دينهم [١].

قلت: تدبر ذلك القول ففيه الكفاية، ولكن سأتجول معك في حضارة العرب، وأعدد لك أقوال غوستاف لوبون وغيره، فيكون الحق ناصعًا بينًا واضحًا.

يقول تحت عنوان " فلسفة القرآن " :[٢]

وتشتق سهولة الإسلام العظيمة من التوحيد الحق، وفي هذه السهولة سر قوة الإسلام، والإسلام إدراكه سهل خال مما نراه في الأديان الأخرى، ويأباه الذوق السليم، خاليًا من المتناقضات والغوامض، ولا شيء أكثر وضوحًا وأقل غموضًا من أصول الإسلام القائلة بوضوح: بوجود إله واحد

وبمساواة جميع الناس أمام الله

وببضعة فروض يدخل الجنة

ويدخل النار من يعرض عنها

وإنك أخي ما اجتمعت بأي مسلم من أية طبقة، رأيته يعرف ما يجب عليه أن يعتقده، ويسرد لك أصول الإسلام في بضع كلمات بسهولة، وهو بذلك على عكس النصراني الذي لا يستطيع حديثًا عن التثليث والاستحالة وما ماثلها من الغوامض، ومن غير أن يكون من علماء اللاهوت على دقائق الجدل.

وساعد وضوح الإسلام وما أمر به من العدل والإحسان كل المساعدة على انتشاره في العالم، ونفسر بهذه المزايا سبب اعتناق كثير من الشعوب النصرانية للإسلام ؛ كالمصريين الذين كانوا نصارى أيام حكم القياصرة، فأصبحوا مسلمين حين عرفوا أصول الإسلام، كما نفسر السبب في عدم تنصير أية أمة بعد أن رضيت بالإسلام دينًا، سواء كانت هذه الأمة غالبة أم مغلوبة.

قلت: يا أيها الغافل تدبر هذا النقل وما فيه من إنصاف وحق.

---

(١) حضارة العرب (١٢٩).

(٢) حضارة العرب (١٢٥) .

يتبين لك كذب وافتراء بابا الفاتيكان، وأعجب لرجل على رأس ملته يكون كذبه بهذه الوقاحة ؛ فهذا ما لا يليق بعاقل.

بل أسأل بابا الفاتيكان كيف يكون التثليث عندكم إله واحد، وإن كان المسيح ابن إله كما تدعون، فلماذا صلب ؟ أيقبل الأب أن يصلب ابنه ؟!!!

وانظر إلى هذه المقارنة الرائعة التي عقدها غوستاف لوبون ؛ قال:

وكانت الأمم الإغريقية الرومانية والآسيوية وقت ظهور محمد منذ زمن طويل، فلم يبق لحب الوطن وعبادة الآلهة أثر في نفوس أبنائها، وكانت الأثرة كل ما في قلوب هؤلاء الأبناء، والأثرة أخي كانت دليل قوم عجزوا عن مقاومة آخرين مستعدين للتضحية بأنفسهم في سبيل معتقداتهم، وقد استطاع محمد أن يبدع مثلاً عاليًا قويًا للشعوب العربية التي لا عهد لها بالمثل العليا، وفي ذلك الإبداع تتجلى عظمة محمد ﷺ على الخصوص [1].

(١) حضارة العرب (١٣٢) .

مبحث

نموذج لكذب أحد بابوات الفاتيكان

وهذه حقيقة لا مراء فيها ؛ أن جميع بابوات الفاتيكان أعداء للإسلام قد ملأ الحقد قلوبهم، والكذب ألسنتهم . وإليك هذا النموذج عن الوجود الإسلامي في صقلية مما يوضح كذب هؤلاء:

أولاً: وصف حال المسلمين الفاتحين لصقلية.

يقول غوستاف لوبون:

المشهد الأول:

وأن صقلية كانت حين جلاء العرب عنها أرقى ثقافة وصناعة واجتماعًا حين دخلوها، ونحن أخي علمنا أن قيمة تأثير إحدى الأمم في أمة أخرى من ناحية الحضارة تقدر بمقدار نهوضها بها وإصلاحها لها، وإنه كان للعرب تأثير عظيم في صقلية [١].

المشهد الثاني:

وترك لنصارى صقلية كل ما لا يمس النظام العام ؛ فكان للنصارى في زمن الروم قوانينهم المدنية والدينية، وحكام منهم للفصل في خصوماتهم وجباية الجزية منهم والتي فرضها العرب عليهم وهي ٤٨ دينارًا على كل غني، ٢٤ دينارًا على كل موسر، ١٢ دينارًا على كل من يكسب عيشه بنفسه، وكانت هذه الجزية التي هي دون ما كان يأخذ الروم ولا تؤخذ من رجال الدين والنساء والأولاد [٢].

المشهد الثالث:

وصفه غوستاف لوبون:

وسمح العرب في أيام سلطانهم بالمحافظة على قوانينهم وعاداتهم وحريتهم الدينية وقد روى الدومينيكي لزرادين -. وكان رئيسًا لدير القديسة كاترين في بلرم:

---

(١) حضارة العرب(ص٣٠٨، ٣٠٩، ٣٣٠) .

(٢) المصدر السابق (٣٠٩) .

أن القساوسة كانوا أحرارًا في الخروج لابسين حللهم الدينية ليناولوا الناس القربان الأقدس.

وقد روى الأب موركولي:

أنه كان ينصب في الحفلات العامة بتمسينة رايتان: إحداهما إسلامية وعليها صورة برج أسود في حقل أخضر، والأخرى نصرانية وعليها صورة صليب مذهب في حقل أحمر.

ولم يمس العرب الكنائس القائمة في صقلية حين فتحهم لها [١].

المشهد الرابع:

وصفه غوستاف لوبون:

الزراعة: ولم تكد أقدام العرب ترسخ في صقلية حتى أقبلوا علىٰ الزراعة والصناعة فانتشلوها بسرعة من الانحطاط الذي كانت فيه، وأدخلوا إلىٰ صقلية زراعة القطن وقصب السكر والزيتون، وأنشأوا فيها المجاري المعقوفة التي كانت مجهولة قبلهم [٢].

المشهد الخامس:

الصناعة: وتقدمت الصناعة في صقلية بفضل العرب، واستغل عرب صقلية ثروتها الطبيعية واستخرجوا منها الفضة والحديد والنحاس والكبريت والرخام والجرانيت ..... إلخ بأساليب فنية، وأدخلوا إليها صنع الحرير وما يرى في نور نبـرغ رداء من الحرير كان يلبسه ملوك صقلية مطرزاً بكتابات كوفية مع تاريخ سنة ٥٢٠هـ (١١٣٣م).

ويحمل كل شيء علىٰ القول بانتشار فن صباغة المنسوجات في أوربا من صقلية[٣].

المشهد السادس:

وصفه غوستاف لوبون:

التجارة: وانتعشت التجارة واتسع نطاقها أيام العرب بعد أن كانت صفراً تقريباً

---

(١) حضارة العرب (٣١٠).

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

قبلهم كما يدل علىٰ ذلك ما انتهى إلينا من جداول مكوسهم التي أدرجت فيما نظمه النورمان من القوائم في أوائل الفتح العربي[١].

قلت:

هذه مشاهد ست تبين لنا ماذا قدم الفاتحون الإسلاميون لأهل صقلية، وهذا بقلم أعظم مؤرخ أوربي وهو غوستاف لوبون، فقد رأت البلاد أيام الفتح الإسلامي لصقلية رحمة وعدلاً وحرية.

وما قلته سابقًا يعد دليلاً علىٰ كذب بابا صقلية حينذاك، كما سأنقل رسالته إلىٰ القيصر.

وإليك كتاب ليون التاسع، البابا حينئذ إلىٰ قيصر القسطنطينية، قال:

يكاد قلبي ينفطر من الأخبار المحزنة التي أنبأني بها ابني أرجيروس، فعزمت علىٰ تطهير إيطاليا من هؤلاء الأجانب المردة الأشرار الذين لا يحترمون شيئاً عند اندفاعهم، والذين يذبحون النصارى ويسومونهم أشد العذاب، غير راحمين، لا مفرقين بين الجنسين والأعمار، والذين ينهبون الكنائس ويحرقونها ويهدمونها، والذين يعدون كل شيء فريسة يباح سلبها[٢].

هذا كتاب بابا الفاتيكان ليون التاسع في زمنه، وكله كذب وافتراء؛ كذبه ذلك الوصف لأحوال أهل صقلية حينا كانوا تحت الحكم الإسلامي.

وهذا يبين حال العداء القائم في قلوبهم تجاه الإسلام وأهله.

وصدق الله تعالى حين قال: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البَقَرَة: ١٢٠].

وأختتم بنقل لغوستاف لوبون يدعم الفكرة العامة لهذا المبحث.

يقول: وإذا أراد المرء أن يتصور تأثير الشرق في الغرب وجب عليه أن يتمثل حال الحضارة التي كانت عليها شعوبهما المتقابلة.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) حضارة العرب (٣٠٤، ٣٠٥).

فأما الشرق:

فكان يتمتع بحضارة زاهرة بفضل العرب، وأما الغرب فكان غارقاً في بحر الهمجية، وقد ظهر من بياننا الوجيز عن الحروب الصليبية أن الصليبيين كانوا في سلوكهم وحوشاً ضارية، وأنهم كانوا ينهبون الأصدقاء والأعداء ويذبحونهم علىٰ السواء، وأنهم خربوا في القسطنطينية ما لا يُقَدَّر بثمن من الكنوز القديمة الموروثة عن اليونان والرومان [١].

أخي القارئ:

بهذه النقولات من كتاب "حضارة العرب" وضعت لك نموذجاً للعداء المستحكم في قلوب بابوات الفاتيكان . وأن الكذب ديدنهم[٢] علىٰ طول التاريخ، وأن الحقد الذي تمكن من قلوبهم دائم علىٰ طول التاريخ، ولن ينتهي أبداً، وأنهم ألبوا وقادوا الحروب الصليبية الوحشية باعتراف المؤرخين المنصفين من غير المسلمين، والبابا الحالي الذي كذب علىٰ الإسلام ونبيه ما هو إلا امتداد لذلك العداء، وذلك الحقد وتلك الحرب التي يتمنونها لإبادة الإسلام ولن يكون ذلك بإذن الله.

وبعد:

فهذا الفصل الأول فيه رد إجمالي علىٰ السؤال الذي طرحته: هل انتشر الإسلام بالحرب وحد السيف ؟

وأحيلك إلىٰ ما دوّن سابقاً، وإلى الفصل الثاني، الإجابة التفصيلية، وفيها كثير من أقوال علماء الغرب المنصفين، والتي ستكون كالصاعقة علىٰ الكاذب بابا الفاتيكان إن شاء الله تعالى.

* * *

(١) حضارة العرب (٣٣٤) .

(٢) ديدنهم : حالهم الدائم .

الفصل الثالث

الإجابة التفصيلية: هل انتشر الإسلام بالحرب وحد السيف ؟

وملخص الإجابة أننا سننقل عشرات الأقوال، والتي ستبين لك أيها القارئ الكريم أن الإسلام جاء لخير البشرية وإسعادها.

وستكون الإجابة من أقوال علماء الغرب، منهم من أعلن إسلامه، ومنهم من صدع بالحق، فكان منصفاً للحقيقة أن القرآن والإسلام هدى للعالمين، وستكون الإجابة في مباحث سبعة إن شاء الله تعالى، أردت بها تفصيلاً يقطع الشك باليقين، ويكون حقيقة دامغة على المعاندين والكاذبين، وأما من أراد الحق والإنصاف فالحقيقة بين يديه ناصعة جلية.

المبحث الأول: القرآن العظيم الحجة الدامغة.

المبحث الثاني: محمد النبي العظيم.

المبحث الثالث: عالمية الإسلام وشهرته.

المبحث الرابع: دين الوسطية والاعتدال.

المبحث الخامس: دين الفطرة والعقل والإقناع.

المبحث السادس: دين الحضارة ورفع شأن العلم والمدنية.

المبحث السابع: دين المستقبل المنقذ للبشرية.

وهذه المباحث جميعها ستكون قائمة على أقوال العلماء المنصفين الغربيين، وقد أسلم عدد كبير منهم كما سيأتي.

المبحث الأول

القرآن العظيم حجة دامغة

القول الأول: غوستاف لوبون:

«ولم ينتشر القرآن بالسيف إذًا بل انتشر بالدعوة وحدها؛ اعتنقته الشعوب التي قهرت العرب مؤخرًا كالترك والمغول، وبلغ القرآن من الانتشار في الهند التي لم يكن العرب فيها غير عابري سبيل، وما زاد معه عدد المسلمين علىٰ خمسين مليون نفس فيها، ويزيد عدد مسلمي الهند يوماً فيوم مع أن الإنجليز الذين هم سادة الهند في الوقت الحاضر يجهزون البعثات التبشيرية ويرسلونها تباعاً إلىٰ الهند لتغير مسلميها علىٰ غير جدوى»[١]

القول الثاني: غوستاف لوبون:

رأينا من آي القرآن كالتي ذكرناها آنفاً أن مسامحة محمد لليهود والنصارى كانت عظيمة للغاية، وأنه لم يقل بمثلها مؤسسوا الأديان التي ظهرت قبل كاليهودية والنصرانية علىٰ الخصوص، وسترى كيف صار خلفاؤه علىٰ سنته، وقد اعترف بذلك التسامح بعض علماء أوربة المرتابون أو المؤمنون القليلون الذين أمعنوا النظر في تاريخ العرب التي اقتطفتها من كتب الكثيرين منهم تثبت أن رأينا في هذه المسألة ليس خاصاً بنا.

قال روبرتسون في كتابه "التاريخ شارلكن":

"إن المسلمين وحدهم هم الذين جمعوا بين الغيرة لدينهم وروح التسامح نحو أتباع الأديان الأخرى، وإنهم مع امتشاقهم الحسام[٢] نشراً لدينهم تركوا من لم يرغبوا فيه أحراراً في التمسك بتعاليمهم الدينية".

وقال ميشود في كتابه: "تاريخ الحروب الصليبية":

"إن القرآن الذي أمر بالجهاد كان متسامحاً نحو أتباع الأديان الأخرى، وقد أعفى البطارقة والرهبان وحدهم من الضرائب، وحرم محمد قتل الرهبان لعكوفهم

---

(١) حضارة العرب (١٢٨).

(٢) الحسام: السيف.

علىٰ العبادات، ولم يمس عمر بن الخطاب النصارى بسوء حين فتح القدس، وقد ذبح الصليبيون المسلمين، وحرقوا اليهود بلا رحمة وقتما دخلوها".

وقال الراهب ميشود في كتابه "رحلة دينية في الشرق":

ومن المؤسف أن تقتبس الشعوب النصرانية من المسلمين التسامح الذي هو آية الإحسان بين الأمم واحترام عقائد الآخرين، وعدم فرض أي معتقد عليهم بالقوة[١].

القول الثالث: غوستاف لوبون في موضع آخر:

"إن القرآن قانون ديني وسياسي واجتماعي وأحكامه نافذة منذ عشرة قرون"[٢].

القول الرابع: لجان جاك روسو:

"من الناس منا من يتعلم العربية ثم يقرأ القرآن ويضحك منه، ولو أنه سمع محمدًا يمليه علىٰ الناس بتلك اللغة الفصحى الرقيقة، وذلك الصوت المقنع المطرب المؤثر في شغاف القلوب، ورآه يؤيد أحكامه بقوة البيان لخر ساجداً علىٰ الأرض، وناداه: أيها النبي رسول الله ؛ خذ بأيدينا إلىٰ مواقف الشرف والفخار، فنحن من أجلك نود الموت أو الانتصار" [٣].

القول الخامس: توماس كارليل:

"إن القرآن كتاب لا ريب فيه، وإن الإحساسات الصادقة الشريفة، والنيات الكريمة تظهر للأتراك بفضل القرآن، والذي هو أول وآخر فصل وجد في كتاب تبحث فيه عن جميع الفضائل علىٰ اختلافها، لا بل هو الكتاب الذي يقال عنه: الختام" [٤].

القول السادس: جيبون:

"القرآن مسلم به من حدود الأقيانوس الأطلانتيكي إلىٰ نهر الجانجس بأنه

(١) حضارة العرب (١٢٧، ١٢٨ ، ١٢٩) .

(٢) حضارة العرب (١٢٨) .

(٣) الفكر الإسلامي والثقافة الغربية المعاصرة ، أنور الجندي (١٩٤) .

(٤) الأبطال : توماس كارليل.

الدستور الأساسي ليس لأصول الدين فقط، بل للأحكام الجنائية والمدنية والشرائع التي عليها مدار نظام حياة النوع الإسلامي وترتيب شؤونه" [١]

القول السابع: هـ . ج ولز الكاتب الشهير:

"في القرآن أشياء كثيرة حسنة تكاد تهمل، فحبذا تجديد الحياة فيها، ناهيك أن القرآن هو عروة الإسلام الوثقى، أو هو على الأقل وسيلة يحسن استخدامها في تأكيد الرابطة الإسلامية، والعلوم الطبيعية [٢]" .

القول الثامن: أميل درمنجم:

"إنه لأجل حضارة إسلامية جديدة تضاهي حضارة السلف بل تفوقها يكون بالرجوع إلى القرآن والحديث فما تزال هذه التعاليم السامية حية نابضة متدفقة قوة وحكمة، فإذا استخدمها المفكرون فإنهم يقيمون بدورهم صرحاً يبعث من جديد حضارة إسلامية تتبوأ مكانها بين حضارات القافلة البشرية" [٣].

القول التاسع: أتينان دينيه:

"لقد حقق القرآن معجزة لا تستطيع أعظم المجامع العلمية أن تقوم بها، ذلك أنه مكن للغة العربية في الأرض، بحيث لو عاد أحد أصحاب رسول الله إلينا اليوم لكان ميسوراً له أن يتفاهم تمام الفهم مع المتعلمين من أهل اللغة العربية، وإن لغة القرآن وإن كانت نمت أصولها إلى عصور بعيدة قديمة فهي مرنة طَيِّعَة تُسع التعبير عن كل ما يَجدُّ من المستكشفات والمخترعات الحديثة دون أن تفقد شيئاً من رونقها وسلامتها" [٤].

القول العاشر: الدكتورة لورافيشيا فانجيليزي:

"إن معجزة الإسلام العظمى هي القرآن الذي ينقل إلينا الرواية الراسخة غير المنقطعة من خلال بناء يتصف بيقين مطلق، إنه كتاب لا سبيل إلى محاكاته؛ إن كلاً من تعبيراته شامل جامع، ومع ذلك فهو ليس بالطويل أكثر مما ينبغي، وليس

---

(١) الفكر الإسلامي (١٩٤) .

(٢) الفكر الإسلامي ، أنور الجندي (١٩٥) .

(٣) المصدر السابق .

(٤) المصدر السابق .

بالقصير، أما أسلوبه ففاصل فريد، إن آياته كلها علىٰ مستوى واحد من البلاغة، وهو ينتقل من موضوع إلىٰ موضوع من غير أن يفقد قوته، إننا نقع هنا علىٰ العمق والعذوبة معاً، وهما صفتان لا يجتمعان عادة، فكيف يمكن أن يكون هذا الكتاب المعجزة من عمل محمد، وهو العربي الأمي، وعلى الرغم من أن محمداً دعا خصوم الإسلام أن يأتوا بكتاب من مثل كتابه أو علىٰ الأقل بسورة من مثل سوره، فإن أحداً لم يتمكن من أن يأتي بأي أثر يضاهي القرآن، ولكنهم عجزوا عن مضاهاة السمو بالقرآن.

ذلك أن الكتاب إلىٰ جانب كماله من حيث الشكل والطريقة قد أثبت أنه ممتنع عن التقليد والمحاكاة حتى في مادته، فنحن نقرأ فيه ونقع علىٰ ثمة ذخائر واسعة من المعرفة تُعْجِزُ أكثر الناس ذكاء وأعظم الفلاسفة وأقدر رجال السياسة"[١].

القول الحادي عشر: إدوار مونتيه:

في مقدمة ترجمته للقرآن قال: "القرآن في الحقيقة هو ذو قيمة خارقة للعادة، فهو بين الكتب الدينية أعظمها شأناً".

وقال: "وتجد في القرن صفحات غاية في الإبداع سواء من جهة الفكر، وكذلك نجد فيه لآلي فريدة في علم الروح معروضة في آيات هي أعلى ما يمكن من الأسلوب، وهو أسلوب قائم بذاته".

وقال: "ومما يجعل للقرآن هذه الأهمية أنه كتاب دين الأمة الإسلامية التي تمثل في شرقي أوربا وفي العالم الآسيوي وفي ماليزيا وفي أفريقيا دوراً ليس مهمًا وحسب، بل دوراً ذا صلة شديدة بالأمم الغربية المسيحية، والذي يجعل للقرآن هذه الأهمية هو المستقبل المدخر للشعوب الإسلامية، وهذا لا يُنْكر أن مستقبلاً فخماً ينتظر هذه الشعوب"[٢].

القول الثاني عشر: د. أليسون بالمر عالم الجيولوجيا الأمريكي:

"إن القرآن الكريم بما يحتويه من حقائق وأسرار علمية لا يزال العقل يجهل بعضها ويعجز عن تفسير البعض الآخر إنما هو كتاب للماضي والحاضر والمستقبل،

---

(١) أنور الجندي، الإسلام تاريخ وحضارة (٢٥).

(٢) الفكر الإسلامي، أنور الجندي (١٣٠).

فهو كتاب القرن العشرين الذي ينبغي علىٰ العلماء أن يزيدوا من اهتمامهم به في المستقبل " وقد جاء هذا التصريح أثناء عقد المؤتمر الطبي العلمي الذي عقد بالقاهرة تحت عنوان: "الإعجاز الطبي في القرآن والسنة"[١].

القول الثالث عشر: باول شمنتز مؤلف كتاب: "الإسلام قوة الغد العالمية" قام بترجمته الدكتور محمد شامة:

"إن قوة القرآن في لمِّ شمل المسلمين، لم يصبها الوهن، ولم تنجح الأحداث التي مرت بالمسلمين في القرون الأخيرة في زعزعة ثقتهم به كقوة روحية، إن الروح الإسلامية ما زالت تسيطر علىٰ تفكير القادة ومشاعرهم، وستظل هناك ما دام ثمة شعوب إسلامية ربطت مصيرها بمصير الإسلام، وأعتقد أن الرباط الجامع بين أجناسها المختلفة هو الإسلام .. روح التعاطف والتوادد ".

ثم يوجه المؤلف تحذيراً لأوربا لمواجهة هذا العملاق الذي بدأ يصحو وينفض النوم من عينيه، فهل يسمع هذا النذير أحد ... هل من مجيب[٢].

القول الرابع عشر: نابليون بونابرت، إمبراطور فرنسا وقائدها العسكري الشهير:

قال بعد أن جاء إلىٰ مصر غازياً وواجه مقاومة شديدة:

"لم أكن أعرف أن الإسلام قوي بما يحمل علماؤه في صدورهم وعقولهم .. ويبدو أن القرآن الذي يحملونه قوة عليا لا تقهر".

القول الخامس عشر: د. مارشال جونسون رئيس قسم التشريح بجامعة فيلادلفيا الأمريكية:

"لم لا يكون محمد رسولاً من الله؟ فالقرآن الكريم بالقطع أكبر من طاقة البشر في الدنيا ... كما أنه أنزل من أربعة عشر قرناً في وقت كانت فيه الحياة بسيطة بدائية، وكان محمد أميًا لا يعرف من العلم شيئاً .. ثم يأتي القرآن بكل هذه الحقائق والمعلومات التي أكدها البحث العلمي في القرن العشرين، لهذا فلا بد أن يكون القرآن وحياً من الله، ولا بد أن يكون محمد رسولاً من عند الله".

---

(١) المؤتمر الطبي العالمي لإعجاز القرآن والسنة.

(٢) الإسلام قوة الغد العلمية (باول شمتز).

القول السادس عشر: د. يرسو أستاذ علم التشريح الأمريكي:

وقد صرح به في مؤتمر الإعجاز العلمي للقرآن والسنة بالقاهرة.

قال: "إن ما قمت به من تحقيق لبعض آيات القرآن الكريم والأحاديث الشريفة عملياً جعلني أشعر بأني أقدم ثورة علمية جديدة وعلماً جديداً لم يألفه الناس من قبل، وهو العلم القرآني ؛ لأن الأبحاث قد أكدت كل ما جاء به القرآن والحديث النبوي من حقائق، وبنفس الترتيب الزمني، وهنا لا أملك إلا أن أقول: إنه وحي من الله إلىٰ محمد "[1].

القول السابع عشر: نور ثروب، مستشرق وباحث أمريكي:

قال: "إن التحول من دراسة أدب آسيا الهندوسية البوذية الطاوية الكنفوشية إلىٰ أدب الإسلام في نظر الدارس الغربي لشبيه بالانتقال من جو يغمره الضباب المنخفض المشبع بالرطوبة إلىٰ طبقات الجو العليا، حيث الصفاء والنقاء، فهنالك يجد الغرب من آيات القرآن ومبادئ الإسلام، ومن واقعية التعليم القرآني ووضوح الرسالة الإسلامية ما يتيح له قسطًا أو فرص راحة الوجدان، وفهماً أجود لحقائق الأمور، حتى لكأنه في جوه العادي وفي المناخ المكيف بحسب وضعه النفساني . وإنه ليرى لأول وهلة ذلك التشدد علىٰ الاعتبارات الخلقية من حيث نص القرآن علىٰ شريعتها، ففيه أن الله هو إله العدالة وليس لعباده مفر من الحساب".

(١) مؤتمر الإعجاز الطبي في القرآن بالقاهرة .

المبحث الثاني

محمد النبي العظيم ﷺ بأقلام وألسنة علماء الغرب

دونت في هذا المبحث جملة من أقوال علماء الغرب من أدباء ومفكرين ورجال قانون، ومؤرخين، وستجد فيها الحقيقة الناصعة الجلية أن محمدًا ﷺ أعظم نبي ورسول وآدمي عرفته البشرية وهو صاحب المنة الكبرى علىٰ البشرية جميعًا.

فإلى كل عاقل أسوق هذه الحقيقة الجلية، وإلى كل مؤمن مسلم أسوق هذا المعتقد المصحوب بالبراهين الناصعة الجلية، وإلى كل عالم أسطر هذه السطور لينقلها إلىٰ العالم بأسره، وإلى كل حاقد علىٰ الإسلام ونبيه أقول: "قل موتوا بغيظكم" فالحق ما شهدت به الأعداء، وأعظم الشهادات شهادات الخصوم والمخالفين، وليكن أول هذه النقولات والأقوال، أقوال الزهرة وعلامة أوربا في القرن الثامن عشر من الناحية الفكرية والعلمية ألا وهو غوستان لوبون.

أقوال غوستان لوبون: صاحب كتاب حضارة العرب. وهذا كتاب مليء بعشرات الأقوال للمصنف نفسه وغيره من علماء الغرب والذين تحلو بالإنصاف، وامتازوا بالحياد، والأمانة العلمية، وأنصح بقراءة هذا الكتاب كاملاً، يقول ص١١٠ - ١١٥: " وكان محمد شديد الضبط لنفسه كثير التفكير صموتًا، حازم سليم الطوية، عظيم العناية بنفسه، وكان صبورًا قادرًا علىٰ احتمال المشاق بعين الهمة، لين الطبع وديعًا، وكان مقاتلاً ماهرًا، فكان لا يهرب أمام الأخطار، ولا يلقي بيده إلىٰ التهلكة، وكان يعمل ما في الطاقة لإنماء خلق الشجاعة والإقدام في بني قومه، ولم أجد في تواريخ العرب ما يبيح القطع بأن محمدًا كان مصابًا بالصرع، وكان محمد يعتقد بأنه مؤيد من الله، فلا يرتد أمامه أي مانع، وقد جمع محمد قبل وفاته كلمة العرب وخلق منهم أمة واحدة، فكانت تلك أمته الكبرى، وإذا قسمت قيمة الرجال بجليل الأعمال كان محمدًا أعظم من عرفهم التاريخ.

وقال: وكان محمد عظيم الفطنة سواء أكان متعلماً أم غير متعلم، وتذكرنا حكمته مما عزته كتب اليهود إلىٰ سليمان ".

وقال في نفس المصدر تحت عنوان: "أسباب عظمة العرب" ص ٦٠١، ٦٠٢:

"والمثل الأعلى الذي أبدعه محمد ﷺ ديني محض، والدولة التي أسسها العرب هي الدولة العظمى الحيدة التي قامت باسم دين اشتقت منه جميع نظمها السياسية والاجتماعية ".

ويقول في نفس المصدر بعد أن ذكر حضارة العرب: "ونذكر علىٰ رأس هذه العوامل التي ندرسها ذلك العامل الذي توحدت بفضله جميع القبائل العربية المنقسمة، وهو الدين الذي أنشاه محمد، فقد منح هذا الدين ما كانت تحتاج إليه أمم من المثل الأعلى المشترك الذي اكتسبها به من الحمية ما استعدوا به للتضحية بأنفسهم في سبيله" ص٦٠٤.

جاء في "حضارة العرب" لغوستان لوبون:

بعد أن ذكر أن محمداً أعظم من عرفتهم البشرية ص١١٦: قال: قال العلامة بارتلمي سنت هيلر:

"كان محمد أكثر عرب زمانه ذكاءً وأشدهم تديناً، وأعظمهم رأفة، ونال محمد سلطانه الكبير بفضل تفوقه عليهم، ونعد دينه الذي دعا الناس إلىٰ اعتقاده جزيل النعم علىٰ جميع الشعوب التي اعتنقته ".

ويقول وليم موير في وصفه ﷺ:

"لم يعهد التاريخ مصلحاً أيقظ النفوس وأحيا الأخلاق ورفع شأن الفضيلة في زمن قصير كما فعل محمد ﷺ ".

ويقول تولستوي:

"إن النبي محمداً ﷺ لا ريب كان من عظماء الرجال المصلحين الذين خدموا المجتمع الإنساني خدمة جليلة، وإنه يكفيه فخراً أنه هدى أمة برمتها إلىٰ نور الحق، وجعلها تجنح للسكينة والسلام، وأنه هو الذي منعها من سفك الدماء، وتقدير الضحايا البشرية، وفتح لها طريق الرقي والمدنية ".

ويقول كازانوفا:

"إن كل تاريخ النبي العربي يدل علىٰ أن خلته عمل جَدِّيٌّ محمود؛ إنه حين اعترف الجميع بسلطانه المطلق عرف كيف يستمع آراء الغير.

إن محمداً وأصحابه قد وضحوا بعناية الفرق بين آرائه الخاصة، وإدراكاته للحياة الواقعة من جهة وبين تعاليم السماء من جهة أخرى ".

ويقول برنارد شو الأديب العالمي الإنجليزي:

"إن النبي محمداً يجب أن يدعى منقذ البشرية (الإنسانية) وأعتقد لو أن رجلاً مثله تولى في زعامة العالم الحديث لنجح في حل مشكلاته وأحل السعادة والسلام في العالم".

ويقول ماردوي المستشرق الفرنسي:

"إن أكثر الكتاب ارتياباً وشكاً خضعوا لسلطان تأثير محمد".

أقوال " لامارتين " : يقول في "تاريخ تركيا" :

"إن محمداً فيلسوف وداع ومشرع، وهو فاتح أفكار، ومقيم عقائد معقولة وعبادة بلا صور، وهو مؤسس عشرين دولة دنيوية، ودولة واحدة دينية، ذلك محمد الذي هو منة علىٰ البشرية بكل المقاييس التي بها العظمة الإنسانية ".

ويقول أيضاً وهو أديب فرنسا الشهير:

الكتاب Histoire De La Turquie، Lamartine

PP. ٢٧٦ - ٢٧٧ VOL ٢ (-Paris ١٨٥٤)

قال معترفاً بعظمة النبي ﷺ: "إن إنساناً لم ينهض أبداً - متطوعًا أو غير متطوع - لمثل هذا الهدف الأسمى؛ لأن الهدف كان فوق طاقة البشر، لقد كان تحطيم تلك الحواجز من الأوهام والأحلام التي حالت بين الإنسان وخالقه والأخذ بيد الإنسان إلىٰ عتبة ربه، وتحقيق عقيدة التوحيد النقية المعقولة الساطعة في ضباب هذه الوثنية السائدة والآلهة المادية، وذلك الهدف الأسمى والأعلى، إنه لم يحمل إنساناً مثل هذه المسؤولية والمهمة العظيمة الجليلة التي تخرج عن طوق البشر بمثل هذه الوسائل الضئيلة" إلىٰ أن قال: "وأروع من ذلك أنه هز تلك الأصنام والآلهة والأديان والتصورات والعقائد والنفوس هزة عنيفة، إنه بنى علىٰ أساس ذلك الكتاب الذي يعتبر كل كلمة منه مصدر التشريع، ألفت بين أفراد جيل وسلالة ولغة.

إن الميزة الخالدة لهذه الأمة التي كونها لنا محمد ﷺ أنها شديدة المقت

والتقزز من الآلهة الباطلة، شديدة الحب لله الواحد الذي يتنزه عن المادة وشوائبها، وهذا هو الحب الذي يدفعه إل الثأر والانتصاف من كل إهانة توجه إلىٰ الذات الإلهية، وهذا الحب يعتبر أساس سائر الفضائل عند الأمة، لقد كان إخضاع ثلث العالم لهذه العقيدة الجديدة من مأثرته بلا ريب، ولكن الأصح أنه كان معجزة العقل لا معجزة الفرد، إن الإعلان بعقيدة التوحيد في زمن كانت فيه الدنيا تحت وطأة الأصنام لا حصر لها، كان معجزة مستقلة بذاتها، وما لبث محمد ﷺ أن أعلن هذه العقيدة أمام الملأ، حيث أقفرت المعابد القديمة من عبادها، فلا داعي فيها ولا مجيب، وتكهرب ثلث العالم بحرارة الإيمان " .

ويقول جان ويليم دريبر John Wiliam Draper

اسم الكتابِ A history of the intellectual

development of Europe١٨٧٥ London.P٢٢٩،VOL أو تاريخ أوربا الفكري العلمي:

"لقد ولد في مكة إحدى مدن العرب عام ٥٦٩م بعد أربعة أعوام من جستينين شخص عظيم كان له أكبر تأثير علىٰ الجيل البشري كله " .

ويقول أيضاً في محمد ﷺ: "من الخلال والصفات التي غيرت مصائر الشعوب والأمم والحكومات والدول، إنه أكد علىٰ الحقائق الثابتة الدائمة بدلاً من الخوض في بحوث ما وراء الطبيعة، ونذر نفسه عن طريق العناية والأمر بالنظافة والطهرة والجد والصوم والصلاة لترفيه الحياة الاجتماعية للناس " ص٣٣٠.

يقول توماس كارلايل Thomas Carlyl

المصدر: A T Toybee, Civilization on Trial.

P ٢٠٥ ١٩٤٨ - New york

"قبل مائتي سنة أختار محمداً ﷺ من بين الأنبياء جميعاً كبطل أعظم، والآن في آخر القرن العشرين وضع مايكل هـ . هارت اسم محمد ﷺ برأس القائمة لأسماء أولئك العظماء الذين تركوا آثاراً عظيمة في تاريخ العالم البشري" .

وهكذا حدث الاتفاق في الماضي والحاضر علىٰ عظمة محمد ﷺ بين توماس كاريل، وبين مايكل هارت، وكلاهما له قدره الفكري والثقافي في تاريخ أوربا.

يقول بورسورث سميث:

"تعددت جوانب شخصية محمد؛ فقد كان في وقت واحد مؤسساً لأمة، ومقيمًا لإمبراطورية، وبانياً لدين، وهو وإن كان أمياً فقد أتى بكتاب يحوي أدباً وقانوناً وأخلاقاً عاماً وكتباً مقدسة في كتاب يقدسه إلىٰ يومنا هذا سدس مجموع النوع البشري ؛ لأنه معجزة في دقة الأسلوب وسمو الحكمة، وجلالة الحق، وكان يقول عنه محمد: إنه معجزته الخالدة " ثم يرى رؤياه في الإسلام في غد الإنسانية ومستقبلها: "لم يحرص محمد إلىٰ آخر حياته علىٰ شيء إلا علىٰ ذلك اللقب الذي تلقب به من أول أمره، وهو لقب أعتقد أنه سيأتي يوم ترضى به أرقى فلسفة وتسلم له به، هذا اللقب هو أنه رسول الله حقاً".

يقول جيبون في كتاب: "اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها":

"إن سمو إحساس محمد جعله يحتقر بهرج الملك، وكان رسول الله يخضع نفسه لما تتطلبه حياة الأسرة من عمل، فقد أوقد النار، وكنس المنزل، وحلب الشاة وخصف بيده نعله ورتق ثوبه، لقد كان قانعاً يأكل كما يأكل العبد".

ويقول إميل ومنجم في مقدمة كتابه: "حياة محمد": "إنه لا يوجد واحد في الدنيا أمكنه أن ينكر وجود محمد، ولكنه وجد من ينكرون بعض ما جاء في ترجمة محمد في الكتب العربية".

ويقول دوزي:

"لو صح ما قاله القساوسة من أن محمداً نبي منافق كذاب فكيف نعلل انتصاره؟ وما بال انتصاراتهم علىٰ الشعاب لا تقف عند حد ؟! وكيف لا يدل ذلك علىٰ معجزة هذا الرسول ؟!".

أقوال رينان البرفسور الشهير في تاريخ اللغات السامية:

قال غوستاف لوبون فعلاً في "حضارة العرب" (٨٧):

"إلى مثل هذا الرأي ذهب بعض الأذكياء المعاصرين، ومنهم مؤلف "تاريخ اللغات السامية" الشهير رينان الذي قال: "لا مكان لبلاد العرب في تاريخ العالم السياسي والثقافي والديني قبل ذلك الانقلاب المفاجئ الخارق للعادة، الذي صار به العرب أمة فاتحة مبدعة، ولم يكن لجزيرة العرب شأن في القرون الأولى من الميلاد

حين كانت غارقة في دياجير التاريخ، ولم يظهر بأسها وبسالتها إلا بعد القرن السادس الميلادي " بعد بعثة محمد.

قول هام لرينان في الدفاع عن النبي ﷺ.

وقد هاجم فيه فولتير والذي كان يبث حقده على النبي ﷺ قال:

"وكانت تجربته العلمية والتاريخية أنه لا صحة مطلقًا لما أريد إلصاقه بالنبي محمد من كذب أمراء مصدرها بعض المبايعة العرقية، العادات القومية التي أراء بعض المتحاملين كفولتير أن يتوجهوا بها إلى الناحية التي تشفي سقام أذهانهم الوقحة، وتعصبهم الذميم، كقوله: إنه يميل إلى التسيد والسيطرة، مع أن محمداً كما أثبتت الوثائق التاريخية وشهادات أكابر علماء التاريخ كان على العكس من ذلك، بريئاً من روح الكبرياء، متواضعاً، صادقًا أميناً، لا يتحمل المقت لأحد، وكانت طباعه نبيلة، وقلبه طاهراً رقيق الشعور ".

ويقول بارتلمي سانت هير في كتابه "تاريخ النبي محمد":

"إنه كان يشك في صدق رسالته حتى قرأ جميع السير أنه لما نزلت أية لفظ ووعد الله نبيه بأنه سيتولى حراسته: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المائدة: ٦٧] بادر إلى صرف حراسته، والمرء لا يكذب على نفسه ولا يخدعها، فلو كان هذا الوحي من مصدر غير الله لأبقى على حرسه ".

تقول الدكتورة "لورافينسيا فاغليري" مدافعة عما وجه إلى محمد من شبهات:

"لقد حاول أعداء الإسلام أن يرموا نبي الإسلام ﷺ ببعض التهم المفتراة، ولقد نسوا أن محمداً كان قبل أن يستهل رسالته موضع الإجلال العظيم من مواطنيه بسبب أمانته وطهارة حياته، ومن عجب أن هؤلاء الناس لا يجشمون أنفسهم عناء التساؤل: كيف جاز أن يقوى محمد على تهديد الكاذبين المرائين في بعض أيات القرآن اللاسعة بنار الحجيم الأبدية ولو كان هو قبل ذلك رجلاً كذاباً ؟، وكيف استطاع أن يستهل صراعًا يبدو يائساً، وكيف وفق إلى أن يوصل هذا الصراع أكثر من عشر سنوات في مكة في نجاح قليل جداً، وفي أحزان لا تحصى، إذا لم يكن مؤمناً إيماناً عميقاً بصدق رسالته كيف جاز أن يؤمن به هذا العدد الكبير من المسلمين النبلاء والأذكياء إذا لم يلمسوا في كلماته حرارة الصدق، وقد راع كثير من الباحثين خلق محمد من أمثال "لين يول" مثلاً الذي يقول: إن محمداً كان يتصف بكثرة من

الصفات الحميدة، كاللطف والشجاعة ومكارم الأخلاق، حتى إن الإنسان لا يستطيع أن يحكم عليه دون أن يتأثر مما تركته هذه الصفات في نفسه من أثر، ودون أن يكون هذا الحكم صادراً من غير ميل أو هوى، وكيف لا وقد احتمل محمد عداء أهله وعشيرته عوامل، فلم يهن له عزم، ولا ضعفت له قوة، وبلغ من نبله أنه لم يكن في حياته البادئ بسحب يده من يد مصافحه حتى ولو كان المصافح طفلاً، وأنه لم يمر بجماعة يوماً رجالاً كانوا أو أطفالاً دون أن يقرئها السلام، وعلى شفتيه ابتسامة حلة، وفي فمه نغمة جميلة كانت تكفي وحدها لسحر سامعها، وتجذب القلوب إلىٰ صاحبها جذباً.

وختاماً هذا محمد النبي الكريم، أعظم منة ونعمة من الله تعالى علىٰ العالمين؛ صاحب المعجزة الكبرى" القرآن العظيم " ﷺ وعلى صحبه وأزواجه أجمعين.

ويقول الأستاذ " إدوار مونتيه: في مقدمة ترجمته للقرآن:

"أما محمد فكان كريم الأخلاق حسن العشرة، عذب الحديث، صحيح الحكم، صادق اللفظ، وقد كانت الصفات العالية عليه هي صحة الحكم، وصراحة اللفظ والإقناع التام يما يعمله ويقوله، وإن طبيعة محمد الدينية تدهش كل باحث مدقق نزيه المقصد بما يستحلى فيها من شدة الإخلاص ؛ فقد كان مصلحاً دينياً ذا عقيدة راسخة، ولم يقم إلا بعد أن تأمل كثيراً وبلغ من الكمال بهاتيك الدعوة العظيمة التي جعلته أسطع أنوار الإنسانية في الدين.

ولقد جهل كثير من الناس محمداً وبخسوه حقه، ولقد منع القرآن الذبائح البشرية والخمر والميسر، وكان لهذه الإصلاحات تأثير غير مباشر متناه في الخلق، بحيث ينبغي أن يعد محمد في صف أعاظم المحسنين للبشرية" [(١)].

وقد قال العلامة فيني ناقلاً عن إدوار مونتيه:

"كان محمد ﷺ أميناً وأعدل رجل، وإن مرشد المسلمين هو القرآن وحده، والقرآن ليس بكتاب دين فقط، بل هو كتاب علم وأدب وتجد فيه بيان الحياة السياسية والاجتماعية، حتى إنه يرشد الإنسان إلىٰ وظائفه اليومية"[(٢)].

---

(١) أنور الجندي : الفكر الإسلامي : (١٩٦، ١٩٧) .

(٢) أنور الجندي : الفكر الإسلامي : (١٩٦، ١٩٧) .

ويقول "بورسوث سميث" مؤلف "محمد والإسلام" :

"إنه من المستحيل لأي شخص درس حياة وشخصية الرسول العربي العظيم، وعرف كيف عاش، وكيف تعلم ألا ينحني لهذا الرسول المبجل الموقر القوي.

الذي هو واحد من أعظم الرسل، ومهما أقل لكم فإني سأقول أشياء كثيرة معروفة للجميع، ولكن حينما أعيد قراءتها أشعر بمزيد من التقدير والإعجاب، وأشعر بمشاعر جديدة من الاحترام والتبجيل لهذا المعلم العربي العظيم "[١] .

ويقول "أتيه بيساني" مؤلف "إحياء تعاليم محمد" :

"استعداده - يقصد النبي محمدا - لتحمل الاضطهاد والمقاومة من أجل معتقداته، والشخصيات الأخلاقية الرقيقة للرجال الذين اعتقدوا فيه وصدقوه، وتطلعوا إليه كقائد لهم، وسمو أهدافه النهائية، كل ذلك ينم عن استقامة وأمانة غير عادية، والزعم بأن محمداً دجال يطرح مشاكل كثيرة أكثر من حلها، ولكن لا يوجد من بين الشخصيات التاريخية الكبيرة من أسر فهمه في العرب أكثر من محمد" [٢].

قلت: نعم ؛ لقد تعمد الأعداء الذين امتلأت قلوبهم بالحقد على الإسلام تغير وتشوه الحقائق، فهو فهم مغلوط عن قصد، وليس إساءة غير متعمدة.

يقول "لاماترتين" الشاعر الفرنسي، وأديب فرنسا:

يقول هذا العلم الفرنسي والرمز الفكري لهم:

"إن حياة مثل حياة محمد، وقوة كقوة تأمله وتفكيره، وجهاده ووثبته على خرافات أمته وجاهلية شعبه وشدة بأسه في لقاء ما لقيه من عبدة الأوثان، وإيمانه بالظفر، وإعلاء كلمته ورباطة جأشه لتثبيت أركان العقيدة الإسلامية، وإن كل ذلك يدل على أنه لم يكن يضمر خدعاً أو يعيش على باطل، فهو فيلسوف وخطيب ورسول ومشرع، إنه هادي الإنسان إلى العقل، وناشر العقائد المعقولة الموافقة للذهن واللب، ومؤسس دين لا غرابة فيه "[٣].

ويقول "ول ديورانت" صاحب الموسوعة التاريخية "قصة الحضارة في العالم" :

---

(١) محمد والإسلام لورسورت سميث (ص١٩٢) .

(٢) إحياء تعاليم محمد (٤) طبعة الهند ١٩٣٢م .

(٣) تاريخ الأتراك ، لامارتين (٢/ ٢٧١، ٢٧٢) .

يقول: "وإذا حكمنا بالعظمة بما كان للعظيم من أثر في نفوس الناس قلنا إن محمداً كان أعظم عظماء التاريخ، فقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحي والأخلاقي لشعب ألقت به دياجير الهمجية وحرارة الجو وجدب الصحراء، وقد نجح في تحقيق هذا الغرض ولم يدانيه أي مصلح آخر في التاريخ "[١].

يقول "السير وليم سوبر" مؤلف كتاب «سيرة محمد» - بريطاني:

"لقد امتاز محمد بوضوح كلامه ونثريته، ولقد أتى من الأعمال ما أدهش الألباء ولم يشهد التاريخ مصلحاً أيقظ النفوس وأحيا الأخلاق الحسنة، ورفع شأن الفضيلة في زمن قصير كما فعل محمد "[٢].

ويقول "ألفريد مارتين" مؤلف "أكبر زعماء الدين في الشرق".

قال مارتين: "إن تاريخ الديانات لا يتضمن أعظم من الطريقة التي سار عليها محمد لإصلاح الأوضاع الفاسدة، وتغيير النظم الاجتماعية في جزيرة العرب، ومما يجدر ذكره بالإعجاب والتقدير أن الديانة اليهودية، والدين المسيحي والغرب لم يتمكنوا في القرون الوسطى من رفع مستوى الحياة والمعيشة والقضاء على الفساد المنتشر في البلاد العربية في ذلك الحين كما فعل محمد، والحق أن محمداً بما قدم من الإصلاحات والتشريعات وما نشره من المدنية الإسلامية والحضارة الرائعة والنظم الاجتماعية قد أدى أكبر خدمة إنسانية للعالم كله، لا لجزيرة العرب وحدها "[٣].

وأقول في خاتمة هذا البحث لبابا الفاتيكان:

هذه هي حقيقة النبي محمد ﷺ بألسنة وأقلام عقلاء وعلماء الغرب، إنما الذي أعماه الحقد وطمس بصيرته الكره للإسلام، يقول ما قلت من أن محمداً لم يدعُ إلى كل إلا إلى كل شر، فهل يُعتب على مجنون أو أحمق ؟!

وليس بعد الكفر ذنب . . . فمت بغيظك.

محمد باقٍ . . باقٍ . . باقٍ.

---

(١) قصة الحضارة ، ول ديورانت .

(٢) سيرة محمد، وليم سوير (١٣) .

(٣) عظمة الرسول ، عطية الإبراشي (٢/ ٤٥) .

المبحث الثالث

عالمية الإسلام وشموليته

أولاً أقوال منتخبة

(من كتاب الدعوة إلىٰ الإسلام)

لصاحبه السيد / توماس أرنولد

القول الأول:

«لم تكن رسالة الإسلام مقصورة علىٰ بلاد العرب بل إن للعالم أجمع نصيب فيها، ولما لم يمكن هناك غير إله واحد، كذلك لا يكون هناك غير دين واحد يدعى إليه الناس، وفي جميع الشعوب نراها تتخذ صورة عملية.

في الكتب التي قيل إن محمداً بعث بها في السنة السادسة من الهجرة ٦٨٨ هـ إلىٰ عظماء ملوك ذلك العصر، وفي هذه السنة أرسل الكتب إلىٰ هرقل وكسرى وقيصر، وإلى حاكم اليمن، وإلى حاكم مصر وإلى النجاشي.

على أنه كانت هذه الكتب قد بدت في نظر من أرسلت إليهم ضرباً من الخرق فقد برهنت الأيام علىٰ أنها لم تكن صادرة عن حماسة جوفاء، وتدل هذه الكتب دلالة أكثر وضوحاً وأشد صراحة علىٰ ما تردد ذكره في القرآن من مطالبة الناس جميعًا بقبول الإسلام، فقد قال الله تعالىٰ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾﴾ [ص: ٨٧، ٨٨]».

وعن أحوال النصارى تحت الحكم الإسلامي قال:

"ولما كان المسيحيون يعيشون في مجتمعهم آمنين علىٰ حياتهم وممتلكاتهم ناعمين بمثل هذا التسامح الذي منحهم حرية التفكير الديني، وخاصة في المدن بحالة من الرفاهية والرخاء في الأيام الأولى من الخلافة، وإذا نظرنا إلىٰ التسامح الذي امتد علىٰ هذا النحو إلىٰ رعايا المسلمين من المسيحيين في صدر الحكم الإسلامي ظهر أن الفكرة التي شاعت بأن السيف كان العامل في تحويل الناس إلىٰ الإسلام بعيدة عن التصديق".

وعن معاملة الإسلام لمسيحيي مصر قال:

"لقد جلب الفتح الإسلامي إلىٰ هؤلاء القسط في مصر، حياة تقوم علىٰ الحرية

الدينية التي لم ينعموا بها قبل ذلك بقرن من الزمان، وقد تركهم عمرو أحراراً على أن يدفعوا الجزية، وكفل لهم الحرية في إقامة شعائرهم الدينية، وخلصهم بذلك من هذا التدخل المستمر الذي أتوا به من عبئه الثقيل في ظل الحكم الروماني ولم يضع عمرو شيئاً من ممتلكات الكنائس ولم يرتكب عملاً من أعمال السلب والنهب".

وعن سماحة صلاح الدين مع المسيحيين قال:

«وفي عهد صلاح الدين الأيوبي في مصر (١١٦٩ - ١١٩٣م) (٥٦٤ - ٥٨٦هـ) تمتع المسيحيون بالسعادة إلى حد كبير في ظل ذلك الحاكم الذي عُرفَ بالتسامح الديني، فقد خفض الضرائب التي كانت فرضت عليهم، وزال بعضها جملة، وملأوا الوظائف العامة كورزاء، وكتاب وصيارفة.

وفي عهد خلفاء صلاح الدين نعموا بمثل هذا التسامح والرعاية قرابة قرن من الزمان، ولم يكن هناك ما يشكون منه إلا ما اتصف به كهنتهم أنفسهم من الفساد والانحطاط».

أقوال "جورج برنارد شو" فيلسوف ومفكر بريطاني:

"الإسلام هو الحقيقة التي جاء بها محمد ليجمع العالم من خلاله على الحب والسلام والخير".

ويقول: "لقد درسته وأعجبت به - أي محمد - وفي رأيي انه أبعد ما يكون في وصفه بأنه ضد المسيح، يجب أن نطلق عليه منقذ الإنسانية".

ويقول: "لقد درست الإسلام فوجدته بعيداً عن مخاصمة المسيح، ونعتبر محمداً منقذ الإنسانية، وأن رجلاً مثله لوحكم العالم بأسره وخلقه لجلب للعالم السعادة والسلام".

وقد برهن الإسلام منذ ساعاته الأولى أنه دين الأجناس جميعاً، فضم سلمان الفارسي وبلالاً الحبشي وصهيباً الرومي كما ضم مجموعة من النصارى واليهود وعبدة الأوثان، وانصهر الجميع في بوتقة واحدة دون فروق على الإطلاق، ولم يحس أي منهم بأنه غريب عن الإسلام، وبعد فترة اتصل هذا الدين بأجناس عديدة فيها الأسود والأصفر والأبيض، وكانوا جميعاً في رحاب الإسلام متساويين سعداء"[1].

---

(١) الطب الوقائي في الإسلام / دكتور شوقي الفنجري.

الدكتور ألفريد ولش أستاذ التاريخ وعلوم الدين الإسلامي بجامعة متشجان الأمريكية.

وهذه بعض مقتطفات في حوار طويل.

قال عن سر اهتمامه بالإسلام:

"إنني أدرس مادة علوم الدين الإسلامي في الجامعة وهذا دفعني لأن أقرأ القرآن الكريم كما أن مادة دراسته الأصلية هي التاريخ الإسلامي لذلك تجدني قد قدمت دراسات عن النبي محمد في القرآن الكريم، وأنا مسيحي الأصل والمنشأ، ولكنني كتبت هذا انطلاقاً من تخصص في علم التاريخ الإسلامي ".

* كيف ترى الإسلام إذًا؟

. الإسلام هو دين رئيسي، ودين مهم للبشرية حتى تهذب بأرواحها.

أما بالنسبة للمسلمين الذين لا يعرفون الكثير عن الإسلام أرى أنهم من الضروري أن يعمقوا قراءاتهم في القرآن ويتفهموا معانيه ويطبقوها.

أما بخصوص الإسلام خارج بلاد الإسلام أرى الذين يدخلون الإسلام يزدادون يوماً بعد يوم، ويتعلمون الإسلام في جمعيات متخصصة، ولكن للأسف ؛ صورة الإسلام والمسلمين تقدم بصورة سيئة في وسائل الإعلام هناك، ولا أعرف فيما إذا كان هذا بسبب عداوة الغرب للإسلام أو بسبب قصور من جانب المسلمين.

سؤال: ما دمت تؤمن بالله وبالقرآن وبصدق محمد فلماذا لا تسلم ؟

قال: أنا مؤرخ قرأت القرآن وحياة محمد، وأومن بأن محمداً صادق، وأنه رجل عظيم، وصاحب رسالة عظيمة، لكن سبب عدم إسلامي يعود لأسباب اجتماعية، ولكنني أقدم للإسلام الكثير، فقضية إسلامي تتطلب مني أن أبدل زوجتي، وأبدل ديانة أولادي الذين عاشوا في ذلك المجتمع، وأنا أتمنى أن أكون مسلماً، وسأكون عظيماً لو كنت كذلك، ولكن الأسباب الاجتماعية هي التي تمنعني.

قال الصحفي له: ليس من الضروري أن تبدل زوجتك؟

قال: القضية الأخطر عندي هي أولادي الذين عاشوا حياتهم في المجتمع الأمريكي.

بعض مقتطفات من كلام د. آيلز ليكتنستادتر الأستاذ بجامعة نيويورك، وذلك في كتابها "الإسلام والعصر الحديث" تحليلاً وتقييمًا عن انتشار الإسلام:

ولقد استطاع الإسلام على مدى قرون أن يجمع هذا التنوع من أنماط متباينة كل التباين ليحولها إلى مجموعة واحدة متجانسة على الأقل في المظهر الديني، ولقد أنجز هذا العمل الخطر وسيلة غاية في البساطة لا كما يفترى على الإسلام عادة من أنه أنجز بقوة السيف، بل كانت وسيلة التجميع هي قوة العقيدة الدينية، وهي عقيدة بعيدة عن التقصير يسهل فهمها، تقنع العقل المتفتق بمقتضى نمط ديني لا يصعب الالتزام به، وباتخاذ موقف إسلامي يستهوي تنوعاً ضخمًا من البشر.

تقول عن الدعوة الإسلامية: لقد كانت الدعوة الإسلامية دعوة جديدة تماماً، لم تكن فرعاً لديانة اليهود أو المسيحية أو للفكر الإغريقي، وهي صفة من الصفات التي وصف بها الإسلام في وقت أو آخر، بل كانت عقلية خاصة عقلية، المفهوم الجديد للعالم، وهذه الحقيقة هي ما ينبغي التركيز عليها في الرد على الادعاءات التي وجهت إلى الإسلام.

وعن قوة وحيوية الإسلام قالت:

"وتظهر حقيقة واضحة تمام الوضوح من المناقشات السائدة في المجتمع الإسلامي، وهي أن الإسلام قوة حيوية ليس فقط كصورة من صور التعبير الديني، بل كعامل ديناميكي في خلق تلك الصور من الحياة الإسلامية التي يتطلبها العصر الحديث، وفي الشرق الإسلامي يلاحظ أن السلوكيات الاجتماعية والدينية للإسلام هي المعيار الذي يحكم به، وسيستمر الحكم به على تطوره.

ذلك لأن الإسلام هو أكثر من دين، إنه قاموس الحياة ".

وعن العدل والسماحة في الإسلام قالت:

"وفي المجال التشريعي أعلن محمد ﷺ باسم الله وبوصفه رسول الله أن جهاده كان من أجل العدالة، وإحقاق الحق من أجل الوصول إلى حلول مما جعل الدين الإسلامي ديناً مظفراً في الوقت الذي كان يتجنب الإساءة إلى أي شخص، ويرى هذا الوضع واضحاً في كل موضوع من الموضوعات التشريعية والإنسانية التي تناولها القرآن الكريم، وبصورة خاصة الأحكام التي تتناول النساء، وتلك التي تنظم المواريث، ومن ثم ظلت المبادئ القرآنية صالحة حتى اليوم ".

وخاتمة هذا المبحث أقول لبابا الفاتيكان: هذا هو قولٌ فصل، قاله علماء ومفكرون، فإما أن تكون منهم أو أنك على النقيض.

* * *

المبحث الرابع

دين الوسطية والاعتدال

أولاً: قول "آدم أوليفر كلاوس" رئيس مجلس حقوق الإنسان بألمانيا الشرقية. وذلك بعد أن أعلن اعتناقه الإسلام في منتصف عام ١٩٩١م.

وقد درس الأديان لمدة سبع سنوات في جامعة متخصصة في ألمانيا، ومن خلال هذه الدراسة اقتنع بالإسلام كدين صالح لكل زمان ومكان.

ويطالب آدم أوليفر بمؤتمر فكري عالمي في ألمانيا لمواجهة التشويه المتعمد للإسلام.

قال إنه اعتنق هذا الدين الحق. الإسلام. لما ينطوي عليه من قيم سامية، فهو الدين الوحيد القوي لا وسيط فيه بين الإنسان وربه، ويسوي بين الناس، ويحترم حرية الفرد، ويحقق العدل الكامل قبل أن تعرفه الأنظمة الحديثة.

ثانياً: عودة لتوماس كارليل:

هو فيلسوف وأديب إنجليزي عالمي، وله موقف ثابت في نصرة وتعظيم الإسلام، وله كتاب سبق ذكره "الأبطال والبطولة في التاريخ" ألفه سنة ١٨٤١م.

وقام الأستاذ الكبير محمد السباعي بترجمة هذا الكتاب إلى اللغة العربية.

وإليك أيها القارئ الكريم بعض مقتطفات من كتابه:

قال:

"يزعم المعتصمون والملحدون أن محمداً لم يكن يريد بقيامه إلا الشهرة الشخصية، ومغامرة الحياة والسلطان، كلا والله لقد كان فؤاد ذلك الرجل الكبير. المتوقد المقلتين، العظيم النفس المملوء رحمة وخيراً وحناناً وبراً، وحكمة. أفكاراً غير الطمع الدنيوي، ونوايا خلاف طلب السلطة والجاه.

وكيف لا وتلك نفس صامتة كبيرة ورجل من الذين لا يمكنهم إلا أن يكونوا مخلصين جادين، لقد كان معتزاً بنفسه وبحقائق الأمور والكائنات".

وقال: "ما كان محمد يعيش في شهوات أو نزوات رغم ما اتهم به ظلماً

وعدوانًا، ونخطئ إذا حسبناه رجلاً شهوانيًا لا همَّ له إلا قضاء مآربه من الملاذ، كلا؛ فما كان أبعد بينه وبين الملاذ أيًا كانت، لقد كان زاهداً متقشفاً في مأكله ومشربه وسائر أموره وأحواله".

يقول كارلايل:

"إني أحب محمداً لبراءة نفسه، ولخلو نجيدته من الرياء والتصنع، ولقد كان ابن الصحراء مستقل الرأي شديد الاعتماد علىٰ تفكيره لا يدعي ما ليس فيه، ولا ينفي عن نفسه ما يؤخذ عليه، لم يكن متكبراً، ولكنه لم يكن ضارعاً خنوعاً، لا يبالي وهو في ثوبه العتيق البالي أن يدعو بكلامه الصريح الواضح قيصر الروم أو كسرى الفرس أو ملوك العرب علىٰ ما يجب عليهم نحو الله ونحو أنفسهم".

ثالثاً: جولد تسيهر، المستشرق المجري في كتابه "العقيدة والشريعة"

يقول:

"إذًا علينا أن نكون عادلين بالنسبة للإسلام أن نوافق علىٰ أنه توجد في تعاليمه قوة فعالة متجهة إلىٰ الخير، وأن الحياة طبعاً لتعاليم هذه القوة يمكن أن تكون حياة طيبة لا غبار عليها من الوجهة الأخلاقية، هذه التعاليم تتطلب رحمة جميع خلق الله والأمانة في علاقة الناس بعضهم ببعض، والمحبة والإخلاص وقمع الغرائز والأثرة"

ويقول عن التسامح في الإسلام:

"وقد جاءت الأخبار عن العشر سنين الأول للإسلام بمثل التسامح الديني للخلفاء، وإزاء أهل الأديان القديمة، وكثيراً ما كانوا يوصون وصاياهم للفاتحين بالتعاليم الحكيمة، ومن المثل لذلك عهد النبي مع نصارى نجران الذي حوى احترام منشآت النصارى، ثم هذه القواعد التي أعطاها لمعاذ بن جبل عند ذهابه إلىٰ اليمن "لا يزعج يهودي في يهوديته" وفي هذه الدائرة العليا كانت أيضًا عهود الصلح التي أعطيت للنصارى الخاضعين للدولة البيزنطية التي اندمجت في الإسلام وبموجبها كانوا ـ في مقابل الجزية ـ يستطيعون مباشرة شؤونهم الدينية الظاهرة"[1].

قلت: شهادته هذه لها قيمتها؛ لأن جولد تسيهر من المستشرقين المعهود عليهم التعصب الديني والجنسي، وكان يكيل كثيراً من الاتهامات علىٰ الإسلام.

(١) العقيدة والشريعة (١٢، ١٤، ١٦).

رابعاً: "**هانس كونج**" عالم لاهوتي سويسري

وإليك مقتطفات من بعض كلامه في ملتقى الفكر الذي عقد في شتوتجارت بعنوان: "العالم الإسلامي بين التقاليد والنهضة" . وهانس يشتغل مدير معهد الأبحاث الكونية:

قال: "إن الإسلام هو دين القوة، ولهذا لا يخشى عليه من أي شيء، وأن النصرانية هي التي يخشى عليها من كل شيء".

وقال: "على جميع النصارى أن يراجعوا نظرتهم ومواقفهم العدائية تجاه الإسلام والمسلمين، وأن يقوموا نظرتهم لو مرة واحدة تجاه هذا الدين العالمي الذي شوهوا سمعته وتجاهلوه في الغرب".

قال: "إن النبي محمد نبي مرسل، ويحمل الهدى للبشرية، وإنه خاتم الأنبياء والمرسلين، وإن الإنجيل بشر به قبل التحريف، وإن القساوسة هم أول من يُقْبِلُون علىٰ الإسلام ويعتنقونه".

وقال في كتابه: "المسيحية والأديان العالمية": "إن محمداً كان نبياً حقاً وحقيقياً، وإن علىٰ النصارى مراجعة أنفسهم والبحث في رسالة محمد".

خامساً: "د. آرثر أليسون" أستاذ الهندسة الكهربائية البريطاني، وقد أعلن إسلامه، وقال وهو يعلن إسلامه:

"إن الإسلام ليس غيباً عني، وإنني أنضم إلىٰ الأسرة المسلمة في العالم كله، وإنني إن شاء الله سأنتج إنتاجاً علمياً يفيد البشرية؛ فالإسلام دين سلام".

ويتحدث عن معجزة من معجزات القرآن، فيقول:

"إن إحدى معجزات القرآن الكريم في الطبيعة بعد دراسة قام بها العلماء الجيولوجيون علىٰ مدار ٢٠٠ سنة ماضية؛ فعندما كنت أدرس الخصائص الكيميائية والطبيعة الجيولوجية في المياه الممتدة من منطقة جنوب البحر الأحمر، لاحظت أن الخصائص تختلف بصورة واضحة في مياه الهندي عنها في مياه البحر الأحمر، رغم اتصالهما ببعض إلىٰ أن علمت بعد الدراسات أن أحدد تلك المنطقة التي وجدت أنها عبارة عن حاجز مائي يفصل بين مياه المحيط والبحر" وهذا تفسير قول الله تعالىٰ:

﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾﴾ [الرحمن: ١٩، ٢٠] وكان قد تم توجيه الدعوة له في مؤتمر الإعجاز العلمي للقرآن والسنة الذي عقد بالقاهرة، وقال ما سبق في هذه المحاضرة، ثم طلب لقاء شيخ الأزهر، وطلب إعلان إسلامه، فقال لشيخ الأزهر: " سيدي الشيخ الجليل علىٰ اقتناع تام وعن إيمان مطلق، بعد أن قرأت آيات الله المعجزة في القرآن الكريم فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ".

سادساً: "**جوته**" الشاعر والفيلسوف الألماني في كتابه: "الديوان الشرقي للشاعر الغربي" عن القرآن الكريم قال: "يجب أن ينظر إلىٰ القرآن علىٰ أنه كتاب سماوي وشرح إلهي وتعليم علوي، وليس كتاباً إنسانياً للدراسة والمتعة".

ويقول جوته في معرض حديثه عن الإسلام من خلال استعراضه لحياة محمد: "إذا كان هذا هو الإسلام فكلنا إذًا مسلمون، وكل من كان فاضلاً شريف الخلق فهو مسلم".

سابعاً: "**د. ماجلي باتشييه**" الأستاذة بجامعة السربون بفرنسا.

وهي أستاذة التاريخ العربي الحديث بجامعة السربون، ولها عديد من الدراسات التي أنصفت الإسلام من قول المعتدين عليه، والمتهمين له.

تقول: "إن الإسلام دين متفتح ومتسامح، وهو دين الاعتدال، والإسلام اليوم قادر علىٰ الاندماج في الحضارة الغربية لما يملكه من قيم ورفضه لكل تعصب وانغلاق في الفكر وعنف في التعامل".

تقول: "لأن الإسلام لم يحجر علىٰ أن تعمل المرأة أو تحترف وظيفة تناسبها بشرط أن لا يؤدي ذلك إلىٰ اختلال الفضائل التي أمر بها الإسلام لكي يضمن حسن العلاقة واستتباب العفة بين الرجال والنساء، والمعروف علمياً أن المرأة والأسرة أمر جوهري".

ولها كتاب رائع عن نساء النبي ﷺ تضمَّن فضلهن ودور الرسول ﷺ في تعليمهن، ودورهن في تعليم نساء الأمة المسلمة، وبينت فيه أن نساء النبي ﷺ يصلحن قدوة لكل نساء البشرية.

* * *

المبحث الخامس

دين الفطرة العقل والإقناع

وهذا رد قاطع علىٰ أكاذيب بابا الفاتيكان، بقوله أن الإسلام لم يحترم دور العقل.

*** أولاً: د. "خوان فيرنيت" الأستاذ بجامعة برشلونة الأسبانية.**

هو وزوجته "ليونور مارتيبينيث" من المهتمين بالثقافة العربية في شبه الجزيرة الأيبرية، وقد قام بترجمة القرآن إلىٰ اللغة الأسبانية، كما قامت زوجته بإعداد كتاب "مختارات من الأدب العربي المعاصر".

يقول: "الإسلام دين عقلاني وبسيط، ليس فيه تحجر، ولهذا فإن العديد من الناس يعتنقونه، وما أن تجدد ظهوره في عالم الغرب حتى أثبت أنه غير ما كان يتصوره عامة الناس في أوربا".

*** ثانيًا: "هربرت ويلز".**

مفكر بريطاني، وهو من المهتمين بمستقبل البشرية ورقيها.

يقول: "إن هذا الإصرار علىٰ التعاطف الرحيم، وعلى التقدير السليم في الحياة اليومية لَوَاحِدٌ من أهم الفضائل في الإسلام، ولكنها ليست الفضيلة الوحيدة إنما يتساوى معها في الأهمية التوحيد الذي لا يقبل المساومة، الخالي من أي رغبة يهودية في احتكار الإله الواحد، وهو ما يؤكده القرآن".

ويقول هربرت عن فطرة الإسلام.

"ولم يترك الإسلام أي ثغرة يمكن أن يظهر من خلالها الكاهن مقدم القرابين من الأنواع القديمة، لقد استطاع الإسلام أن ينتج حتى يومنا هذا، ولقد عرف من أبنائه الأطباء والمهندسون، والوعاظ، ولكنه لا يعرف ولا يملك الكهنة".

كان ديناً مليئاً بروح الحنان والشفقة والكرم والأخوة.

كان ديناً بسيطاً ومفهوماً.

كان هو الغريزة. الفطرة. مع مشاعر الفروسية التي تنتجها الصحراء، ولقد توجه

بناؤه مباشرة إلىٰ أبسط الغرائز المكونة لطبيعة الإنسان العادي، وأكثرهم شيوعاً، وتعامل معها باحترام ورقي "

٣- ويقول عن حضارة العرب والمسلمين: "لم يكن شعوب الأرض فيما بين النهرين أن يدفعوا الضرائب لبيزنطة أو للمدائن أو للمدينة أو للعرب أو للبلاد الفارسية من بينهم جميعاً، كان العرب عرب السنوات العظيمة هم الشعب الأكثر نظافة، الأكثر عدلاً، الأكثر رحمة ".

*** ثالثاً: "ديتريش دينفر"، وهو مفكر ألماني شهير**

سنعرض اختصاراً رحلته لمعرفة الإسلام، والتي ختمها بقوله: "وهكذا بلغت عملية إسلامي مرحلتها النهائية، ولم يبق أمامي حتى أكون مسلماً إلا أن أستسلم وأخشع وأخضع خضوعاً كاملاً لإرادة الله وحكمة الخالق سبحانه وتعالى".

قال: "ذهبت في صيف ١٩٦٦م إلىٰ تركيا وسوريا، وشاهدت شيئاً لن أنساه؛ رأيت في وسط طريق رئيسي في مدينة أزمير برجاً يقع علىٰ قطعة أرض صغيرة، ومن حولها الأعشاب، فرأيت رجلاً يفرش سجادة للصلاة علىٰ الحشيش، ويرفع يده إلىٰ مستوى رأسه، يسكن برهة من الزمن ثم ينحني عند خاصرته، بقيت أتأمل الرجل وأنظر إليه حتى طوى السجادة وهمَّ بالانصراف.

عند ذلك عبرت الطريق إليه، في نيتي أن أسأله عما يفعل، ولم فعل ذلك، فلم أستطع محادثته بالتركية، واكتفى بالابتسام.

عدت إلىٰ ألمانيا، وحاولت الحصول علىٰ المزيد من الكتب عن الإسلام.

بدأت أقرأ وأقرأ كل كتاب يقع في يدي، كان يقول كل شيء مقدر.

فكيف يعاقب الله الإنسان علىٰ ذنب مقدر عليه؟

وأخيرًا قررت أن أدخل الإسلام، ولم أجب علىٰ سؤالي.

وكنت أعزب، والتقيت بزوجة المستقبل، وكانت مسلمة من ماليزيا، وتأثرت كثيراً بزوجتي، هي وضعت كل ثقتها بي فبادلتها الثقة كما اطمأننت إلىٰ دينها، علىٰ الرغم من استمرار قضية القدر شائكة في ذهني.

بعدها بشهر سافرنا إلىٰ سنغافورة، لمقابلة أهل زوجتي، وهناك سألت والد

زوجتي عن إشكالية القدر، قال: صحيح؛ هناك تقدير، إنه القرآن، إنه كله مسجل في القرآن، فإذا بدأت في قراءة سورة من القرآن فأول كلمة تنطق بها "بسم الله الرحمن الرحيم".

فالله ﷻ ليس فقط القاضي والحاكم، بل هو الرحمن الرحيم كذلك

هذه الكلمات القليلة البسيطة كانت بمثابة كشف جديد للأتراك، وانتهت قضية القدر التي ظلت تؤرقني طويلاً وتشغل فكري".

ثم قال: قولته:

"ولم يبق أمامي حتى أكون مسلماً إلا أن أستسلم وأخشع وأخضع خضوعاً كاملاً لإرادة الله وحكمة الخالق سبحانه وتعالى".

فهذه قصة مفكر ألماني مسلم، فيها رد بليغ علىٰ بابا الفاتيكان إن كان عنده عقل وضمير وأمانة علمية.

* * *

المبحث السادس

دين الحضارة والعلم ورفع شأنهما

نعم: إنه دين الحضارة والمدنية.

وإليك أيها القارئ الكريم جمعاً من أقوال علماء الغرب المنصفين.

أولاً: قول "يرنيه مبليه" في بحثه "هل يتفق الإسلام مع المدنية الحديثة ؟

قال: عن خطأ المنشغلين منا بالإسلام هو درس هذا مستقلاً عن الظروف التي كانت تحيط بظهوره، فلو عرفنا كيف كان حال العالم حين ظهر لوقفنا على أسباب انتشاره المدهش".

ثم قال: "لقد استخدم أباطرة الرومان السيف لنشر الدين مما أدى إلى تضعضع ملكهم وانقراضه فضلاً عن الدماء التي أهريقت في سبيل ذلك".

أما الإسلام فقد استعاض عن تعدد درجات الإدارة بسلطة واحدة يرجع إليها الحل والعقد في كل الأمور، ولم يقرر شيئاً من الوساطة بين الله والشعب.

ولم يسن نظام الصوامع.

وقضى على عادة العزوبة الشاملة والتنسك، والخروج من الدنيا، فقرر الانشغال بالدنيا والآخرة معاً.

وبالجملة فإن الإسلام أتى بنظام ملائم لحاجات الإنسان، وكان ذلك سر غلبته، ثم إن الإسلام أرجع الدين على بساطته الطبيعية، ولم يأت بشيء من العقائد الفلسفية، بل قال بوضوح: "لا إله إلا الله".

وبذلك خلا الإسلام من الانتقاء الذي قسم الدول الأوربية، والذي جعل أهل مصر وآسيا الصغرى في حالة استياء من تسلط الدولة البيزنطية، وكيف لا تميل هذه الشعوب الساخطة إلى أهل الإسلام وهم يعلنون أنهم أهل التسامح مع مخالفيهم في الدين ؟!".

قلت: نعم أيها المسلم، وأنت أيها المخالف المعاند، فهذه حقيقة الإسلام واضحة ناصعة كضوء الشمس، لا ينكرها إلا أعمى.

ثانياً: يقول جولد زيهر وهو يتكلم عن ركود المسلمين الحالي:

قال: "إن كثيرين يردون ركود المسلمين الحالي على الدين نفسه، وهي فكرة خاطئة، فقد درينا شؤون المسلمين في أنحاء العالم، وفي كل العصور، فثبت لدينا أن الإسلام براء من كل عناصر التأخر والركود.

إن سبب الاضمحلال والتأخر عند المسلمين راجع إلى أمور خارجية عن الدين نفسه، وأهمها طبيعة الشعوب التي انتحلته وموروثاتها السابقة؛ فإنها لم تتغير ولم تتبدل، وبقيت على حالتها.

ومنها السرف والرفاهية والرخاوة التي اندفع بعض الأمراء في تيارها، فأهملوا الشعوب واللعدل، واكتفوا بالراحة الذاتية والنضال والمكافحة.

ومنها هجوم أوربا على الشعوب الإسلامية، بحجج مختلفة واهية منطوية على المصالح"[1].

ثالثاً: "هاملتون جب": المستشرق الإنجليزي

نقل عن "هاملتون جب" خالد محمد خالد في مقال صحفي في الأهرام.

قال هاملتون: "بعد الهجرة قام في المدينة مجتمع قائم بذاته منتظم في قواعد سياسية تحت قيادة رئيس واحد، وقد كانت فكرة الرسول الثابتة عن هذا المجتمع الديني الجديد الذي أقامه أنه سينظم تنظيماً سياسيًا، لن يكون هيئة دينية منفصلة ومندرجة تحت حكومة زمنية".

رابعاً: قول "إدوارد جيرجيان" مساعد وزير الخارجية الأمريكي لشؤون الشرق الأدنى وجنوب آسيا.

قال: "ونحن كغربيين نعترف بالإسلام قوة حضارية تاريخية من بين الكثير من القوى التي أثرت في ثقافتنا واغتنمناها".

خامساً: "هوغارت" المستشرق الأمريكي.

يقول: "إن الإسلام ليس دولة دينية، ولا دين دولة، وإنما الإسلام دين، وهو في الوقت نفسه دولة، وعلى هذا يكون من المحتم أن يستتبع كل إحياء للشعور الديني إحياء للدين قوة اجتماعية وسياسية".

---

(١) أنور الجندي: الفكر الإسلامي: (١٦٦، ١٦٧).

ويقول عن الوحي:

"إن الوحي الذي يقرر وحدانية الله وزعامة الرسول يعين أيضاً الأهداف الاجتماعية والسياسية للمجتمع الإسلامي"[١]

سادساً: "رايموند شارل" مستشرق فرنسي.

يقول: "الإسلام يرسم طريقاً للتقدم، فهو في مجال الإنتاج يمجد العمل ويحرم كافة صور الاستغلال، وفي مجال التوزيع يقرر أن لكل حد الكفاية كحق إلهيٍّ تكفله الدولة لكل فرد، بغض النظر عن ديانته أو جنسيته، ثم لكل تبعًا لعمله، فالحديث النبوي الشريف يقول: **«لا بأس بالغنى لمن اتقى»** ".

سابعاً: "جورج وينتز" باحث ومترجم أمريكي.

قال في كتابه: "ظهور الإسلام وقيام الدولة العربية ":

"نعود لنتحدث عن حدث من أعجب الأحداث التي عرفها الجنس البشري في تاريخه إطلاقاً، هذا الحدث هو ولادة دين جديد، ما كاد يظهر ظهوره المتواضع حتى اعتنقه أبناء الجزيرة العربية بحماسة، ومن ثم انتشر كالنار الآجة في معظم أنحاء العالم المتمدن، وقد أنتج هذا الدين فترات رائعة حافلة بالعظمة والفن والثقافة، ويعتبر من أهم العصور التي عرفها العالم، وما زال هذا الدين اليوم ديناً حياً يعتنقه أكثر من ثلاث مائة مليون شخص".

ويقول في موضع آخر: "هذه الحركة المنفجرة التي اكتسحت العالم، بالذات في جزيرة العرب وكانت المدينة العاصمة الأولى للإمبراطورية العربية الناشئة، وكان الخلفاء الأولون كما كان محمد من قبل زعماء متواضعين ديمقراطيين مشبعين بروح هذا الدين العظيم".

ثامناً: "جون أوبرت فول" رئيس قسم التشريع/ جامعة نيوهامبشاير الأمريكية.

وقد وضح في حديثه سبب اختيار الإسلام موضوع بحثه ودراسته، قال:

"هناك عدة أسباب من أهمها أنني وجدت أن الإسلام أكثر الأديان ملاءمة للمجتمعات في هذا العصر، كما أنه الدين الوحيد الذي استمر محفوظاً كما أنزل منذ

---

(١) دراسات إسلامية : لمجموعة من المستشرقين الأمريكيين .

تنزيل الوحي علىٰ محمد ﷺ حتى الآن، فضلاً عن أن تعاليم الإسلام وتشريعاته تدل علىٰ شموليته لمختلف جوانب الحياة "

وقد بين دوره في عرض الإسلام فقال:

"إنني ومعي آخرون نبذل الكثير، فمثلاً قررت أن يدرس طلابي بقسم التاريخ بجامعة نيوها مبشاير العديد من سور القرآن الكريم، من بينها سورة الفاتحة باعتبارها أول سور القرآن الكريم في المصحف، وأيضاً السور التي تتحدث عن قصص آدم وإبراهيم ويوسف وموسى وعيسى. عليهم السلام. لأنني أعتقد أن الأديان الثلاثة من أصل واحد، كما أنني ألقي المحاضرات، وأشارك في الندوات عن الإسلام والمسلمين في مختلف الولايات الأمريكية ".

وقد كرمت وزارة الأوقاف عام ١٩٩١م هذا الرجل في ذكرى الاحتفال بالمولد النبوي.

وأختم هذا المبحث بقول لمؤرخ فرنسي كان شديد الحقد علىٰ الإسلام كثير الطعن فيه، وكان حاد النزعة واللسان، ولكن أمام عظمة هذه الحضارة الإسلامية أقر واعترف أخيراً بعظمة الإسلام وفضله علىٰ أوربا والغرب.

أما هذا المؤرخ فهو "فولتير" المؤرخ الفرنسي.

قال: "إن البعثات العلمية كانت قائمة في أوربا علىٰ قدم وساق لإرسالها إلىٰ الأندلس الإسلامية لتلقف العلوم والفنون والصناعات في معاهدها الكبرى، وذلك نتيجة الدعايات التي انتشرت في قصور ومراكز معظم المقاطعات الأوربية في ذلك الوقت كانجلترا وفرنسا وألمانيا وهولندا وتوسكانيا".

هذا قول فولتير في آخر بحثه وطوافه بالدراسات، ما ملك إلا أن يعترف بفضل الإسلام علىٰ أوربا في نهضتها الحديثة.

أقول لبابا الفاتيكان:

أنت أولى وأحق بالرجوع إلىٰ الرشد والحق إن علمته، وإلا فإنا نشك أن عندك ضمير أو دين يدفعك إلىٰ الخير والحق.

* * *

المبحث السابع

دين المستقبل والذي سينقذ البشرية

أقول لبابا الفاتيكان سواء اعترفت بهذه الحقيقة أم لا فإننا معاشر المسلمين لا نقدر لك كلامًا، وإنما حولت نفسك من رجل دين من المفترض أن يقود أتباعه إلىٰ الصدق والرشاد والحق، إلىٰ رجل قد ضلل مئات الملايين من أتباعك الكاثوليك، وسوف أكرر علىٰ أسماعك مقولات علماء ومفكرين غربيين تؤكد بوضوح الشمس أن الإسلام هو الدين المنقذ للبشرية الهادي لها إلىٰ حضارة راقية في الدنيا، ونعيم مقيم في الآخرة.

وعلى أتباعك أن يتحرروا من التعصب الأعمى، وأن يُحَكِّمُوا العقل الذي دعاكم إليه البابا، فإلى هذه المقولات.

أولاً: أقوال "والفوردكا نتول سميث"، المستشرق الأمريكي المعروف.

سبق أن أشرت إلىٰ موسوعة "دراسات إسلامية" بقلم المستشرقين الأمريكيين، ولهذا المستشرق فصل فيها، إليك بعض المقتطفات من كلامه.

يقول: هو مجتمع ليس بالمغامر، لأنه يتأيد بتأييد إلهي وبركات سماوية، إنه مقود باليد الإلهية، ثم إن الله نفسه قد وعد وعداً جازماً بأنه سوف يكون مع هذا المجتمع لتأييده وإرشاده.

ويقول عن القرآن:

"أما سجل رسالته الذي حفظ بدقة تامة فهو ذلك الكتاب العربي. القرآن. حيث تتلألأ الرسالة بتمامها، وهي لغة من الوضوح الصافي والجمال الرائع الأخَّاذ، والمثال الوحيد لتطبيقه بقوة وجاذبيه".

ويقول عن تاريخ صدر الإسلام:

"وكان لتاريخ صدر الإسلام علىٰ هذه البسيطة طابع مميز، وهو النجاح والوضوح، وهذا الفيض تام لطبيعة التاريخ المسيحي، فالعصور الأولى، عصور التكوين للإسلام كانت عصور عمل زمني روحي، وكانت عهد فتح وتألق، حيث انطلق المسلمون منتصرين يفتحون الأقطار المجاورة، فانهارت أمامهم الإمبراطوريات الفارسية والرومية".

ويقول في موضع آخر:

"والحقيقة أن جيوش هذا المجتمع كانت تربح المعارك، وكانت قوانينه تطاع، وصكوكه المالية تقبل في أي مكان، وكان فنه المعماري رائعاً وأخاذاً، وشعره سحرًا، وعمله ضخماً وعلومه الرياضية جزئية مقدامة، وتكنولوجيا نافذة مؤثرة".

ثانيًا: أقوال "د. جاك استروي" أستاذ الاقتصاد الفرنسي.

يقول عن الاقتصاد الإسلامي: "إن طريق الإنماء الاقتصادي ليس محصوراً في الاقتصادين المعروفين الرأسمالي والاشتراكي، بل هناك اقتصاد راجح هو الاقتصاد الإسلامي الذي يبدو. في نظره. أنه سيسود عالم المستقبل، لأنه أسلوب كامل للحياة، يحقق كافة المزايا ويجتنب كافة المساوي".

ويقول في موضع آخر: "إن الإسلام يتمتع بإمكانيات هائلة، وإذا ما وجد الطريق الصحيح مفتوحاً أمامه فإن كثيراً من الصعوبات الاقتصادية سوف يحلها وحده".

ثالثاً: أقوال "نوبل كلسون" أستاذ القانون الدولي في جامعة لندن، وهو المرجعية الأولى لجميع القانونيين المشتغلين بالدراسات القانونية المقارنة.

يقول: النظام القانوني الإسلامي نظام شامل دقيق، إنه نظام حي متفاعل.

ويقول: القرآن جمع أصول الأحكام الفلسفية، وجاء ببعض الأحكام التفصيلية التي يجب أن يتبعها كل مسلم.

رابعًا: أقوال "كوليت جونسون"، مؤلف كتاب الجزائر الخارجة عن القانون.

يقول: "القرآن عنصر فعال في دفع الجزائريين إلىٰ طلب التحرر".

ويقول: "لقد أيقن الجزائريون منذ الأيام الأولى للاحتلال أن هدف الفرنسيين كان القضاء علىٰ الإسلام، ومن أجل ذلك أذكرها جميعاً أن عليهم أن يعتصموا بالإسلام حتى يقدروا علىٰ التحرر".

مجلة الأمة نقلت هذا عنه في وقائع المؤتمر "الغزو الثقافي والمجتمع الإسلامي".

خامساً: د. "هوكنج" أستاذ الفلسفة الأمريكي.

قال: إن الإسلام يستطيع توليد أفكار جديدة وإصدار أحكام مستقلة تتفق وما تتطلبه الحياة العصرية، وفي نظام الإسلام كل استعداد داخلي للنمو، بل إنه من

حيث قابليته للتطور بفضل كثير من النظم المماثلة والصعوبة لم تكن في وسائل النمو ولا نهضة في الشرع الإسلامي، وإنما انعدام الميل نحو استخدامها، وإنني أشعر أنني علىٰ حق حينما أقرر أن الشريعة الإسلامية تحتوي بوفرة جميع المبادئ اللازمة للنهوض.

ويقول قولة عظيمة رائعة فيها نجاة البشرية:

"إن سبيل تقدم الشعوب الإسلامية في اتخاذ الأساليب الغربية التي تدعي أن الدين ليس له أن يقول شيئاً عن حياة الفرد اليومية، وعن القانون في النظم السماوية، وإنما يجب أن يجد المرء في الدين مصدراً أمام مشكلات العصر، وأقول: إنه لا يعدل الإسلام في ذلك مذهب من المذاهب".

سادساً: "مالكوم إليكس" أحد زعماء السود في أمريكا، وهو مسلم.

يقول: "إن أمريكا في حاجة إلىٰ فهم الإسلام؛ لأنه الدين الوحيد الذي يمكنه أن يمحو من مجتمعه كل تعصب عنصري".

ويقول: "لقد عشت أسبوعاً في الحج في خيمة واحدة مع أناس كان شعرهم أشد صفرة من الذهب، وعيونهم كزرقة السماء، فأيقنت أن الإسلام يستطيع القضاء علىٰ سرطان التفرقة العنصرية المستحكمة في صفوف الأمريكيين".

سابعاً: "كريستينا لين جرايس" مواطنة أمريكية أسلمت.

وقد أشهرت إسلامها علىٰ يد شيخ الأزهر، وأسمت نفسها "أميرة عبد الله".

تقول كريستينا "أميرة عبد الله": لقد اقتنعت بالإسلام لأنني وجدت فيه إجابة عن أسئلة عديدة ظلت طويلاً أبحث عن إجابة لها، وجدت فيه أسلوباً وطريقاً واحداً سواء في الصلاة أو في غيرها من العبادات، ووجدت محمداً ﷺ بشراً وليس إلهاً، ويؤكد للناس أنه مجرد رسول ينقل رسالة الله إليهم"، وتقول: "إن التاريخ يؤكد أن الإسلام لم يكن يومًا سبباً لتخلف المسلمين، فقد استطاع المسلمون في الماضي تكوين دولة قوية وصلت إلىٰ أفريقيا وآسيا وأوربا، وعندما بدأ التخلي عن جوهر الإسلام والتعلق بمظاهره وشكله فقط تراجعوا إلىٰ الخلف وتدهورت أحلامهم، التخلي عن الإسلام لن يؤدي إلىٰ التقدم، وإنما يؤدي إلىٰ حياة بعيدة عن الإيمان، تحكمها المادية والانتهازية، وإن الغرب يخشون من الإسلام لأنه يهدد بالقضاء علىٰ المادية التي تحكم مجتمعاتهم".

وتقول "أميرة عبد الله" كريستينا سابقاً:

"إن الإسلام كما بدأ في اجتذاب الفقراء والضعفاء لأنه يحقق العدل والمساواة، فإنه يلقى إقبالاً متزايداً من الأمريكيين، خاصة الزنوج، وبالرغم من حملة الإعلام الأمريكي على الإسلام وتصويره على أنه دين همجي فوضوي وإرهابي فإن الكثيرين من الأمريكيين قد أعلنوا إسلامهم وأصبحوا يكونون جبهة تقوى يوماً بعد يوم".

وأختم هذا البحث **للرئيس الأمريكي "ريتشارد نيكسون"** والذي وضع نقاطاً هامة.

أولها:

التعصب الأعمى للغرب، والعداء للإسلام، وكذا التوجه العدائي في تشويه صورته.

ثانيها:

ما تميز به الإسلام عن الحضارة الغربية من عدل وسماحة، ورحمة وعفة وخلق وترك الإباحية، وهذه نقاط مفقودة في حياة الغربيين.

ثالثها:

عطاء الإسلام للحضارة الغربية من الجانب المعرفي والثقافي والعلمي.

فإلى قول نيكسون:

"إننا ينبغي أن نبدأ باحترام وفهم هذه الشعوب (الإسلامية) التي تشعر بأنه قد أسيئ فهمها، وجرى التميز ضدها، واستغلالها بواسطة القوى الغربية، ولا ينبغي أن نحاول فرض قيمنا عليهم، فبالرغم من أن العالم الإسلامي متخلف عن الغرب في النمو السياسي ؛ حيث لا توجد سوى دولتين إسلاميتين فقط تتمتعان بحكومات ديمقراطية، فإن حضارتنا ليست متفوقة على حضارتهم، إن شعوب العالم الإسلامي كانت أقل انبهاراً بالشيوعية من الغرب، كما ينبغي أن يحتسب لصالحهم رفضهم للمادية والإباحية الأخلاقية، والتي أصبحت سمة الحضارة الغربية لمدة خمسة قرون، من عام ٧٠٠م حتى عام ١١٠٠م فإن العالم الإسلامي كان متفوقاً على العالم المسيحي في القوى الجيوسياسية، وفي مستوى المعيشة وفي التسامح الديني،

والفنون والفلسفة والعلوم والثقافة، ولكن الحروب الصليبية بدلت الأوضاع ؛ فكما قال ديورانت: لقد خسر الغرب الحروب الصليبية، ولكنه كسب معركة الأفكار.

صحيح أنه تم طرد كل جندي مسيحي من الأتراك المقدسة، ولكن العالم الإسلامي المثخن بجراحه الدامية بسبب هذه الحروب ولما عانى منه بعد ذلك بسبب اجتياح التتار فقد وقع في عهود مظلمة من الانحدار والفقر في الوقت الذي استفاد فيه الغرب من الحروب الصليبية التي ساعدته على النضج بما بذله من مجهود فيها، فنسي هزيمته وتعلم الكثير من عدوه السابق، فأقام الكاتدرائيات التي تشق عنان السماء إلى روائع دانتي وغيرها، وانطلق بهمة عالية نحو النهضة الأوربية ".

* * *

الخاتمة

لقد أوردت في هذا الباب بعض آراء علماء الغرب في مدح الإسلام ونبيه، والذين تحلوا بالإنصاف ويقظة الضمير، منهم من أسلم ومنهم من لا يزال علىٰ ملته، وإنما تنظر لهم بعين الامتنان لما قالوه في حق الإسلام، وكذا لأنهم تحلوا بروح التجرد العلمي والأمانة البحثية والمعرفية.

وأقول: كان من الأولى لبابا الفاتيكان . وهو الزعيم الروحي لأكبر طائفة نصرانية في العالم . أن يتحلى بذلك الحياد، وتلك المنهجية الصادقة، أما وإنه لم يفعل، واختار الكذب والتدليس وقلب الحقائق والنقول الفاسدة لإمبراطور بيزنطي فاسد فإنا نقدم له أمام هذا الجهل البين والحقد الظاهر والإساءة البالغة للدين الحق؛ دين الإسلام كما وضحت الشهادات السابقة، والحق ما شهدت به الأعداء، ندعوه إلىٰ الإسلام وإلى أن يصدع بالحق، وأن يكون أميناً، فإن لم يستجب فعلى الأقل عليه أن يدرك المكانة الرئيسية التي يتقلدها، وأن يكون أميناً صادقاً مع طائفته.

وأقول له: إن لم تختر هذه أيضاً فكن شجاعاً وأعلن عداءك للإسلام، وفي هذه الحالة ندعوك، وفي العالم الإسلامي علماء أجلاء، ندعوك للمناظرة العلنية، وأن نسلط الضوء علىٰ المخالفات الكبيرة في عقيدتك.

وعلى سبيل المثال: عقيدة التثليث وصلب المسيح، وكلاهما افتراء وكذب علىٰ الله وعلى المسيح، وأما أهل الإسلام فأقول لهم وأدعوهم للاعتزاز بالإسلام والتمسك بتعاليمه وتشريعاته، ووحدة الصف وجمع الشمل، وذلك عملاً وسلوكاً وفكراً، وأن تعلنها غضبة علمية لهذا الدين، وأن نعلم أن الصراع بين الكفر والإيمان قائم إلىٰ يوم القيامة، وإن الغلبة لهذا الدين.

وخلاصة نصيحتي: أقول لهم نصيحة الرسول ﷺ:

«تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً ؛ كتاب الله وسنتي» وكذا العمل بجد واجتهاد علىٰ جميع الأصعدة، وفي كافة الأزمنة، لإظهار صورة الإسلام، والدعوة في ديار الإسلام، وكذا ديار غير المسلمين، وذلك بعقد

المناظرات العلمية، والدعوة بكل الإمكانيات المتاحة لنصرة هذا الدين.

وصدق الله تعالىٰ: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾ [محمد: ٧].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ خير الرسل أجمعين.

وإلى الباب الثاني، والذي فيه تفصيل أكثر وأقوال كثيرة تؤكد ما أجملته في هذا الباب.

الباب الثاني

وهل يخفى القمر؟!!

وفيه تصل أكثر ونقول أكثر عن علماء الغرب لبيان فضل الإسلام ونبيه ﷺ وهل يخفى القمر؟!!

لا يستطيع أي منصف أن يحجب الحقيقة والنور، ومن يحاول حجب النور فهو كمن يحاول بكف طفل صغير أن يخفي شعاع الشمس أو ضوء القمر، أو إدراج الشمس في قبر أو كهف من كهوف الزمن، ولقد مدح وأثنى علىٰ رسول الله ﷺ كثير من مفكري الغرب، وعدلت في عنوان هذا الفصل عن تسميته "المنصفون للنبي في الغرب" فإن قول بعض أهل الفكر فيه بأنه كان (عبقرياً، عظيمًا، ما شهدت مثله البشرية، أو مصلحاً عظيماً ما جاء مثله مدى الأيام في بلاد العرب) هذا ليس إنصافاً، بل حطاً من مرتبته، فهو رسول الله ﷺ إلىٰ الناس كافة، وهو خاتم النبيين، وأي إنكار لهذه المرتبة والمنزلة ليس إنصافاً، فتمام الإنصاف الاعتراف بنبوته الخاتمة والدخول في دينه.

قال رسول الله ﷺ: **«والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة لا يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»**[(١)].

وأي ثناء علىٰ الإسلام والقرآن أذكره هنا فهو ثناء علىٰ رسول الله ﷺ، فلا يمكن الفصل بين الرسول ﷺ وبين الدين العظيم الذي جاء به، وبين الكتاب المبين والذكر الحكيم الذي أنزل عليه.

ولكن قبل الشروع في بيان أقوال هؤلاء لا بد من ذكر أصل وقاعدة في غاية الأهمية، وهي أن الإسلام ليس بحاجة إلىٰ شهادة غيره من أهل الملل الأخرى؛ ذلك لأن **«الإسلام يعلو ولا يُعْلَى»** كما قال الحبيب المصطفى ﷺ[(٢)]، وإنما أوردنا

---

(١) رواه أحمد ومسلم.

(٢) حسن: رواه الدارقطني (٣/ ٢٥٢)، والبيهقي (٦/ ٢٠٥)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٧٧٨).

شهادتهم من باب ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ [يوسف: ٢٦] وليكون كلامهم حجة علىٰ أنفسهم أولاً ثم حجة علىٰ بني قومهم ثانياً عند الله تبارك وتعالى غداً، وقد كفانا الله سبحانه بإسلامنا العظيم عن شهادة أي ملة ونهج.

قال سبحانه ممتناً علىٰ عباده: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

ونحن ـ بحمد الله ـ نكتفي ونرضى بما رضي لنا به ربنا العظيم جل جلاله، ولو فرضنا أن الكلمات القادمة في مدح الإسلام ونبيه ﷺ لم تصدر من هؤلاء فإن نبينا ﷺ لن ينقص قدره ولن ينزل قيد شعرة من سموه، وسيظل دينه ـ رغم أنف الدنيا كلها ـ هو الدين الحق المصان من التبديل والتحريف، وسيظل محمد ﷺ ـ شاء المتكبرون أم أبو خاتم الأنبياء والمرسلين، والمبعوث بالحق من عند رب العالمين، وشريعته الغراء ناسخة لجميع الشرائع من قبله، ومن زكَّاه الله ﷻ لا يحتاج التزكية مَنْ فَوْقَ التراب، وكيف وهو الشاهد علىٰ الأمم والرسل يوم القيامة!!

فذِكْرُنا لكلام هؤلاء إذن ليس احتجاجاً به ولا تعظيماً له، وإنما هو زيادة في الحجة والبيان علىٰ أن مدح هؤلاء له ﷺ مدح ناقص؛ إذ لا يتم المدح والتعظيم إلا بالدخول في دينه والانصياع لأمره، والله المستعان وعليه التكلان.

وها نحن نشرع في ذكرهم.

* **"جورج برنارد شو"**:

كاتب ومفكر أيرلندي، ولد عام ١٨٥٦م في مدينة "كانيا" وتوفي عام ١٩٥٠م، اشتهر بنقده اللاذع للمجتمع البريطاني، وخاصة في عصر الملكة "فكتوريا" (تُوِّجَتْ ملكةً عام ١٨٣٧وتوفيت عام ١٩٠١م) وقد بلغت الإمبراطورية البريطانية أوجها في العصر الفكتوري، كذلك اشتهر "برنارد شو" بنقده للغرب بوجه عام، وقد حصل علىٰ جائزة "نوبل" في الأدب عام ١٩٢٥م.

* يقول "جورج برنارد شو": "لقد كنت دائمًا أحتفظ لدين محمد عندي بأعلى التقدير، وذلك بسبب حيويته المدهشة؛ إنه الدين الذي يبدو لي أنه يمتلك القدرة علىٰ استيعاب تَغَيُّر أطوار الحياة، بما يجعله مَحِلَّ إعجاب لكل العصور.

لقد درست محمداً ـ ذلك الرجل العجيب ـ وفي رأيي أنه أبعد ما يكون عن من يسمى (ضد المسيح)[1]، ويجب أن يسمى "منقذ الإنسانية".

(1) he must be called the savior of Humanity.

إني أعتقد لو أن شخصاً مثله تولى الحكم المطلق للعالم المعاصر لنجح في حل مشاكله بطريقة تجلب له ما هو في أشد الحاجة إليه من سلام وسعادة.

لقد تنبأت بأن دين محمد سيكون مقبولاً في أوربا الغد، كما أنه بدأ يكون مقبولاً في أوربا اليوم".

وله مؤلف أسماه (محمد) أحرقته السلطة البريطانية.

قال برنارد شو: "إن العالم أحوج ما يكون إلىٰ رجل في تفكير محمد، هذا النبي الذي وضع دينه دائماً موضع الاحترام والإجلال، فإنه أقوى دين علىٰ هضم جميع المدنيات، خالداً خلود الأبد، وإني أرى كثيراً من بني قومي قد دخلوا هذا الدين علىٰ بَيِّنَةٍ، وسيجد هذا الدين مجاله الفسيح في هذه القارة ـ يعني أوربا ـ وإذا أراد العالم النجاة من شروره فعليه بهذا الدين؛ إنه دين السلام والتعاون، والعدالة، في ظل شريعة ممتدة محكمة، لم تنس أمراً من الدنيا إلا رسمته ووزنته بميزان لا يخطئ أبداً، وقد ألفت كتاباً في "محمد" ولكنه صودر لخروجه علىٰ تقاليد الإنكليز".

*** "هاملتون جب":**

يعتبر واحداً من أكبر المستشرقين الإنجليز في العصر الحديث، وهو عضو المجمع العلمي العربي في دمشق، ومجمع اللغة العربية في القاهرة، وهو أستاذ الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة "هارفارد" الأمريكية، ومن كبار مُحَرِّري وناشري "دائرة المعارف الإسلامية".

يقول "هاملتون جب" في كتابه "الإسلام إلىٰ أين؟": "لا يزال لدى الإسلام فضل آخر يبذله من أجل قضية الإنسانية فهو يقف - علىٰ كل حال - أقرب إلىٰ الشرق أكثر من موقف أوربا منه، كما أنه يمتلك تقاليد رائعة فيما يتعلق بالتفاهم والتعاون بين أجناس البشر، فلم يحرز أي مجتمع آخر - غير إسلامي - مثل هذا السجل من النجاح في التوحيد بين ذلك القدر الهائل والمتنوع من الأجناس البشرية بتحقيق المساواة أمام القانون وتكافؤ الفرص للجميع.

ولا يزال الإسلام قادراً على تحقيق مصالحة بين عناصر الجنس البشري وتقاليدها التي تستعصي على التصالح[١].

وإذا قُدِّر أن يحِلَّ التعاون يومًا ما مَحِلَّ التعارض القائم بين المجتمعات الكبيرة في الشرق والغرب فإن وساطة الإسلام تصبح شرطاً لا غنى عنه؛ إذ يكمن بين يديه ـ إلى حد كبير ـ حل المشكلة التي تواجه أوربا في علاقتها بالشرق"[٢].

* **"مايكل هارت"**:

عالم أمريكي معاصر، يتمتع بسعة تخصُّصه في مجالات علمية متعددة مثل الفلك الرياضيات والفيزياء، كما أنه محام ومؤرخ من الهواة، يعمل في وكالة أبحاث الفضاء الأمريكية المعروفة اختصاراً باسم "ناسا".

*يقول "مايكل هارت" في كتابه "المائة" تصنيف لأعظم الشخصيات أثراً في التاريخ" وقد وضع محمداً رسول الله على رأس هذه القائمة: "إن اختياري محمداً ليكون على رأس القائمة لأعظم الشخصيات العالمية في التاريخ قد يدهش بعض القراء، كما أنه قد يكون محل تساؤل من البعض الآخر، لكن محمداً كان هو الإنسان الوحيد في التاريخ الذي بلغ أعلى درجات النجاح على المستويين الديني والدنيوي.

لقد استطاع محمد - رغم أنه جاء من أصول متواضعة[٣] - أن يؤسس وينشر واحدة من أعظم ديانات العالم، كما أصبح زعيماً سياسياً ذا تأثير هائل، واليوم وبعد مرور ثلاثة عشر قرنًا على وفاته، لا يزال تأثيره قوياً واسع الانتشار.

إن أغلب الشخصيات المذكورة في هذا الكتاب "المائة" تتميَّزُ بأنها وُلِدت وتربَّت في مراكز الحضارة، و نشأت في أمم عالية الثقافة، أو ذات أهمية عظمى في السياسة، لكن محمداً ولد عام ٥٧٠ في مدينة مكة، جنوب بلاد العرب التي كانت

---

(1) If even the opposition of the greet societies of East and West is to replaced by cooperation. the mediation of Islam is an indispensable condition. in its hands lies very largly the solution of the proplem with which Euorpe is fased in its relation with East.

(2) H. Gibb Whither Islam? 1932. P. 379.

(٣) بل هو أشرف الناس نسبًا ﷺ.

آنذاك منطقة متخلفة بين بلاد العالم وبعيدة عن مراكز التجارة والفن والمعرفة، ولقد أصبح يتيماً وهو في السادسة من عمره، ونشأ في بيئة متواضعة، وكان أغلب العرب آنذاك وثَنِيِّين، يعبدون آلهة كثيرة، وعندما بلغ محمد الأربعين من عمره صار مقتنعاً بأن الإله الواحد الحق - الله - يكلمه، وأنه اختاره لنشر الدين الحق، غير أن تلك الجيوش العربية الصغيرة - وقد وحدها محمد لأول مرة في التاريخ، ونفخ فيها الإيمان بالإله الواحد الحق روحاً جديدة - ما لبثت أن قامت بسلسلة من الفتوحات تعتبر واحدة من أكثرها مدعاة للدهشة في تاريخ البشرية، وعلى الرغم من أن القوى العددية للعرب في ميدان المعركة لا يمكن أن تكون محل مقارنة مع القوة العددية الهائلة لخصومهم، فإن أولئك العرب المتحمسين سرعان ما فتحوا كل بلاد ما بين النهرين وسوريا وفلسطين، وفي عام ٦٤٢ كانت مصر قد انتُزِعَت من قبضة الإمبراطورية البيزنطية، بينما تم سحق الجيوش الفارسية في المعارك الحاسمة في "القادسية" عام ٦٣٧، و"نهاوند" عام ٦٤٢.

لكن هذه الفتوحات العظيمة - التي تمت تحت قيادة صاحِبَيْ محمد الحَمِيمَيْن وخليفتيه المباشرين، وهما أبو بكر وعمر بن الخطاب - لم تكن هذه الفتوحات نهاية لزحف العرب؛ ففي عام ٧١١ اكتسحت الجيوش العربية شمال أفريقيا بالكامل، حتى وصلت إلىٰ المحيط الأطلسي، ومن هناك استدارت شمالاً، فعبرت مضيق جبل طارقت، ثم سحقت مملكة "القوط الغربيين" في أسبانيا، ولقد بدا آنذاك أن المسلمين علىٰ وشك أن يسحقوا أوربا المسيحية بالكامل، ولكن أخيراً - وفي عام ٧٣٢ - هزم الفرنجة جيشاً إسلامياً كان قد زحف إلىٰ قلب فرنسا، وذلك في معركة بواتيه الشهيرة.

وعلى الرغم من ذلك فإن أولئك البدو القبليين الذين نفخت فيهم كلمات النبي روحاً جديدة قد استطاعوا خلال أقل من قرن من الحرب أن يقيموا إمبراطورية تمتد من حدود الهند إلىٰ المحيط الأطلسي، وكانت أكبر الإمبراطوريات التي عرفها العالم.

وخلال القرون المتلاحقة كان من الطبيعي أن يستمر الدين الجديد في الانتشار بعيداً فيما وراء الحدود الأصلية للفتوحات الإسلامية.

ويعتنق هذا الدين حالياً عشرات الملايين في أفريقيا وآسيا الوسطى، وأيضاً في باكستان وشمال الهند وأندونيسيا، ولقد كان هذا الدين الجديد عاملاً لتوحيد أندونيسيا.

ونظراً لأن عدد المسيحيين في العالم يُقَدَّر تقريباً بضعف عدد المسلمين فقد يبدو غريباً أن يوضع محمد في القائمة قبل عيسى، لكن هناك سببان رئيسان لهذا القرار.

أولهما: أن محمداً لعب دوراً هاماً أبعد أثراً في نشر الإسلام وبيانه، أكثر مما فعله عيسى في المسيحية، فعلى الرغم من أن عيسى كان مسؤولاً عن المبادئ الأساسية للسلوك والتعاليم الأخلاقية في المسيحية فإن القديس "بولس" كان هو المسئول عن وضع قواعد اللاهوت المسيحي وناشر المسيحية الأول، ومؤلف الجزء الأكبر من أسفار العهد الجديد.

أما محمد فقد كان هو المسئول عن وضع قواعد الإسلام والمبادئ الأساسية والتعاليم الأخلاقية، وبجانب هذا قد لعب الدور الرئيسي في نشر العقيدة الجديدة، وترسيخ الممارسة الدينية للإسلام والقرآن يمثل كلماته بالضبط إلىٰ حدٍّ بعيد، علىٰ حين أنه لم يبق لنا مثل هذا التصنيف التفصيلي لكلمات المسيح وتعاليمه.

ولمَّا كان التأثير النفسي لمحمد علىٰ الإسلام أكبر من التأثير المشترك ليسوع المسيح والقديس بولس علىٰ المسيحية، وعلى المستوى الديني الخالص يمكن أن يكون تأثير محمد في تاريخ الإنسانية مثل تأثير عيسى وأكثر من هذا.

وعلى العكس من عيسى فإن محمداً كان زعيماً دنيوياً كما كان زعيماً دينياً، وفي حقيقة الأمر وبصفته القوة المحركة للفتوحات العربية يمكنه أن يكون أكثر الزعماء السياسيين تأثيراً عبر كل العصور، وقد يمكن القول: إن كثيراً من الأحداث التاريخية الهامة كان محتماً وقوعها حتى دون وجود الزعيم السياسي المعين الذي وجهها، لكن مثل هذا القول لا يمكن أن ينطبق علىٰ الفتوحات العربية، فلم يحدث مثل ذلك قبل محمد ولا يوجد سبب يدعو للاعتقاد بأن تلك الفتوحات كان يمكن حدوثها دون محمد.

إن الفتوحات الوحيدة في تاريخ البشرية - والتي يمكن مقارنتها بالفتوحات العربية - هي فتوحات (المغول) في القرن الثالث عشر، والتي يرجع الفضل فيها إلىٰ تأثير «جنكيزخان» لكن فتوحات المغول - رغم امتدادها أكثر من الفتوحات العربية - لم يُكْتَب لها الدوام، ويحتل المغول اليوم نفس المساحة التي كانوا فيها قبل عصر "جنكيزخان".

إن هذا يختلف تماماً عما حدث للفتوحات العربية ؛ إذ تمتد من العراق إلىٰ المغرب سلسلة متصلة من الأمم العربية، لم تتحد فقط في إيمانها بالإسلام، ولكن وَحَّدَهَا أيضاً لغتها العربية وتاريخها وثقافتها، وفوق ذلك نرى أن الفتوحات العربية التي حدثت في القرن السابع لا تزال تلعب دوراً هاماً في تاريخ البشرية حتى اليوم[١]

وبسبب هذا الجمع الذي لا نظير له بين الدين والدنيا أرى أن محمدًا من حقه أن يعتبر أعظم الشخصيات البارزة أثراً في تاريخ الإنسانية"[٢].

*** برنارد لويس:**

ولد عام ١٩١٦، وحصل علىٰ الدكتوراه من جامعة "لندن" عام ١٩٣٩م وهو أستاذ دراسات الشرق الأدنى بجامعة "برنستون" وأستاذ زائر في كاليفورنيا وكولومبيا وإنديانا، وعضو شرف في الجمعية التاريخية التركية، وعضو الجمعية الفلسفية الأمريكية والمعهد الملكي للشؤون الدولية، وعدد آخر من الجمعيات العلمية العالمية.

كتب "برنارد لويس" عن الإسلام يقول: أرسل الله الملك جبريل ليملي القرآن علىٰ محمد، وبهذا يكمل القرآن سلسلة الوحي التي سبقت إلىٰ أنبياء اليهود، وإلى عيسى، ومن ثم يكون محمد أعظم الأنبياء وخاتمهم، ويكون القرآن هو "الكتاب" الأخير والتعبير الكامل عن إرادة الله فيما يتعلق بحياة الناس.

إن المسيحية في إخلاصها إلىٰ "إنسان - إله" إنما تلهم مُثُلاً عليا دنيوية، بينما الإسلام في إخلاصه للقرآن إنما هو حضارة، إذ لا يمكن فصل محتواه الديني عن تنظيم حياة البشر، ذلك التنظيم الذي كان يوضع موضع التنفيذ فوراً بمجرد التنزيل.

لقد كان "قيصر" هو إله روما الإمبراطورية، وبالنسبة للمسيحيِّ يعترف بأن يُعْطَي ما لقيصر لقيصر وما لله لله، أما بالنسبة للمسلم فإن الله هو قيصر[٣] لن يعترف بأي مصدر آخر للسلطة سوى الله.

---

(1) It is this combination of secular and religious influence which I feel entitles Muhammad to be considered the most influential single figure in human history.

(2) M. Hart: the 100 A Ranking of the Most influential persons in history. PP. 33-40.

(٣) يقصد أن المسلم يعتقد أن الله سبحانه هو الحاكم الأوحد . . لكن المسلم لا يمكن أن يشبه الله جل جلاله بقيصر أو بغيره . . تعالى الله عن ذلك . . ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] .

ويتفق المسلمون وغير المسلمين - بوجه عام - على إعطاء كلمة "الإسلام" معنى "التسليم لله" وبخاصة استسلام المؤمن لمشيئة الله، ولقد فُهِمَ الإسلام - في نظر محمد نفسه وفي نظر المسلمين الأوائل - على أنه ليس ديناً جديداً، وإنما هو استمرارية تمثل المرحلة الأخيرة في الصراع الطويل بين الشرك والتوحيد، ولقد كان الأنبياء الكثيرون الموحدون وتلاميذهم - الذين شاركوا في هذا الصراع قبل محمد - كانوا جميعاً مسلمين، وتدل كلمة "الإسلام" على الدين الحق الذي دعا إليه كل المرسلين الذين اختارهم الله.

واليهودية مثلها مثل المسيحية، كانت كل منها مرحلة سابقة في نفس سلسلة الوحي الإلهي، وكانتا في أول أمرهما ديانتين صحيحتين، ولكن بالنسبة للمسلمين فإن بعثة محمد قد نسختهما، فما كان فيهما من حق قد احتوته رسالة النبي، وما كان فيهما من غير الحق إنما جاء نتيجة لما لحق بهما من تحريف.

وعلى المستوى الديني يعتبر الإسلام هو النهاية، ولكن من الجهة التاريخية يمكن النظر إليه باعتباره بداية، فقد كان تأسيساً لدين جديد وإمبراطورية جديدة، وحضارة جديدة[1].

وهنا نقطة هامة كان بناء عليها قدر محمد مختلفاً جذرياً عمّا قدر لعيسى والأنبياء الآخرين، وهي أن حياته قد تميزت بالنجاح الزمني، ومن المؤكد أنه لم يكن في بدء رسالته إلا داعية متواضعاً ومضطهداً - مثل بقية رسل الله - ولكنه بدلاً من أن يُقَاسِيَ الاستشهاد فإذا به يرتفع إلى السلطة[2]، إن الإسلام منذ بدايته وهو مرتبط بممارسة السلطة السياسية، والذي حدث أن جماعة المسلمين بالمدينة كونت أيضاً دولة، ثم كان على الأحداث التي تَعْقُبُ ذلك أن تجعل منها نواة لإمبراطورية.

لقد كان الله في نظر المسلمين هو المصدر الأسمى للسلطة، ومنه استمد النبي سلطته وشريعته نفس الوقت، ولقد كان النبي هو مبلغ وحي الله، ورسول العناية الإلهية، والرئيس المفوض من الله لقيادة جماعة المؤمنين، لقد علّم يسوع المسيحيين أن يُعْطُوا لقيصر ما لقيصر وأن يعطوا ما لله لله، وخلال ثلاثة قرون من الصراعات

(1) La fondation d'une nouvelle religion empire, d'une nouvelle civilisation.

(2) L'Islam dès ses débuts, s'engagea dans l'exercice du pouvoir politique. Il se trouvait que la communauté musulmane de Médine constituait aussi un Etat, les événements qui allaient suivre devaient en faire le noyau d'un empire.

والاضطهادات توطد بصلابة هذا الفصل بين السلطتين، الدينية والزمنية في العقيدة المسيحية وممارستها، ولقد أقامت الديانة المسيحية مؤسساتها المنفصلة عن مؤسسات الدولة، إذ أقامت الكنيسة وطبقة الكهنوت المسيحي.

ولقد حدث التغيير الكبير مع تحوُّل الإمبراطور الروماني "قسطنطين" إلىٰ المسيحية وابتداء علاقات سيئة في صدر المسيحية بين الكنيسة والدولة[١].

إن هذا الفصل بين السلطتين (الدينية والزمنية) غير موجود علىٰ الإطلاق في الإسلام، كما أن هناك زوجين من الكلمات، مثل "دنيوي نجس، وديني"، "روحي، وزمني"، لا يوجد لهما مكافئ في العربية الفصحى، وفي "روما" كان "قيصر" هو الله، وفي المسيحية تقاسم قيصر والله المسيحية، أما في الإسلام فإله هو قيصر.

وعندما مات محمد كانت بعثته الروحية والنبوية قد اكتملت، وكانت مهمته - التي حددها الله - هي استعادة التوحيد الحقيقي الذي علمه الأنبياء السابقون - لكنه ما لبث أن تعرَّض للتحريف والفساد - ثم القضاء علىٰ الوثنية، وتبليغ الوحي الذي جدد الدين الحقيقي والشريعة الإلهية، وكان هذا ما فعله محمد أثناء حياته، وعند موته عام ١١هـ ٦٣٢م كانت إرادة الله قد أوحى بها كاملة إلىٰ البشر، ولن يكون بعد ذلك نبي أو وحي آخر.

وإذا كانت المهمة الروحية قد انتهت، فلا تزال هناك مهمة دينية أخرى يجب تحقيقها، ألا وهي الحفاظ علىٰ الشريعة الإلهية، والدفاع عنها، وإخضاع بقية البشرية إلىٰ الدين[٢]، وقد تطلب إنجاز مثل هذا العمل ممارسة قوة سياسية وعسكرية، أو باختصار ممارسة سيادة داخل دولة[٣].

---

(1) Cette séparation de deux pouvoirs n'existe nullement dans l'Islam ; d'ailleurs, des couples de mots tells que «profane et religieux», «spirituel et temporal» n'ont pas d'équivalents en arabe classique. A Rome, César Etait Dieu, durant la période chrétienne, Dieu et César se partageaient le pouvoir. Dans L'Islam, dieu est César.

(2) L'accomplissement d'une telle tâche exigeait l'exercice d'un pouvoir politique et militaire, en un mot, d'une souveraineté au sein d'un état.

(3) on prétend parfois que la religion islamique s'est imposée par la force. Cela est inexact.

ويزعم أحيانًا أن الدين الإسلامي قد فُرِض بالقوة، لكن هذا القول غير صحيح - ولو أن عمليات الفتح قد ساهمت إلىٰ حد كبير في امتداد الإسلام والعروبة، فبعد وفاة النبي بقرن، وفي إمبراطورية واسعة يحكمها ورثة محمد، وتضم العديد من الأقطار والشعوب كان الإسلام هو الدين السائد، وكانت اللغة العربية تحُلُّ سريعاً محل اللغات الأخرى، وتفرض نفسها، وخاصة في الإدارة والتجارة والتعليم.

لقد قامت حضارة أصيلة مستوحاة من العقيدة الإسلامية، ومتمتعة بحماية الدولة الإسلامية، ومدعمة بثراء اللغة العريقة، حضارة تنمو وتتسع وتعيش طويلاً، وقد صنعها الرجال والنساء من مختلف الأعراق والديانات، وقد اصطبغ كل شيء فيها بالعروبة والمبادئ والقيم الإسلامية[1].

*** الفيلسوف الشهير "لاون تولستوي" الروسي:**

تولستوي (١٨٢٨ - ١٩١٠) مؤلف قصصي، اشتغل بالإصلاح، وهو كاتب روسيا الأعظم، ثار علىٰ الزعماء من حكام "واكليروس" فمهد السبيل للثروة ولانتشار الشيوعية.

قال في كتابه "الإنسان والحياة": "وقد صَدَّقَت عائلة النبي محمد برسالته، وكذلك علي بن أبي طالب وزيد، وانضم إليه أبو بكر وخديجة بنت خويلد - وهي أول من أسلم من النساء-".

إلى أن قال: "إن محمداً نبي الإسلام - الذي آمن به الآن أكثر من مائتي مليون نفس - قد قام بعمل عظيم جداً؛ فإنه هدى الوثنيين - الذين قضوا حياتهم بالحروب الأهلية وسفك الدماء وتقديم الضحايا البشرية - إلىٰ معرفة الإله الواحد، وأنار بصائرهم بنور الإيمان، وأعلن أن جميع الناس متساوون أمام الله سبحانه.

والحق الذي لا مرية فيه أن محمداً قام بعمل عظيم وانقلاب كبير في العالم".

وقال في كتابه "حكم محمد": ومن أراد أن يتحقق ما عليه الدين الإسلامي من التسامح عليه أن يطالع القرآن الكريم بإمعان، ذلك الكتاب الذي جاء به محمد، وقد جاءت فيه آيات كريمة تدل علىٰ روح الإسلام السامية فمنها الآية الكريمة: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ

(1) Bernard Lewis. L'Islam d'hier à Aujourd'hui, pp 9-11. 16. 20.

قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

يقول الدكتور عبد الحليم محمود: "ومن مآثره الكريمة أنه حينما رأى الحملة الظالمة على الإسلام وعلى رسول الإسلام ﷺ كتب رأيه في هذا الدين الذي أعجب به، وتحدث عن رسوله الذي نال إكباره، وكان جزاؤه على ذلك - أي على كلمة الحق التي يدين بها - أن حرمه البابا من رحمة الله، فكان ذلك - كما يقول الشيخ محمد عبده مخاطباً الأديب الكبير: فليس ما حصل لك من رؤساء الدين سوى اعتراف منهم - أعلنوه للناس - أنك لست من القوم الضالين".

يقول "تولستوي": "لا ريب أن النبي محمداً ﷺ من كبار عظماء الرجال المصلحين الذين خدموا الهيئة الاجتماعية خدمة جليلة.

ويكفيه فخراً أنه هدى أمة برمتها إلى نور الحق تجنح _ تخضع _ للسكينة والسلام، وتفضل عيشة الزهد، وتكف عن سفك الدماء وتقديم الضحايا البشرية.

ويكفيه فخراً أنه فتح لها طريق الرقي والتقدم والمدنية، وهذا عمل عظيم لا يقوم به إلا شخص أوتي قوة وحكمة وعلماً، ورجل مثله جدير بالاحترام والإجلال"[1].

*** "توماس كارليل" الإنجليزي:**

توماس كارليل (١٧٦٢ - ١٨٠٥) مستشرق إنجليزي، أحد كبار كتاب الإنجليز، أخذ العربية في بغداد، وكان أستاذاً للعربية في "كمبردج" ببريطانيا.

"كارلايل" أحد كبار كتاب الإنجليز، شاعريُّ النزعة والفطرة، مُتَحَرِّرٌ من الرياء والخبث، يتتبع البطولة، فيكتب عنها ويمتدحها، ويحبب الناس في السمو بأنفسهم إلى منازل الأبطال - أو على الأقل إلى التشبه بهم - وقد أثار كتابه "الأبطال" إعجاباً في ميدان الفكر العالمي، وتُرْجِم إلى كل اللغات الحية، وحينما ترجمه محمد السباعي - رحمه الله - إلى اللغة العربية أثار الكثير من الإعجاب، وقد كان لأسلوب الأستاذ "السباعي" البارع أثر في انتشار الكتاب، ومن لم يقرأه لمعانيه

(١) "أوربا والإسلام" للدكتور عبد الحليم محمود (ص٦٤ - ٦٥) دار المعارف، وآفاق جديدة للدعوة الإسلامية في عالم الغرب (ص ١٢٠) للأستاذ أنور الجندي أ مؤسسة الرسالة.

قرأه لأسلوبه، وفي هذا الكتاب فصل مستفيض عن حياة الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - نقتطف منه ما يلي:

"من العار أن يُصْغِيَ أي إنسان متمدن من أبناء هذا الجيل إلىٰ وهم القائلين: إن دين الإسلام كذب، وإن محمداً لم يكن علىٰ حق.

لقد آن لنا أن نحارب هذه الادعاءات السخيفة المخجلة، فالرسالة التي دعا إليها هذا النبي ظلت سراجاً منيراً أربعة عشر قرناً من الزمان لملايين كثيرة من الناس، فهل من المعقول أن تكون هذه الرسالة التي عاشت عليها هذه الملايين وماتت أكذوبة كاذبة، أو خديعة مخادع؟! ولو أن الكذب والتضليل يروجان عند الخلق هذا الرواج الكبير لأصبحت الحياة سخفاً وعبثاً، وكان الأجدر بها ألاَّ توجد.

هل رأيتم رجلاً كاذباً يستطيع أن يخلق ديناً، ويتعهده بالنشر بهذه الصورة ؟!

إن الرجل الكاذب لا يستطيع أن يبني بيتاً من الطوب، لجهله بخصائص مواد البناء، وإذا بناه فما ذلك الذي يبنيه غلا كومة من أخلاط هذه المواد، فما بالك بالذي يبني بيتاً دعائمه هذه القرون العديدة، وتسكنه هذه الملايين الكثيرة من الناس؟!

وعلى ذلك فمن الخطأ أن نعد محمداً رجلاً كاذباً متصنعاً متذرعاً بالحيل والوسائل لغاية أو مطمع أو يطمح إلىٰ درجة ملك أو سلطان أو غير ذلك من الحقائر والصغائر، وما الرسالة التي أداها إلا الصدق والحق الصراح، وما كلمته إلا صوت حق صادق صادر من العالم المجهول . كلا، ما محمد بالكاذب، ولا الملفق، وإنما هو قطعة من الحياة قد تفطَّر عنها قلب الطبيعة، فإذا هو شهاب قد أضاء العالم أجمع، ذلك أمر الله . . وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء".

أحب محمداً لبراءة طبعه من الرياء والتصنع، ولقد كان ابن الصحراء المستقل بالرأي، لا يعتمد إلا علىٰ نفسه، ولا يدعي ما ليس فيه، ولم يكن متكبراً، ولا ذليلاً، فهو قائم في ثوبه المرقع، كما أوجده الله، يخاطب بقوله الحر المبين أكاسرة العجم وقياصرة الروم، يرشدهم إلىٰ ما يجب عليهم لهذه الحياة، والحياة الآخرة.

وما كان محمد بعاشق قط، ولا شاب قوله شائبة لعب ولهو، فكانت المسائل عنده مسألة فناء وبقاء، أما التلاعب بالأقوال، والعبث بالحقائق، فما كان من عادته قط.

ويزعم المتعصبون أن محمداً لم يكن يريد بدعوته غير الشهرة الشخصية ومفاخر الجاه والحياة والسلطان، كلا واسم الله، وايم الله لقد كان في فؤاد ذلك الرجل الكبير ابن القفار والفلوات، المتوقد المقلتين، العظيم النفس، المملوء رحمة وخيراً وحناناً وبراً وحكمة وحجى: أفكار غير الطمع الدنيوي، وأهداف سامية، ونواياه غير طلب الجاه والسلطان، وكيف وتلك نفس صافية كبيرة، ورجل من الذين لا يمكنهم إلا أن يكونوا مخلصين جادين، فبينما ترى آخرين يرضون بالإصلاحات الكاذبة، إذ ترى محمداً لم يرض أن يَتَلفَّعَ بمألوف الأكاذيب، ويتوشح بمتع الأباطيل، لقد كان متفرداً بنفسه العظيمة، وبحقائق الأمور.

ويزعم الكاذبون أن الطمع وحب الدنيا هو الذي أقام محمداً وأثاره!! حمق وسخافة، وهوس إن رأينا رأيهم، أية فائدة لرجل علىٰ هذه الصورة في جميع بلاد العرب، وفي تاج قيصر وصولجان كسرى جميع ما بالأرض من تيجان ؟!

لم يكن كغيره يرضى بالأوضاع الكاذبة، ويسير تبعاً للاعتبارات الباطلة، ولم يقبل أن يتشح بالأكاذيب والأباطيل.

لقد كان منفرداً بنفسه العظيمة، وبخالق الكون والكائنات، لقد كان سِرُّ الوجود يسطع أمام عينه بأهواله ومحاسنه ومخاوفه.

لهذا جاء صوت هذا الرجل منبعثاً من قلب الطبيعة ذاتها، ولهذا وجدنا الآذان إليه مصغية، والقلوب لما يقول واعية.

لقد كان زاهداً متقشفاً في مسكنه ومأكله ومشربه وملبسه، وسائر أموره وأحواله، فكان طعامه عادة الخبز والماء، وكثيراً ما تتابعت الشهور ولم توقد بداره نار.

فهل بعد ذلك مكرُمَةٌ ومفخرة ؟ فحبذا محمد من رجل متقشف خشن الملبس والمأكل، مجتهد في طاعة الله دائب في نشر دين الله، غير طامح إلىٰ ما يطمح إليه غيره من رتبة أو دولة أو سلطان.

ولو كان غير ذلك لما استطاع أن يلقى من العرب الغلاظ احتراماً وإجلالاً وإكباراً، ولما استطاع أن يقودهم ويعاشرهم معظم وقته ثلاثاً وعشرين حجة وهم ملتفون حوله، يقاتلون بين يديه ويجاهدون معه، ولقد كان في قلوب العرب جفاء وغلظة، وكان من الصعب قيادتهم وتوجيههم، لهذا كان من يقدر علىٰ ترويضهم وتذليلهم بطلاً - وايم الله -.

ولولا ما وجدوا فيه من آيات النبل والفضل لما خضعوا لإرادته، ولما انقادوا لمشيئته.

وفي ظني أنه لو وضع قيصر بتاجه وصولجانه وسط هؤلاء القوم بدل هذا النبي لما استطاع قيصر أن يُجتَمَع علىٰ طاعته كما استطاع هذا النبي في ثوبه المرقع.

وقال(ص٧) منه: "لقد أصبح من العار علىٰ أي متمدن أن يُصْغِيَ إلىٰ ما يُظَنُّ من أن دين الإسلام كذب، أو أن محمداً كذاب، وقد آن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة، فهل رأيتم رجلاً كاذباً يستطيع أن يوجد ديناً ؟! والله إن الرجل الكاذب لا يبني بيتاً من الطوب".

وقال (ص٥٣) منه تحت عنوان "تأثير الإسلام علىٰ العرب وفضله عليهم": "لقد أخرج الله العرب بالإسلام من الظلمات إلىٰ النور، وأحيا به من العرب أمة هامدة، وهل كانت إلا فئة من جوالة الأعراب، خاملة فقيرة تجوب الفلاة مند بدء وجودها لا يسمع لها صوت ولا تُحَسُّ منها حركة، فأرسل الله لهم نبياً بكلمة من لدنه، ورسالة من قِبله، فإذا الخمول قد استحال شهرة، والغموض نباهة، والضعة رفعة، والضعف قوة، وسع نوره الأنحاء وعم ضوؤه الأرجاء، وعقد شعاعه الشمال بالجنوب، والمشرق بالمغرب، وما هو إلا قرن بعد هذا الحادث حتى أصبح لدولة العرب رِجْلٌ في الهند ورِجْلٌ في الأندلس، كل ذلك بنور الفضل و النبل والمروءة والبأس والنجدة، ورونق الحق والهدى، وما زال للأمة العربية رقي في درج الفضل، وتعريجٌ إلىٰ ذرى المجد، ما دام مذهبها اليقين ومنهاجها الإيمان".

وقد وصف المستشرق المذكور محمداً أكمل وصف وأثنى عليه أعظم الثناء في كتابه "الأبطال" فقد أسهب في وصف عبقريته وبطولته في نبوته.

*** "فولتير":**

بعد أن كتب فولتير مسرحيته الشهيرة: "التعصب أو محمد النبي" ووصفه بأنه كان دجالاً ومستبداً تُحَرِّكُهُ الشهوات الحسية، ومتعطشاً للدماء، تراجع "فولتير" رويداً رويداً عن أباطيله في الإسلام ونبيه.

لقد جمع "القاموس الفلسفي" لـ "فولتير" مقالاته في مختلف الموضوعات مرتبة ترتيباً أبجدياً، ونجد في المجلد السابع من هذا القاموس حديثاً عن القرآن.

يقول فيه "فولتير"[١]: "لا يزال القرآن في واقع الأمر يشتهر إلىٰ اليوم بأنه الكتاب الأكثر تميزاً وسمواً، الذي كتب بهذه اللغة (العربية)، لقد ألصقنا بالقرآن ما لا نهاية له من السفاهات التي لم تكن به علىٰ الإطلاق، لقد كان هذا موجَّهًا بالدرجة الأولى ضد الترك الذين أصبحوا من أتباع محمد، فكتب رهباننا الكثير من كتب المطاعن هذه، إذ لم تكن هناك وسيلة تمكنهم من مواجهة فاتحي القسطنطينية خلاف ذلك، كما أن مؤلفينا والذين هم في كثرتهم الهائلة أكبر عدداً من جنود الإنكشارية لم يجدوا صعوبة تذكر في جعل نسائنا في صفهم[٢]، لقد أقنعوهن بأن محمداً لم يعتبرهن ضمن الحيوانات الذكية، وأنهن جميعاً إماء وفق شريعة القرآن، ولن ينلن أي خير في هذه الحياة، وفي الحياة الآخرة لا نصيب لهن في الفردوس علىٰ الإطلاق!

من الواضح أن كل هذا كذب وبطلان اعتقدوا فيه بكل قوة.

كان يكفي مع ذلك قراءة السورتين - الثانية والرابعة - من القرآن حتى يهتدي الناس إلىٰ الحق، ففيهما التشريعات التالية[٣] التي ترجمها كلٌ من "دي رير" الذي

---

(1) En effet, Le Coran passe encore aujourd'hui pour le plus élégant et le plus sublime qui ait encore été écrit dans cette langue. Nous avons imputé au Coran une infinité d'impudences qui n'y furent jamais.

(2) Ils leur persuadèrent que Mahomet ne les regardait pas comme des animaux intelligents qu'elles étaient toutes esclaves par les lois de l'alcoran; qu'elle ne possède aucun bien dans ce monde, et aucune part dans l'au-delà.

(٣) ذكر «فولتير» ثماني مجموعات من الآيات نوردها كما هي، مع بيان اسم السورة ورقم الآية في الهامش:

١ - ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ﴾ [البقرة: ٢٢١].

٢ - ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ﴾ [البقرة: ٢٢٦].

٣ - ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا﴾ ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٢٩ - ٢٣٠].

٤ - ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ﴾.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ ۚ﴾ [النساء: ٣٤ - ٣٥].

٥ - ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ﴾ ﴿وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۝٥﴾ [النساء: ٤، ٥].

=

عاش مدة طويلة في القسطنطينية، و"ماراكي" الذي لم يزرها أبداً، ثم سأل المستشرق الإنجليزي الذي عاش خمساً وعشرين سنة بين العرب.

إن في هذا ما يكفي لعمل مصالحة بين النساء ومحمد الذي لم يعاملهن أبداً بمثل تلك الشدة المزعومة، كما أننا لا نستطيع أن ندينه علىٰ عقيدته في الإله الواحد؛ فهذه هي كلمات السورة رقم (١١٢) تقول: ﴿ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾.

إنني أقول: إن هذه الكلمات أخضعت له الشرق أكثر مما فعل سيفه.

وفي كلمة موجزة: فإن شريعته صالحة، وعقيدته تدعو إلىٰ الإعجاب"[1].

كذلك كتب "فولتير" مقالاً جاء في المجلد الثامن من قاموسه الفلسفي بعنوان: "المحمديون" قال فيه مخاطباً مواطنيه - وخاصة طبقة الكهنوت الذين يتزعمون حملة التشهير بمحمد ودينه وأتباعه[2] -: "أكرر لكم القول - أيها الجهلة الأغبياء الذين خدعهم جهلة آخرون، إذ أقنعوكم بأن الديانة المحمدية ديانة شهوانية ولذات جسدية بينما هي ليست شيئاً من ذلك - لقد خُدِعْتُم في هذا الموضوع، كما خدعتم في موضوعات أخرى كثيرة.

أيها الأساقفة والرهبان والقسس إذا فرض عليكم الإيمان أن تمتنعوا عن الطعام والشراب من الساعة الرابعة صباحاً حتى العاشرة مساءً في شهر يوليو، عندما يحل الصوم في هذا الوقت القائظ، وإذا حرم عليكم لعب الميسر وإلا حلت بكم اللعنة،

= ٦ - ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ﴾ ، ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ﴾ [النساء: ١٩، ٢٠].

٧ - ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ .... وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ﴾ [النساء: ٢٥].

٨ - ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

(1) DICTIONNAIRE PHILOSOPHIQUE de VOLTAIRE,TOME VIL, PP 46-8.

(2) Je vous le dis encore, ignorants, imbéciles, à qui d'autres ignorants ont fait accroire que la religion mahometane est voluptueuse et sensuelle,il n'en est rien, on vous a trompés sur ce point comme sur tant d'autres.

وإذا حرمت عليكم الخمر تحت التهديد بالجزاء نفسه، وإذا فرض عليكم الحج مرة في الصحاري المحرقة، وإذا فرض عليكم إعطاء ٢,٥% علىٰ الأقل من دخلكم السنوي إلىٰ الفقراء، و إذا كنتم معتادين علىٰ التمتع بثمانية عشرة امرأة، فإذا بمن جاء في ضربة واحدة ليقطع منهن أربع عشرة امرأة - ليبقي منهن أربعة فقط - فهل تجرؤون بعد ذلك علىٰ القول - مخلصين -: إن هذه الديانة ديانة شهوانية ؟!

إني أمقت الافتراء علىٰ الناس، لدرجة أني لا أقبل إلصاق التهم حتى بالأتراك - مهما كانت كراهيتي لهم لسوء معاملتهم للنساء، ولعداوتهم للفنون - لكن هناك من يؤمنون بضرورة القتال دون توقف ! وإذا ما تم هدم ضلالة فإنه يوجد دائمًا من يعمل علىٰ بعثها من رقدتها واستبقائها"[1].

لقد دافع فولتير عن الإسلام ونبيه والمسلمين قدر استطاعته، وحسب ما توافر لديه من معلومات ودراسات، وذلك في عصر الاستعمار العاتي وسطوة الكنيسة وشيوع التعصب الأعمى وإذا كان فولتير قد أبطل الفرية التي تزعم أنه لا مكان للمرأة في الجنة، وأنها في الإسلام حكر علىٰ الرجال، فمن عجب أن هذا الزعم الباطل لا يزال يتردد إلىٰ الآن في الغرب!!

ففي يناير ١٩٩٣ يسأل شاب مسلم في ألمانيا كاتب هذه السطور عن الرد العلمي علىٰ ذلك الزعم الباطل !!

لقد أجاب فولتير عن ذلك قبل أكثر من مائتي عام، وأجاب غيره إجابات أخرى أكثر استفاضة وتنوعاً.

يقول فولتير عن الإسلام والقرآن ومحمد: "إن معتقدات بمثل هذه البساطة قد جذبت بسرعة الاحترام والثقة في دينه، وإن عقيدة الإيمان بوحدانية الله دون غموض - والتي هي متوافقة مع الفهم البشري - قد جلبت تحت شريعته جماهير كبيرة من الأمم ما بين الشعوب السوداء في أفريقيا إلىٰ شعوب الجزر المتناثرة في المحيط الهندي.

هذا الدين يسمى (الإسلام) - أي الخضوع لإرادة الله - وهذه الكلمة الفريدة (الإسلام) لا بد لها أن تجلب مهتدين كثيراً إلىٰ هذا الدين[2].

---

(1) ibid, TOME VIII P 43.

(2) ce ne fut point par les armes que l'Islam s'était répandu dans plus de la moitié de l'hemisphère, ce fut par l'enthousiasme, par la persuasion .

إن الإسلام الذي يعتنقه أكثر من نصف من يعيشون في نصف الكرة الأرضية، ما كان أبداً باستخدام السلاح، وإنما انتشر بالحماس، وبالقدرة على الإقناع، ثم على وجه الخصوص بالمثال الذي ضربه المنتصرون.

فبمجرد أن اجتاز العرب - المسلمون - حدود بلادهم التي لم يكونوا قد بارحوها من قبل حتى ذلك الوقت فإنهم لم يجبروا أحداً من الأجانب على الدخول في الإسلام، لقد أعطوا الشعوب التي خضعت لهم حرية الاختيار ما بين أن يكونوا مسلمين أو أن يدفعوا لهم الجزية . . وعندما فقدوا حيازتهم بعد ذلك لأقاليم في آسيا استولى عليها الأتراك والتتار فإنهم جعلوا من قاهريهم مهتدين جدداً إلى الإسلام، وصار الفوضويون التتار شعباً مسلماً كبيراً، ومن هنا يظهر الواقع، أنهم حولوا إلى الإسلام شعوباً أكثر في البلاد التي لم تخضع لهم.

والقليل الذي أريد أن أقوله إنما يكذب تماماً كل ما يقوله لنا مؤرخونا وخطباؤنا وأحكامنا المسبقة، ولكن الحقيقة لا بد أن تقال وأن تصفعهم ".

وفي استعراض مقارن لما يوجد في بعض الديانات يقول فولتير: "لا توجد أبداً ديانة لم تأمر بإعطاء الصدقات، لكن الإسلام هو الدين الوحيد الذي جعل منها أمراً شرعياً إيجابيًا لا غنى عنه.

وبين القواعد السلبيـة - وأعني بذلك التي تحض علـى الامتناع عن فعل شيء ما - سوف لا نجد سوى التحريم العام على كل الأمة المسلمة أن تشرب الخمر، وهذا شيء جديد بين الديانات، وتشريع خاص بالإسلام والمسلمين فقط.

ولربما كان تحريم جميع أنواع الميسر والقمار هو التشريع الإسلامي الذي لا نجد له نظيراً في أي دين أخر سوى الإسلام"[1]

وقال في كتابه "محمد": إن في نفس محمد لشيئاً عجيباً طريفاً رائعاً يحمل الإنسان على الإعجاب والتقدير، ولعمري إن الرجل وقف وحده يدعو إلى الله، ويتحمل الأذى في سبيل هذه الدعوة سنوات عديدة، وأمامه الجموع المشركة تعمل جهدها لمعاكسته وقتل فكرته، إنه إذاً يستحق كل تقدير وتمجيد، ثم إنك لتراه في أدوار حياته هو نفسه لا يسحب يده من صديق، محبب للأطفال الذين كان لا يمر بهم إلا تلطف معهم ووقف بينهم باسماً متواضعاً، والواقع أن المزايا التي كان ينعتهم بها محمد تمحق الانتقاد محقاً ولا تترك مكانه إلا الإعجاب به والتقدير لشخصه" ا هـ.

---

(1) oeuvres de voltaire tome 3, partis, 1835 pp- 99, 100.

* "إدوارد جيبون" :

ولد "إدوارد جيبون" في إنجلترا عام ١٧٣٧، كان عضواً في البرلمان، وقد بدأ حياته الأدبية عام ١٧٦١ وظهر الجزء الأول من مصنفه الضخم "انحدار الإمبراطورية الرومانية وسقوطها" عام ١٧٧٦ ثم استكمل بقية الأجزاء حتى ظهر آخرها عام ١٧٨٨، وقد توفي في لندن عام ١٧٩٤.

أفرد "إدوارد جيبون" الباب الخمسين من كتابه "انحدار الإمبراطورية الرومانية وسقوطها" للحديث عن الإسلام، وقد كتب مصنفه هذا في عصر حروب وتوسع استعماري، ووسط مخاوف تجتاح أوربا من قوة الإسلام المتمثلة آنذاك في الإمبراطورية العثمانية التي كانت قد توسعت في بلاد أوربية كثيرة، فاحتلت شبه جزيرة البلقان، وهددت إيطاليا والفاتيكان، وأخضعت المجر، وحاصرت فيينَّا عام ١٦٦٣.

فكان الخوف من الإسلام هو الشغل الشاغل لصانعي القرار في الغرب، وكانت محاولات التشويه ونشر الأكاذيب حول الإسلام ونبيه هي السلاح الرخيص في أيديهم، ولم يستطع "جيبون" التخلص من أسر الأفكار الشائعة حول الإسلام ونبيه - مثل كثير غيره - ومع ذلم فهذا بعض ما كتبه:

"إن عبقرية النبي العربي وسلوكيات أمته وروح ديانته، كل ذلك يتضمن أسباب انحدار الإمبراطورية الرومانية الشرقيةوسقوطها، وإن أنظارنا لتتجه في دهشة نحو واحدة من أكبر الثورات الجديرة بالذكر في العالم، والتي طبعت بعمق أثراً جديداً وخالداً في أمم الأرض.

إن مسيحيي القرن السابع (عند ظهور الإسلام) قد ارتدُّوا - دون أن يدروا - إلىٰ ما يشبه الوثنية، وكانوا يحلفون - في أمورهم الخاصة والعامة - بالصور والآثار الدينية التي كانت تملأ بالخزي كنائس الشرق، وبدت أسرار التثليث والتجسد في تناقض مع توحيد الله، فالمعنى الواضح لذلك هو القول بثلاثة آلهة متساوية، وتحويل الإنسان "يسوع" إلىٰ جوهر ابن الله، وكانت كل طائفة من الطوائف الشرقية في هوس بالغ من أجل الإقرار بأن جميع من عداها من المسيحيين يستحقون اللوم والخزي بسبب وثنيتهم وشركهم[1].

(1) Bigui - The creed of Mahomet is free suspicion or ambiguity; the Koran is a glorious testimony to the unity of God.

إن عقيدة محمد خالية من الشك أو الغموض، والقرآن شهادة مجيدة علىٰ وحدانية الله، ومن الهند حتى مراكش يشتهر المهتدون إلىٰ دينه باسم "الموحدين" وقد انزاح خطر الوثنية بتحريم الإسلام للصور.

إن مواهب محمد تجعلنا نكيل له المديح، إلا أن نجاحه ربما كان هو الذي جذب بقوة انتباهنا إليه، وإن ما يستحق إعجابنا ليس انتشار ديانته، وإنما استمراريتها[1] إن نفس الانطباع النقي الكامل الذي حفره في الأذهان في مكة والمدينة لا يزال مصوناً إلىٰ اليوم - بعد انقضاء اثني عشر قرناً - عند الذين اهتدوا بالقرآن من هنود وأفارقة وترك، ولو عاد الرسولان المسيحيان - القديس بطرس والقديس بولس - إلىٰ الفاتيكان اليوم فلربما تساءلا عم يكون ذلك الإله الذي يعبدونه بمثل تلك الطقوس التي تكتنفها الأسرار في هذه الكنائس الفخمة ! ولعله من الواجب عليهما أن يدرسا بتمعن كتاب "تعاليم أساسيات العقيدة" الذي تصدره الكنيسة، وأن يدرسا كذلك شروح المفسرين وتعليقاتهم علىٰ ما كتباه، وعلى كلمات مُعَلِّمِهما!

لقد قاوم المسلمون باستمرار غواية النزول بجوهر إيمانهم وعبادته إلىٰ مستوى حواس الإنسان وتخيلاته، وإن إعلان الإسلام البسيط الثابت بلا تغير هو "أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله" إن الصورة الذهنية عن الإله لم تنحط علىٰ الإطلاق إلىٰ صورة صنم يُرى، وإن مظاهر التكريم للنبي لم تتجاوز أبداً معايير الفضائل البشرية، ولقد أبقت تعاليمه الأخلاقية الحية اعتراف تلاميذه بفضله في حدود العقل والدين.

لقد أثيرت في مدارس المسلمين الفكرية تلك الأسئلة التي تتعلق بما وراء الطبيعة عن خواص الإله وحرية الإنسان، كما أثيرت في مدارس المسيحيين، لكنها عند المسلمين لم تشغل أبداً عواطف الناس، ولم تُعَكِّر صفو الدولة.

إن سبب هذا الاختلاف الهام بين الفكر المسيحي والفكر الإسلامي يمكن إرجاعه علىٰ مبدإ الفصل بين الشخصيات القائمة بأمور الملك، والشخصيات القائمة بأمور الكهنوت، أو مبدإ التوحيد بينهما.

---

(1) The same pure and perfect impression which he engraved at Mecca and Madina is preserved after the revolution .

لقد كان اهتمام الخلفاء الذين تولوا الحكم بعد النبي وكانوا أمراء المؤمنين أن يكبتوا البدع الدينية، ذلك أن الرهبنة وطموح الإكليروس الزمني والروحي غير معروف عند المسلمين، وإن فقهاء الشريعة هم مرشدوهم وفق الضمير والعقل، وهم المجيبون علىٰ الأسئلة المتعلقة بأمور دينهم.

ونجد أنه من المحيط الأطلسي غرباً إلىٰ أقاصي الهند شرقاً يُعترف بأن القرآن هو الدستور الأساسي، ليس فقط في مسائل الإلهيات، ولكن فيما يتعلق بالقوانين المدنية والجنائية، والقوانين التي تنظم سلوكيات البشر.

لقد نفث محمد بين المؤمنين روح الأخوة والإحسان، وأوصى بممارسة الفضائل الاجتماعية، وكبح بشرعته وتعاليمه الأخلاقية التعطش إلىٰ الانتقام وظلم الأرامل واليتامى، ولقد توحَّدت القبائل التي كانت في عداء تحت مظلة الدين والطاعة، وتوجهت شجاعة المقاتلين التي أنفقت هدراً في صراعات داخلية نحو العدوِّ الخارجي، فانتشرت بذلك أمصار الأمة الإسلامية شرقاً وغرباً[1].

إن سمو إحساس محمد جعله يحتقر بهرج الملك، وكان رسول الله ﷺ يُخضع نفسه لما تتطلبه حياة الأسرة من عمل، فقد أوقد النار وكنس المنزل، وحلب الشاة وخصف بيده نعليه، ورتق ثوبه، لقد كان قانعاً، يأكل كما يأكل العربي والجندي، وكان في مناسبات قليلة يولم لرفاقه في سعة، ولكن الأسابيع الكثيرة كانت تنقضي ولا يوقد في بيته نار لطعام، وكان يُحَرِّمُ الخمر، كما يقضي بذلك الدين، وكثيراً ما كان يخفف وطأة الجوع بكسرة من خبز الشعير[2].

*** المسيو "إميل درمنجم":**

"إميل درمنجم" (١٧٩٠ - ١٨٥٧م) ولد في "تولوز" وله عدة مؤلفات، منها "حياة محمد" وهو من كبار الفرنسيين ورجال الفكر.

قال في مقدمة كتابه المذكور: "لا يوجد في الدنيا واحد يمكنه أن ينكر وجود محمد، ولكن وُجِدَ من ينكر بعض ما جاء في ترجمة محمد في الكتب العربية، ومن الناس من يتجاوز الحد والنقد والاعتراض حتى يقع في الظلم، أما أنا فقد جعلت

(١) E Gibbon: Declin and Fall of the Roman Empire, pp 649,9 - 665,5-693
وانظر "الإسلام في الفكر الغربي" للواء أحمد عبد الوهاب (ص٣٥ - ٣٨).

(٢) "آفاق جديدة للدعوة الإسلامية" الأستاذ أنور الجندي (ص١١٧ - ١١٨).

كتابي هذا سيرة حقيقية مبنية على المنابع العربية الأصيلة، بدون إهمال جميع ما وصلت إليه تدقيقات المتخصصين في هذا الموضوع في الأزمنة الأخيرة، وقد أردت أن أمثل لمحمد - نبي المسلمين - صورة مطابقة له بقدر الاستطاعة، كما فهمته من الكتب التي قرأتها وأنعمت النظر فيها، ومن مشافهة الأحياء من المؤمنين، فإذا كانت كل حياة بشرية تنطوي على تعاليم، وكانت كل حادثة تشتمل على مشهد يمثل حقيقة من الحقائق، فكم يكون مؤثراً ومفيداً التلاقي مع رجل عظيم من الرجال العظام الذين يقتدى بهم جانب عظيم من الإنسانية !" .

وقال (ص٨٣): "وإن كان بعضهم يعيب محمداً في كثرة ميله إلى النساء، فإنه مما لا مشاحة فيه أن محمداً لم يكن شرهًا ولا فخوراً ولا متعصباً، ولا منقاداً للمطامع، بل كان حليماً رقيق القلب، عظيم الإنسانية، وكان بشوشاً دمث الأخلاق حسن المعاشرة، ساذج المعيشة يكنس غرفته بيده، ويصلح ثيابه وخصف نعله ويحلب شياهه، ويضطجع في أرض المسجد، وينهض ويفتح الباب لأجل هرة تريد أن تدخل، ويمسح ببردته عرق جواده، ويوزع الصدقات، ويتجنب كل شيء يظهر فيه بمظهر دنيوي، وكان يمنع الناس أن يجعلوه سيداً" .

* **"وليم موير"** :

قال "وليم موير" : "امتاز محمد بوضوح كلامه، ويسر دينه، وقد أتم من الأعمال ما يُدْهِشُ العقول، ولم يعهد التاريخ مصلحاً أيقظ النفوس، وأحيا الأخلاق، ورفع شأن الفضيلة في زمن قصير كما فعل محمد" .

وقد سئل السير "وليم موير" الإنجليزي عن محمد نبي المسلمين، فقال: "كان من عقيدة محمد أن الإنسان عاجز عجزاً تاماً أمام الله سبحانه، وأنه لا عذر له بين يديه، لكنه يعفو عن كثير، ومن عقيدته أن الإنسان أخو الإنسان[1]، وأن يوم الدينونة لا يضيع الله مثقال ذرة على كل عامل مع الله يوم كان يعيش في ظل الحياة"[2] .

* **"دوزي"** :

عني "دوزي" في بعض فصوله من كتاب "ملوك الطوائف" بالرد على ما ردده خصوم الإسلام، فقال (ص ٤٠٥): "لو صح ما قاله القساوسة من أن محمداً نبي

(١) بل: "المؤمن" أخو "المؤمن" .

(٢) المجلد السابع من مجلة "الهلال" الجزء السابع .

منافق كذاب، فكيف نعلل انتصاره ؟! وما بال فتوحات أتباعه تترى، وتتلو إحداها الأخرى ؟! وما بال انتصاراتهم علىٰ الشعوب لا تقف عند حد ؟! وكيف يدل ذلك علىٰ معجزة هذا الرسول ؟! لقد كانوا يعتقدون أول أمرهم أن خذلان المسلمين سيتم بمعجزة قريبة، فطالما سمعوا عن معجزات الكنيسة، وانتظروا هذه المعجزة التي تخلص البلاد المسيحية من غزوات المسلمين، ولكن انتظارهم هذه المعجزة قد طال، وذهب أدراج الرياح، وأعجب من ذلك أزن معجزة أعظم قد حدثت، وكانت معجزةً أعظم مما كان يتوهمه القديسون أنفسهم "، وأي معجزة أعظم وأروع من أن نرى شعباً كان إلىٰ زمن قليل في غاية من الخمول، ثم ظهر إلىٰ الدنيا فجأة، وظل يتقدم بسرعة لا مثيل لها ؟ !".

*** المؤرخ "سيديو" الفرنسي:**

مستشرق ومؤرخ كبير، وأحد أعضاء "جمعية العلماء الفرنسية ولد عام ١٨١٧، وتوفي عام ١٨٩٣وله كتاب "خلاصة تاريخ العرب".

رد المؤرخ سيديو" علىٰ اتهام النبي ﷺ بالقسوة أو الجبن مما جاء في كتابات خصوم الإسلام فقال: "من التجني علىٰ حقائق التاريخ ما كان من عزو بعض الكتاب إلىٰ محمد القسوة والجبن، فقد نسي هؤلاء أن محمداً لم يأل جهدًا في إلغاء عادة الثأر الموروثة الكريهة التي كانت خطوة لدى العرب كخطوة المبارزات بأوربا فيما مضى، وكأن أولئك الكتاب لم يقرؤوا آيات القرآن التي قضى محمد فيها علىٰ عادة الوأد الفظيعة، وكأنهم لم يفكروا في العفو الكريم الذي أنعم به علىٰ ألد أعدائه بعد فتح مكة، ولا في الرحمة التي حبا بها كثيراً من القبائل عند ممارسة قواعد الحرب الشاقة، ولا إلىٰ ما أبداه من أسف علىٰ بعض الأحكام المبتسرة، وكأنهم لم يعلموا أن محمداً لم يسيء استعمال ما اتُّفق له من السلطان العظيم، قضاءً لشهوة القسوة الدنيئة، وأنه لم يأل جهداً - في الغالب - في تقويم من يجور من أصحابه، وكلٌ يعلم أنه رفض بعد غزوة بدر رأي عمر بن الخطاب في قتل الأسرى، وأنه عندما حل وقت مجازاة بني قريظة ترك الحكم في مصيرهم لحليفهم القديم سعد بن معاذ، وأنه صفح عن قاتل عمه حمزة، وأنه لم يرفض قط ما طلب إليه من اللطف والسماح، وليس بمجهول أن خالد بن الوليد الذي كان من أشجع قُوَّاده لم يستطع أن يرعوي - بعد إسلامه - عن روح القسوة والصولة التي كانت تلازمه في زمن الجاهلية، فلاحت له الفرصة بأن يثأر لقريبه القتيل، فأثخن في بني جزيمة، فأجمع

المسلمون على استفظاع عمله، فلما نُبِّئ محمد بما صنع خالد أسرع في ذمه جهاراً، فرفع يديه إلى السماء قائلاً: «**اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد**» ".

وقال في كتابه "خلاصة تاريخ العرب" (ص٥٤): عن نوم علي في فراش النبي ﷺ وحفظ الله له: "دعا محمد ابن عمه علياً رضي الله عنه وأمره أن ينام على فراشه، متشحاً ببرد، فدفع الله شرهم عنه، وهو أولى أن يحفظ نبيه القائم بالدعوة له، وأحق أن يجعل كيدهم في نحورهم، وما زال آخذاً بيمينه، حتى غنَّ له الزمن وصفق له الدهر".

ثم قال: "وبعد ظهور محمد ﷺ الذي جعل من قبائل العرب أمة واحدة تقصد مقصداً واحداً ظهرت للعيان أمة كبيرة مدت جناح ملكها من نهر "تاج" في إسبانيا حتى نهر "المانج" في الهند، ورفعت على منار الإشادة أعلام التمدن في أقطار الأرض أيام كانت أوربا مظلمة بجهالات أهلها في القرون المتوسطة".

*** المستشرق الإنجليزي "بودلي":**

رد المستشرق الإنجليزي "بودلي" على الزعم القائل بأن محمداً سرق ما في الإنجيل من تعاليم، فقال: "الزعم بأنه قد سرق الإنجيل زعم باطل، فإنه ما رأى الإنجيل أبداً، والقول باطلاعه على ترجمة الإنجيل الناقصة التي قام بها ورقة بن نوفل لا يضع أمامه إنجيلاً ليراه، وحتى هذه الترجمة لم يرها، فإن أول ترجمة عربية رسمية للعهدين القديم والجديد ظهرت بعد وفاة محمد بعدة قرون ".

وقال الكولونيل "بودلي" في كتابه "حياة محمد": "إن محمداً لم يَدَّع لنفسه صفة إلهية، وإنه صرح كثيراً بأنه بشر يوحى إليه، وإن السبب في سرعة انتشار الإسلام عن غيره من الأديان، هو عدم ادعاء النبي صفة إلهية، وعدم دعوته إلى عبادة شخصه، وكذلك تسليم القرآن بصحة الديانات المنزلة من قبل".

ونحا باللائمة على الذين لم يفهموا محمداً وشريعته.

*** الكاتبة الإيطالية الدكتورة "لورا فيتشيا":**

دافعت الكاتبة الإيطالية الدكتورة "لورا فيتشيا" عن الرسول ﷺ بحماس بالغ، فقالت: «قام أعداء الإسلام الألداء الذين أعماهم الحقد والتعصب، واتهموا رسول الله ﷺ ذلك الرجل النبيل الذي كان ينظر إليه قبل الرسالة نظرة إكبار وإجلال من جميع مواطنيه لما تحلى به من الأمانة والسجايا الكريمة، وكانت التهمة التي رموه بها مما لا يقبله عقل، ولا يمكن أن يُسلِّم به عاقل فضلاً عن أنها لا تقوم على أي أساس

وهي تهمة الغش والخداع، وليت شعري: كيف أن هؤلاء الناس لم يسألوا أنفسهم إذا كان النبي في الحقيقة كاذباً، فكيف اجترأ على أن يوجه في القرآن إلى الكذابين والخادعين أشد عبارات الذم وأقساها؟! وكيف توعدهَّمَ بالنار وسوء العذاب؟! وإذا كان كاذباً في دعوته - كما يفترون - فكيف صمد للمقاومة أكثر من عشر سنين، وهو في مكة احتمل في أثنائها الشيء الكثير من صنوف الاضطهاد والآلام، وهو ذلك الرجل الوديع الهادئ الطباع ؟!، وكيف تهيأ له أن ينحاز إليه طواعية واختياراً - بل وبمنتهى التحمس - جماعات كبيرة من رجالات قريش ونبلائهم، وأن ينضووا تحت لوائه مع غيرهم من السوقة والعبيد ؟!

أما تهمة القسوة التي يوجهونها إليه، فمن السهل دفعها ؛ لأن محمداً الذي كان على رأس حكومة، ويتولى الدفاع عن حياة الشعب وحريته كان يحاكم الخارجين على القانون بصرامة وشدة اقتضتها ظروف البيئة التي كان يعيش فيها.

ولقد كان محمد - كرسول يدعو إلى الله - رجلاً رحيمًا، لَيِّنَ الجانب حتى مع أعدائه الشخصيين، وبذلك اجتمعت فيه فضيلتان كلتاهما أكبر الفضائل التي يتصورها العقل البشري، وهما الرحمة والعدالة.

وبحسبه أن الحرب - التي هي أقصى ضرورات الحياة الإنسانية - قد صارت - بفضله - أقل وحشية وقسوة، إذ إنه كان يطلب إلى جنوده ألا يقتلوا شيخاً ولا امرأة ولا طفلاً ولا يهدموا بيوتًا لم تتخذ كمعاقل حربية.

وقد أراد أعداء الإسلام أن يُظْهِرُوا النبي في صورة رجل شهواني إباحيٍّ، بأن اتخذوا من زيجاته المتعددة حجة لاتهامه بضعف خلقي لا يتفق ومركز النبوة.

ولكن فاتهم أمر هام لم يحسبوا له حساباً، وهو أن النبي أيام فتوته وعنفوان شبابه لم يتزوج إلا من امرأة واحدة، ولم يتزوج من غيرها حتى ماتت، مع أنه كان يعيش بين قوم سادت فيهم كثرة الطلاق والزواج، وكان يندر أن يقتصر الرجل منهم على زوجة واحدة، ولما فقدت زوجته - وكانت سنه حين ذلك خمسين سنة - تزوج من أخرى، كما عقد زيجاته المختلفة التي كانت في أغلب الأحيان لدواع اجتماعية أو سياسية، لأنه كان يريد بهذه الطريقة أن يكتسب إلى صفه رجالاً أو نساءً تقيات، ويرتبط بروابط المصاهرة بأسر قوية، وكان كل ذلك بقصد نشر الإسلام"[1].

---

(١) كتاب "محاسن الإسلام" ترجمة طه فوزي.. انظر "آفاق جديدة للدعوة" (ص١٢٠ - ١٢٢).

*** الدكتور "وغسطون كرستا" الإيطالي:**

ولد في "ترياستة" ١٨٤٠، وتوفي فيها ١٨٩٧م.

قال في كتابه "الكياسة الاجتماعية": "كان محمد يعلن أنه رسول الله تعالى لإصلاح دين إبراهيم المطهر الذي أفسده أبناؤه، وأقام العبادة الزكية التي أنشأها ذلك النبي، ثم فسدت علىٰ مر الزمن، وليؤيد - وهو خاتمة الرسل - ما كان الله أنزله علىٰ من سلفه من الأنبياء موسى وداود وإشعيا وعيسى.

إن هذه الجدران العادية، لدليل علىٰ قوة عظيمة لمحمد، مثال القيادة ورمز السياسة "

*** الكونت "هنري دي كاستري":**

لقد درس الكونت "هنري دي كاستري" الإسلام دراسة عميقة، وكتب عنه كتاباً قيماً، ترجمه فتحي زغلول، ونشر بعنوان "الإسلام سوانح وخواطر".

تحدث الكونت "هنري" في هذا الكتاب عن كثير من جوانب الإسلام سواء كان ذلك فيما يتعلق بالرسول ﷺ أم فيما يتعلق بالتعاليم الإسلامية، وقد تحدث - فضلاً عن ذلك - عن آراء مواطنيه، خصوصاً القدماء منهم في صورة من السخرية والتهكم: "وذهبوا إلىٰ أن محمداً وضع دينه بادعائه الألوهية !

ومن المستغربات قولهم: "إن محمداً - الذي هو عدو الأصنام ومبيد الأوثان - كان يدعو الناس لعبادته في صورة وثن من ذهب، كما يعتقد "والكوفنجيون"!

بل لقد أغرق خيالهم في الضلال، فذهبوا إلىٰ أبعد من ذلك، وذهبوا إلىٰ أن صورة "ماهوم"[1] كانت تُصنع من أنفس الأحجار والمعادن بأحكم صنع وأدق إتقان !".

وبعد أن ذكر الكثير من آرائهم قال: "ولقد أطلنا القول في تلك الأضاليل؛ لأن تاريخ "إسكندر"[2] المذكور لم يزلها، ولأنها تركت أثراً في الأذهان وصل إلىٰ أهل هذه الأيام، وتشبعت به أفكارهم في النبي وكتابه.

---

(١) المقصود: محمد ﷺ.

(٢) ألف القسيس "الكسندر دوبون" ١٢٥٨م عن محمد، وكان الناس يعدونه تاريخاً صحيحاً للرسول والباقي غير واضح، يراجع أصله وهو ص ٩٠.

ولكن ما سر هذه الحملة الشعواء الضالة التي تهزأ بالحق والضمير، والتي لا يقرها دين أياً كان ؟!".

ولو سأل سائل: هل كان أولئك المفسرون يعتقدون صحة ما يقولون ؟ لأجبناه جواب أهل "نورمندَه": "لا ونعم" إذ من المحقق أن الاختلاط بين المسيحيين والمسلمين سهل للمنشدين معرفة الدين المحمدي علىٰ حقيقته، ولكنهم ما كانوا يقصدون الحقائق التاريخية في أناشيدهم، بل حفظ روح البغضاء في نفوس قومهم.

هل هذه الروح التي كانت سائدة عند المسيحيين تجاه الإسلام، اقتصرت علىٰ العصور الوسطى ؟ كلا.

فلم يزل هذا الروح سائداً عند المسيحيين، حتى إن المستشرق "بريدو" الإنكليزي ألف سنة ١٧٣٣ كتاباً في سيرة النبي ﷺ عنوانه: "حياة ذي البدع محمد" !

وترجمه بعضهم إلىٰ لغتنا، وجعل له مقدمة بين فيها مقصد المؤلف، فقال: إن غرض واضع هذا الكتاب هو خدمة المقصد المسيحي الحكيم.

ثم يعقب "الكونت" علىٰ ذلك بهذه الكلمة الحكيمة: "أولئك كُتَّابٌ ما قصدوا التاريخ، ولكنهم أرادوا خدمة المقصد المسيحي الحكيم - كما يقولون - وكان سلاحهم الوحيد في تأييد سواقط حججهم أن يشبعوا خصمهم سباً وشتماً، وأن يُحَرِّفوا في النقل مهما استطاعوا ".

ثم يأخذ الكونت في الرد علىٰ الافتراءات، ومن أولى هذه الافتراءات أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه كان يقرأ ويكتب، فقرأ التوراة، وقرأ الإنجيل، وأخذ تعاليمه منهما !.

وقد رد القرآن علىٰ هذه الفرية فقال: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [العنكبوت: ٤٨].

ويقول الكونت في هذا المعنى: "ما كان يقرأ ولا يكتب، بل كان - كما وصف نفسه مراراً - نبياً أمياً، وهو وصف لم يعارضه فيه أحد من معاصريه، ولا شك أنه يستحيل علىٰ رجل في الشرق أن يتلقى العلم بحيث لا يعلمه الناس ؛ لأن حياة الشرقيين كلها ظاهرة للعيان، علىٰ أن القراءة والكتابة كانت معدومة في ذلك الحين من تلك الأقطار، ولم يكن بمكة قارئ أو كاتب سوى رجل واحد، ذكره "جارسين تارس " في كتابه الذي طبعه سنة ١٨٧٤.

كذلك من الخطأ - مع معرفة أخلاق الشرقيين - أن يستدل علىٰ معرفة النبي للقراءة والكتابة باختيار السيدة "خديجة" رضي الله عنها إياه لمتاجرها في الشام، ولم تكن لتعهد إليه أعمالها إن كان جاهلاً غير متعلم.

فإنا نشاهد بين تجار كل قوم غير العرب وكلاء لا يقرؤوا ولا يكتبون، وهم - في الغالب - أكثر أمانة وصدقاً".

ويقول: "أما فكرة التوحيد فيستحيل أن يكون هذا الاعتقاد وصل إلىٰ النبي ﷺ من مطالعة التوراة والإنجيل، إذ لو قرأ تلك الكتب لرَدَّهَا لاحتوائها علىٰ مذهب "التثليث" وهو مناقض لفطرته، مخالف لوجدانه منذ خلقته، فظهور هذا الاعتقاد بواسطته دفعة واحدة هو أعظم مظهر في حياته، وهو بذاته أكبر دليل علىٰ صدقه في رسالته وأمانته في نبوته".

أما صدق الرسول وسمو رسالته فقد أخذ كثير من رجال الكنيسة ومن رجال الاستعمار يشككون فيهما، وبرغم الوضوح الواضح في صدق الرسول، وفي سمو الرسالة الإسلامية فإن رجال الدين المسيحيين ورجال الاستعمار لا يزالون يُبدؤون ويعيدون في ترداد التشكيك.

إلىٰ هؤلاء وأولئك يقول الكونت: "والعقل يحار، كيف يتأتى أن تصدر تلك الآيات عن رجل أمي، وقد اعترف الشرق قاطبة بأنها آيات يعجز فكر بني الإنسان عن الإتيان بمثلها لفظا ومعنى، آيات لما سمعها عتبة بن ربيعة حار في جمالها، وكفى رفيع عبارتها لإقناع عمر بن الخطاب رضي الله عنه فآمن برب قائلها، وفاضت عين نجاشي الحبشة بالدموع لما تلا عليه جعفر ابن أبي طالب سورة "مريم" وما جاء في ولاية "يحيى".

"وصاح القسيس[1]: "إن هذا الكلام وارد من موارد كلام عيسى ! " . . ".

قال ناقل هذه الرواية: "كوزان دي بير سوفال": "فلما كان اليوم الثاني طلب النجاشي جعفراً وأشار إليه بتلاوة ما في القرآن عن المسيح، ففعل، واستغرب الملك لما سمع أن المسيح عبد الله ورسوله، وروح منه نزل في أمه "مريم" وأعجب أشد الإعجاب بهذه المعاني، وحمى المسلمين، ولم يسلمهم إلىٰ رسل قريش، ولم ينفهم من بلاده".

أما هؤلاء الذين بلغ بهم التعسف مداه فظنوا أن هذه الفترات التي يغيب فيها

---

(١) أي النجاشي. . وانظر الخبر في "المسند" (١/ ٢٠١)، و"السيرة النبوية" (١/ ٣٧٥).

الرسول عن هذا العالم ليكون بكليته مستغرقاً في الملأ الأعلى إنما هي فترات مرضية، أو هي الصرع، وبرغم تكذيب الطب لمزاعمهم مستنداً إلىٰ الاختلاف الكلي بين أعراض الصرع وأعراض الوحي، فقد أعماهم التعصب عن رؤية الحقيقة.

وإليهم يقول الكونت: "ومن ذلك الحين - أي البعثة - أخذت شفتاه تنطلق بألفاظ بعضها أشد قوة وأبعد مرمى من بعض، والأفكار تتدفق من فمه علىٰ الدوام إلىٰ أن يقف لسانه ولا يطيعه الصوت، ولا يجد من الألفاظ ما يُعَبِّرُ به عن فكر قد ارتفع عن مدارك الإنسان، وسما عن أن يترجمه قلم أو لسان.

وكانت تلك الانفعالات تظهر علىٰ وجهه بادية، فظن بعضهم أن به جنة، وهو رأي باطل ؛ لأنه بدأ رسالته بعد الأربعين، ولم يشاهد عليه قبل ذلك أي اعتلال في الحسم أو اضطراب في القوة المادية، وليس من الناس من عرف الناس جميعاً أحواله في حياته كلها مثل النبي ﷺ فلقد وصل المحدِّثون عنه إلىٰ أنهم كانوا يَعُدُّون الشعر الأبيض في لحيته، ولو أنه كان مريضاً لما أخفى مرضه ؛ لأن المرض في مثل تلك الأحوال يعتبر أمراً سماوياً عند الشرقيين.

وليست حالة محمد ﷺ وانفعالاته وتأثيراته بحالة ذي جنة، بل كانت مثل التي قال نبي بني إسرائيل في وصفها: لقد شعرت بأن قلبي انكسر بين أضلعي، وارتعشت مني العظام، فصرت كالنشوان، لما قام بي من الشعور عند سماع صوت الله وأقواله المقدسة"[1].

ويرد الكونت علىٰ اتهامات النبي ﷺ بتأليف القرآن، ويقول: "وكيف يعقل أن النبي ﷺ ألف هذا الكتاب باللغة الفصحى، مع أنها في الأزمان الوسطى كاللغة اللاتينية، ما كان يعقلها إلا القوم الصالحون[2] وقد شاهدنا أناساً، وكان أكثرهم أميين - قاموا في أمة العرب وادعوا النبوة - منهم مسيلمة الذي زعم أنه قرين محمد ﷺ - أتى بسور سخر منها العرب، ولو لم يكن في القرآن غير بهاء معانيه وجمال مبانيه، لكفى بذلك أن يستولي علىٰ الأقطار، ويأخذ بمجامع القلوب.

(١) "أوربا والإسلام" (ص ٥٣ . ٥٨) .

(٢) هذا كلام غير صحيح . . فإن العرب كانوا جميعاً فصحاء ، ولم يكن عندهم لهجة عامية مثل لهجاتنا اليوم . . بل كل "لغاتهم " كانت فصيحة ، كما قال نابغة العربية مصطفى صادق الرافعي في كتابه "تاريخ أدب العرب " (ج١) .

أتى محمد بالقرآن دليلاً علىٰ صدق رسالته، وهو لا يزال إلىٰ يومنا هذا سراً من الأسرار التي تعذر فك طلاسمها، ولن يسبر غور هذا السر المكنون إلا من يصدق بأنه منزل من الله، اللهم إلا إذا اعتمدنا علىٰ قول مُمَجِّدي الدين المسيحي مما كنا نرتاح إليه أيام شبيبتنا (وهو يرجع إلىٰ أن القرآن تأليف فاتح أراد تأييد سلطته، فجمع من كتب اليهود والمسيحيين قانوناً أودعه بعض قواعد الأدب والدين، وأضاف إليه قصص الوقائع العظيمة لتأييد رسالته).

وعلى كل حال - أي سواء توصلنا إلىٰ معرفة حقيقة القرآن أم لا - فلا ينكر أحد أن مظهر محمد كان مظهر نبوة بالفعل - بقطع النظر عن صدق تلك النبوة، وعدم صدقها - لأن النبوة - من حيث هي - عبارة عن قيام رجل يملي علىٰ الناس أمر ربه، ويعتقد حقاً أن ما يقوله آت من عند الله.

ومحمد - كما قال "إيوالد" عن أنبياء بني إسرائيل - أعتقد أن روحًا من الله استولت علىٰ لبه، فلم يشعر بأن له فكراً خاصاً، بل إنه أوتيه من عند ربه، واختفت في نظره أنانيته، ولم يعد يسمع غير صوت ذات فوق ذاته، ومن ذلك الحين أخذت شفتاه تنطق بألفاظ بعضها أشد قوة وأبعد مرمى من بعض، والأفكار تتدفق من فمه علىٰ الدوام، وكانت تلك الانفعالات تظهر علىٰ وجهه، فظن بعضهم أن به جنة، وهو رأي باطل ؛ لأنه بدأ رسالته بعد الأربعين ولم يشاهد عليه قبل ذلك أي اعتلال في الجسم أو اضطراب في القوة المادية ".

ويقول: "إذًا فليس محمد من المبتدعين، ولا من المنتحلين كتابهم، وليس هو نبياً سلاباً - كما يقول "سايوس" - نعم قد نرى تشابها بين القرآن والتوراة في بعض المواضع، إلا أن سببه ميسور المعرفة، ذلك أن محمداً كان يُلصق ديانة الإسلام بالديانتين المسيحية واليهودية، (كذا) وحينئذ لا عجب إذا تشابهت تلك الكتب في بعض المواضع، خصوصاً إذا لاحظنا أن القرآن جاء ليُتَمِّمها، كما أن محمداً هو خاتم الأنبياء"[1].

يقول الدكتور عبد الحليم محمود: ونختم الحديث عن آراء الكونت بهذا الوصف الرائع لتلك الساعة الأليمة التي فارق فيها الرسول عالمنا الدنيوي، ليلحق بالرفيق الأعلى، ولينعم برضوان الله، إذ يقول: ولما أحس بقرب الأجل، ذكر

---

(١) " آفاق جديدة للدعوة الإسلامية" (ص١٢٢ - ١٢٤) نقلاً عن "الإسلام سوانح وخواطر" للكونت هنري، ترجمة أحمد فتحي زغلول .

الفقراء، فإنه لم يرغب طول حياته في المال، بل كان كلما جمع إليه شيء منه أنفقه في الصدقات، وكان قد أعطي عائشة مالاً يسيراً لتحفظه، فلما حضره المرض أمر بإنفاقه علىٰ المعوزين لساعته، وغاب في سنة، ولما أفاق سألها إن كانت أنفذت أمره، فأجابته: "كلا"، فأمر بإلنقود وأشار إلىٰ المعوزات .، فوزع عليهم، وقال: **«الآن استراح قلبي، فإنني كنت أخشى أن ألقى ربي وأنا أملك هذا المال»**.

وكان في مرضه يخرج كل يوم ليصلي الظهر بالناس، وآخر يوم خرج فيه هو الثامن من شهر يونية سنة ٦٣٢م وكانت مِشْيَتُهُ مضطربة، فتوكأ علىٰ الفضل بن العباس وعلي بن أبي طالب، وقصد منبر الخطابة الذي كان يعظ الناس عليه قبل الصلاة، وحمد الله وأثنى عليه، ثم خطب في المسلمين بصوت رفيع سمعه من كان خارج المسجد فقال: "**يا أيها الذين تسمعون قولي، إن كنت ضربت أحدكم علىٰ ظهره، فدونكم ظهري فليضربه، وإن كنت أسأت سُمعة أحد فلينتقم من سمعتي، وإن كنت سلبت أحداً ماله فإليه مالي يقتصُ منه، وهو في حِلٍّ من غضبي، فإن الغل بعيد عن قلبي**".

ثم نزل من علىٰ المنبر وصلى بالجماعة، ولما أراد الانصراف أمسك به رجل من إزاره وطلب منه ثلاثة دراهم دينًا له، فأداها علىٰ الفور قائلاً: **«لخزي الدنيا أهون من خزي الآخرة»**.

ثم دعا لمن حارب معه في "أُحُد" وسأل الله لهم الرحمة والغفران.

وكان مشهد النبي ﷺ بين المؤمنين في ذلك اليوم مشهد جلال ووقار، والناس يلمحون علىٰ وجهه تأثير السم الذي شربه من يد يهودية خيبر، وقلوبهم منفطرة من الوجد عليه، ذلك أنه لما كان في واقعة "خيبر" قدمت إليه يهودية اسمها زينب شاة مشوية أضافت إليها سمًا، فأخذ منه النبي قطعة واحدة بين شفتيه، وأحس بأنها مسمومة، فألقاها، ثم لما حضرته الوفاة بعد حين كان يقول: **«ما زالت تعاودني أكلة خيبر»**.

وكان أبو بكر رضي الله عنه نفسه يبكي، ويقول للرسول ﷺ: "هلا افتدينا روحك بأرواحنا ؟".

ثم أوصله الصحابة إلىٰ بيت عائشة رضي الله عنها واضطجع تعِباً مهزولاً، وصار المرض يشتد عليه، فتخلف عن الصلاة بالمسلمين، وقيل له: "قد جاء وقت الظهر" فأشار إلىٰ أبي بكر ليصلي بالناس، فكان من وراء هذه الإشارة خلافة أبي بكر بعد النبي ﷺ.

وأخبرت عائشة رضي الله عنها عن حالة الاحتضار فقالت: "كان رأس رسول الله ﷺ مسنداً علىٰ صدري، وبقربه قدر ماء، وكان يقوم ليضع فيها يده ويمسح جبينه ويقول: «**رب أعني علىٰ تحمل سكرات الموت، ادن مني يا جبريل، رب اغفر لي واجمع بين أصحابي في السماء**» ثم ثقلت رأسه ومال ثانية إلىٰ صدري"[(١)] !.

* **"فارس الخوري" اللبناني:**

يرى "فارس الخوري" أن محمداً أعظم عظماء العالم ؛ إذ يقول: "لم يجد الدهر بعد بمثله، والدين الذي جاء به أوفى الأديان وأكملها".

ويقول: "إن محمداً أودع شريعته المطهرة أربعة آلاف مسألة علمية واجتماعية وتشريعية، ولم يَسع عُلَمَاءَ اللقانون المنصفين إلا الاعتراف بفضل الشريعة التي دعا الناس إليها باسم "الله" وبأنها متفقة مع العلم مطابقة لأرقى النظم.

إن محمداً - الذي يختلفون به - أعظم عظماء الأرض - سابقهم ولاحقهم - فقد استطاع توحيد العرب بعد شتاتهم، وأنشأ منهم أمة واحدة فتحت العالم المعروف يومئذ، وجاء لها بأعظم ديانة عينت للناس حقوقهم وواجباتهم، وأصول تعاملهم علىٰ أسس من أرقى دساتير العالم وأكملها"[(٢)].

* **"بشارة الخوري" اللبناني:**

قال صاحب جريدة "البرق" لمناسبة حفلة ذكرى مولد الرسول محمد ﷺ - نقلاً عن المجلد السابع والعشرين من مجلة "العرفان" -: "إن للرسول محمد في عنفوان شبابه من المعجزات ما يقف دونه الفكر صاغراً، ولكن له - وهو في حداثته - ما تَصْغُرُ عنده عظمة العظيم، ويبطل عنده سحر الساحر ؛ إنه وقد أخرج أمة بأسرها من ظلمات الجاهلية إلىٰ أضواء المدنية، إنه وقد أبدل معائب الجاهلية بمحاسن الإسلام، إنه وقد أبطل وأد البنات وحرم الزنا، ونقّىٰ القلوب من العداوات، إنه وقد أذل لسيفه كل سيف ولعرشه كل عرش، إنه - وهو كذلك - ليس في عيني أعظم منه، وهو الابن الناشئ فقيراً، الدارج يتيماً، الحامل السَّعْدَ في وجهه، والطهر في قلبه، والأمل في عينه، والحكمة في شفتيه".

---

(١) "أوربا والإسلام" (ص٥٨ - ٦٠).

(٢) " آفاق جديدة للدعوة " (ص ١٢١).

*** الدكتور "شبلي شمَيِّل" اللبناني:**

طبيب لبناني شقيق "أمين شمَيِّل" ولد سنة ١٨٦٠ وتوفي سنة ١٩١٧.

كتب إلىٰ صاحب "المنار" - كما ورد في المجلد الثالث، العدد العاشر منها - قال: "أنت تنظر إلىٰ محمد ﷺ (نبي) وتجعله عظيماً، وأنا أنظر إليه ﷺ (رجل) وأجعله أعظم".

*** الدكتور "نظمي لوقا":**

قال في كتابه: "محمد: الرسالة والرسول" المطبوع في مصر الطبعة الأولى سنة ١٩٥٩ صفحة ٢٥: "إن موقف الناس من الوحي واحد، أيًّا كانت الرسالة الموحى بها، والرسولُ المخبرُ عنها، لم يطلب من رسول قبل محمد برهانٌ عيانيٌّ علىٰ وحيه، كي يطالب به محمد، فمن اعترف بوحي من السماء إلىٰ رسول من البشر، لزمته الحجة أن لا ينكر نزول الوحي علىٰ محمد من حيث المبدأ، فوجه الامتناع هنا غير قائم بمبرر نزيه، ومن هنا وجب النظر النزيه في رسالة محمد، والبحث في مضمونها، لنلتمس فيها آيات الصدق التي صدَّق الناسُ بمثلها من سبقه من المرسلين ولنرى هل فيها ما يدعو للريب ويبرر دمغها بالزيف أو الدجل أو البطلان.

ذلك هو الحدُّ القوَّام الذي لا افتئات فيه علىٰ إنصاف، ولا ينبغي أن يحيد عنه من له في النزاهة مطمع".

وقال (صفحة ٨٨) - منه -: "صدق رسول الإسلام وما غادره صدق الإلهام، وهو القائل: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**» أجل، يا رسول الخير والصدق والحق؛ فالناس بخير، وحكومتهم ما بقي للحق في قلوبهم مكان وللغيرة علىٰ العدل في قلوبهم الكلمة والسلطان".

وقال (صفحة ٥٦): "إن رسول الإسلام هو أول رسول بعث إلىٰ الناس، وانبرى لدعوتهم إلىٰ دينه من غير مدد من المعجزات الخاطفة للأبصار الخالبة للألباب، فقد أريد للناس أن يشعروا أن رسولهم مثلهم حقاً وصدقاً - كما جاء في سورة (الكهف) لا يملك من الخوارق أكثر مما يملكون، وليس له من سلطان عليهم، وإنما الأمر إليهم".

وقال (صفحة ٩٧): "وليس التنظيم الإسلامي لأمور الدنيا بنظام مقفل جامد، بل هو التنظيم الجوهري الذي لبابه قول صاحب الرسالة الكريم: «**لا ضرر ولا ضرار**» و«**أنتم أعلم بأمور دنياكم**» فما لم يرد فيه نص بتحريم لسبب من أسباب العقيدة الروحية فلا بأس علىٰ الناس فيه ما لم يكن فيه ضرر لصاحبه أو إضرار بسواه".

"خلق كريم وإيثار ونجدة ابتغاء وجه الله، واتقاء لغضبه في معاملة الناس، وإصلاح لحال الدنيا من غير إضرار بالناس، وحرص علىٰ مصالح الجماعة، وتعاون علىٰ البر والتقوى، وترفع عن الترف والإسراف في البذخ حتى لا تستسلم الروح لشهوات الجسد، فذلك هو النموذج الكامل للإنسان".

وقال (صفحة١٠٧): "فإذا نظرنا إلىٰ الرسالة الإسلامية وجدناها أبعد ما تكون عن شبهة تَعَلُّق الشهوات، أو إباحة الأهواء أو رشوة المنافع.

كان العرب في الجاهلية أهل إباحة، لا رادع لهم ولا وازع، قصفهم مجون، ولهوهم فجور، وحياتهم عدوان، وكسبهم سحت، وليلهم خمر وميسر، فكيف يقال ما يقال عن دين اقتلع جذور هذا كله، ووضع الحدود لكل وجه من وجوه النشاط البشري ؟!إن لم يكن هذا الدين والتنظيم والسمو فما عسى أن يكون؟! ".

الشاعر "بولس سلامة" اللبناني:

قال في مقدمة ملحمته المعروفة باسم "ملحمة الغدير" - صفحة ٢٤ -: "إن العروبة المستيقظة اليوم في صدور أبنائها من المغرب الأقصى إلىٰ جزيرة العرب لأحوج ما تكون إلىٰ التمثل بأبطالها الغابرين، وهم كثيرون، علىٰ أنه لم يجتمع لواحد منهم ما اجتمع لعلي من بطولة وعلم وصلاح، ولم يقم في وجه الظالمين أشجع من الحسين، فقد عاش الأب للحق، وجَرَّد للدفاع عنه، واستشهد الابن في سبيل الحرية يوم (كربلاء) ولا غرو فالأول ربيب محمد، والثاني فلذة منه".

وقال (صفحة ٢٦): "مسيحيٌّ ينحني أمام عظمة رجل يهتف باسمه مئات الملايين من الناس في مشارق الأرض ومغاربها خمس مرات كل يوم، رجل ليس في مواليد حَوَّاء أعظم منه قدراً، وأخلد ذكراً، وأبعد أثراً، رجل أطل من غياهب الجاهلية فأطلت معه دنيا أظلها بلواء مجيد، كتب عليه بأحرف من نور: "لا إله إلا الله، الله أكبر"..".

وقال في ملحمته المشهورة (صفحة ٤٧) تحت عنوان "مولد محمد":

من ترى ذلك الصبي الذي إن ... ذر دمعاً فالجو في إعطاء ؟
مَبْسَمٌ من لآلئ الفجر أنقى ... وجبين كالنجمة الغراء

إلى أن قال:

هلَّ يومٌ في صفحة الدهر فذٌّ ... طَيِّبُ الفوح رافل بالبهاء
لم يَشُبْ ذلك النهار مساءٌ ... هو يوم مُسْمِرُ الأضواء
وانزوى الليل خاشعاً كيتيم ... ضيَّعته مباهج الأغنياء
أرهف الكونُ سمعه وتَمَشَّتْ ... في الجمادات نشوةُ الصهباء
واستفاقت جزيرة العُرْبِ حيرى ... "فمناةُ" و"اللاتُ" في الدقعاء
أخرسَ الناسَ خَطْبُها فتباروا ... في استلام الآلهة الصماء
أين "ود" وأين بطش "سواع" ... كان ذاك النذير بدء انتهاء
وتوالت في أرض فارس أرزا ... ءٌ جسامٌ فَنَارها في انطفاء
وارتجاس الإيوان هزَّ قلوب الفر ... س هزَّ السنابل العجفاء
تحفة العالم القديم ومجد الـ ... عين والفنِّ والعُلا والبناء
إن تداعى فشمس كسرى كُسُوفٌ ... مُؤذِنٌ بالنهاية السوداء
حُلمُ الموبَذَانِ بالنور يجري ... والصحارى مَرُوعَةٌ بالرُّغَاء
والخُيُولُ العِرَابُ سيلٌ أتى ... ضابحات في مسمع الزوراء
أجفل السُّورُ في المدائن خوفاً ... من صهيل السوابح الجرداء
وإذا الفرس والمدائن صرعى ... في مجال السنابك الحمراء

* * *

حُسِبَ الرملُ ذلك اليوم تِبْراً ... يُنبتُ الحُلم في عيون الرائي
فسهول الحجاز بحرٌ نُضَارٌ ... من نثير السبائك الصفراء
ضحك السبسب الخليُّ وشَقَّت ... أنمُلُ الورد صفحة الدهناء

ذاك عُرْسُ الدنيا ولا غرو أن ... بثَّتْ صلاها ونمنمت في الكساء
رحَّبت بالوليد جاء يتيمًا ... فهو والفقر توأمٌ في رداء
يا فقيراً ودونه الشمس عزاً ... سوف تعلو منكب الجَوْزاء
خلفك النسر والسُّها والثريا ... سائراتٌ في الركب سَيْرَ الإماء
فقرُ كفٍّ والنفسُ كنزٌ خَلودٌ ... هكذا كان مولد الأنبياء

* * *

وقال فيها (ص٥٤) تحت عنوان "البعثة":

وأَشَبَّ الغلامُ فامتد صِيتًا ... كامتداد الشُّعَاع في الدَّيْجُور
طَبعُهُ الصدقُ والأمانة فالآ ... راء تهدي هدي الصباح المنير
واصطفته خديجة لإتجار ... عاد منه والربح فيضُ بُحُور
فاصطفته لنفسها فحباها ... شرفاً أن تكون فوق الحور
كلَّ عام يرتادُ غارَ حِراء ... مُفْعَمَ الروح مُلْهَمَ التفكير
يُرسلُ الطرف في السماء كلامًا ... ليس تجلُوهُ صنعةُ التعبير
ذلك الصمت دونه جهرُ موسى ... بالدعاء الحميم فوق الطُّور
فالصلاة الصلاة خفقةُ قلبٍ ... وهُيَامٌ مُغَلْغَلٌ في الشعور
قال عيسى مُلْكُ الإله لديكم ... لو نبشتمُ عن كنزه في الصدور
هدأ الكون وامَّحى الصوتُ حتى ... لتُحِسَّ الآذانُ هَمْسَ العصور
وإذا صوتُ هاتف يهتفُ: "اقرأ" ... فيردُّ الصَّدى نداءَ البشيرِ
فتهادى محمد وتمشَّت ... في حناياه رِعْشَةُ المَقْرُور
قال جبريل: يا محمد كبر ... باسم رب مِلْءَ الوجود قدير
صفحة الكون بدَّلَتْ في ثوانٍ ... بين مرآتها ضمير الدهور
فإذا أحمدُ العظيمُ نبيٌّ ... والمجيدُ القرآنُ حُلمُ العصور

* * *

*** "صموئيل زويمر" الإنكليزي:**

البروتستانتي، الإنكليزي المبشِّر، وهو مستشرق، محرر مجلة "عالم الإسلام" الإنكليزية، له مؤلفات ذات شأن في العلاقة بين الإسلام والمسيحية، منها "يسوع في (إحياء الغزَّالي)"، توفي في بلدته "ليدس" ١٩١٤.

قال - وهو من أشد الناس عداوة للنبي ﷺ - في كتابه يسوع في إحياء الغزَّالي": "إن عبقرية محمد هي السبب في نجاحه واستطارة شأنه، يُضَافُ إلىٰ هذا كله معرفته العظيمة بالديانات في عصره، وقُوَّتُهُ في اجتذاب القلوب إليه، ومقدرته في الإدارة والحرب، ولباقتُهُ في السياسة الفائقة، لم يكد يقدر علىٰ البِرِّ وإسداء المعرفة وإظهار شكره للنعمة واعترافه بالجميل حتى ضرب للناس في ذلك أروع الأمثال".

*** المسيو "ديسون" الألماني:**

ولد في مدينة "كولونيا" عام ١٨١٧، ولم نعثر علىٰ تاريخ وفاته.

قال في كتابه "الحياة والشرائع": "وليس يزعم أحد اليوم أن محمداً راح يُزَوِّر ديناً وأنه كاذب في دعواه وأفَّاكٌ في دعوته، إذا عرف محمداً ودرس سيرته، وأشرف علىٰ ما يتمتَّعُ به دينه من تشريعات تصلح أن تظل مع الزمن مهما طال، وكلُّ من كتب عن محمد ودينه ما لا يجوز، فإنما هو من قلة التدبُّر وضعف الاطلاع".

*** "برتلمي سانت هليار" السويسري:**

أستاذ الفلسفة الإغريقية في "كوليج دي فرانس" وقد ولد عام ١٨٠٧، وتوفي ١٨٧٣.

قال في كتابه "مع الشرق": "لقد كان محمد أذكى العرب في عهده، وأكثرهم تقوى وديناً، وأرحبهم صدراً، وأرفقهم بأعدائه وخصوم دينه، وما استقامت إمبراطوريته إلا بسبب تفوقه علىٰ رجال عصره، وأما الدين الذي راح يدعو إليه فقد كان خيراً كبيراً علىٰ الشعوب التي اعتنقته وآمنت به".

*** القس "لوزون" الفرنسي:**

قال في إحدى محاضراته: "وآخر جميع الأنبياء - كما يعتقد المسلمون - هو محمد الذي ولد في مكة لعشر ليلٍ مضت من أبريل سنة ٥٧٠ للميلاد، وكانت

عائلته في قريش، وهي إحدى القبائل الشهيرة في بلاد العرب، وصاحب النسب المرتقي إلىٰ إسماعيل بن إبراهيم الخليل، وقد كان جدُّه متولياً سدانة الكعبة، وكانت دار حكومتهم، ومعبد ديانة العرب الوثنية، وتوفي والده عبد الله قبل ولادته، وتوفيت أمه وهو ابن ستة سنين، وكان أعظم ما يكون من كريم الطباع، وشريف الأخلاق، ومنتهى الحياء، وشدة الإحسان، وقد كفله عمه ابن ست سنوات، وأثناء كفالته بدأت تظهر من محمد علامات الذكاء ورجاحة العقل، ومر بصبيان يلعبون، فدعوه للَّعِبِ معهم فأجابهم: "إن الإنسان خلق للأعمال الجليلة، والمقاصد الشريفة، لا للأعمال السافلة والأمور الباطلة" وكان علىٰ خلق عظيم، وشيم مرضيَّة، شَفُوقًا علىٰ الأطفال، مطبوعاً علىٰ الإحسان، غير متمشدق في نفسه ولا صِلفٍ في معاملته مع الناس، وكان حائزاً قوة إدراك عجيبة، وذكاء مُفرطاً، وعواطف رقيقة شريفة"[1].

وقال في كتابه "المشرق" (ص٦١): "إن محمداً - بلا التباس ولا نكران - كان من النبيين والصِّدِّيقين، وهو رسول الله القادر علىٰ كل شيء، بل إنه نبيٌّ جليل القدر، ومهما تحدثنا عنه فليس بالكثير في حقه؛ لأنه جاء إلىٰ العالم بدين جمع فيه كل ما يصلح للحياة".

* **"جورج سيمون":**

قال: "إن محمداً قد رفع أعلام التمدُّن".

* **اللورد "هيدلي" وإسلامه:**

قال الشيخ الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر: كان لإسلام اللورد "هيدلي" ضَجَّةٌ كبيرة - لمركزه ولما يعلمه فيه عارفوه من نُضْجٍ في التفكير، وتروٍّ في الأمور - وحينما أراد الحج مر بالإسكندرية، فأقام له أهالي الثغر حفلة كُبْرَى وُضِعت تحت رعاية الأمير السابق "عمر طوسون الذي ألقى كلمة حَيَّىٰ فيها الضيف الكريم، ابتدأها بقوله: "مرحباً مرحباً وأهلاً وسهلاً، لقد خفَّت مصر إلىٰ استقبالكم، وابتهجت بمقدمكم الكريم، وكان سرورها بذلك عظيماً، حتى لقد تمنت كل مدينة أن تسعى بأهلها إليكم، أو يكون لكم مُتَّسَعٌ من الوقت لزيارتها، فقوم بما يجب لكم من الإجلال والإعظام، والترحيب والإكرام".

(١) نقلاً عن مجلة "المقتطف" المجلد الرابع. العدد السابع.

وكانت الحفلة برئاسة صاحب الفضيلة الشيخ " عبد الغني محمود" شيخ علماء الإسكندرية" .

كيف أسلم اللورد "هيدلي" ؟

ما العوامل التي دعته إلىٰ الإسلام ؟

إننا في هذه الصفحات التالية سنذكر جملة من النصوص ترشد القارئ إلىٰ سبب رفضه المسيحية وإلى سبب إسلامه، وإلى تصُّوره لكثير من وجهات النظر الإسلامية.

يقول اللورد: "عندما كنت أقضي - أنا نفسي - الزمن الطويل من حياتي الأولى في جوِّ المسيحية كنت أشعر دائمًا أن الدين الإسلامي به الحُسْنُ والسهولة وأنه خلو من عقائد الرومان والبروتوتستانت.

وثبتني في هذا الاعتقاد زيارتي للشرق التي أعقبت ذلك، ودراستي للقرآن المجيد " .

له الله . . لكم تألم وقاسى في سبيل وصوله إلىٰ الحق.

استمع إليه يقول: "فكَّرت وصليت أربعين سنة كي أصل إلىٰ حل صحيح، ويجبُ عليَّ أن أعترف أيضاً أن زيارتي للشرق ملأتني احتراماً عظيماً للدين المحمدي السَّلِسِ الذي يجعل الإنسان يعبد الله حقيقة طول مدة الحياة، لا في أيام الآحاد فقط " .

ويرى أن الإسلام هو الدين العالمُي حقاً، إذ يقول: "أيُمكِنُ إذًا أن يوجد دين يُمكِّن العالم الإنساني من أن يُجمع أمره علىٰ عبادة الله الواحد الحقيقي - الذي هو فوق الجميع وأمام الجميع - بطريقة سهلة خالية من الحشو والتلبيك ؟

فكِّر لحظة - وذلك تفكير لازم لكمال البشر في الحقيقة، إنه إذا أصبح كل فرد في الإمبراطورية الإنجليزية محمدياً حقيقياً - بقلبه وروحه - أصبحت إدارة الأحكام أسهل من ذلك ؛ لأن الناس سيُقادون بدين حقيقي" .

وها هو يُعَبِّر عن الشكر حينما هداه الله: "روح الشكر هي خلاصة الدين الإسلامي، والابتهال أصل في طلب الهداية والإرشاد من الله.

إنه - وإن كان شكري لله علىٰ كرمه وعنايته كان متأصلاً فيَّ من صغري وأيام حداثتي - فإنني لا أستطيع أن أشاهد ذلك من خلال السنين القليلة الماضية التي قرع فيها الدين الإسلامي لُبيِّ حقاً، وتملك رشدي صدقاً، وأقنعني نقاؤه، وأصبح حقيقة راسخة في عقلي وفؤادي، إذ التقيت بسعادة وطمأنينة ما رأيتها قط من قبل، كما أستنشق هواء البحر الخالص النقي، وبتحققي من سلاسة وضياء وعظمة الإسلام ومجده أصبحت كرجل فرَّ من سرداب مظلم إلىٰ فسيح من الأرض تضيئه شمس النهار ".

ومما يذكر من تعاليم الإسلام مُشيداً به: "ليس هناك في الإسلام إلا إله واحد نعبده ونتبعه، إنه أمام الجميع وفوق الجميع، وليس هناك قُدَّوس آخر نشركه معه، إنه لَمِنَ المدهش حقاً أن تكون المخلوقات البشرية ذوات العقول والألباب علىٰ هذا القدر من الغباوة، فيسمحون للمعتقدات والحيل والكهنوت أن تحجب عن نظرهم رؤية الشمس، رؤية ربِّهم القَهَّار المتصل دوماً بكل مخلوقاته، سواء كانوا عاديين أو أولياء مُقدَّسين.

مفتاح السماء موجود دائمًا في مكانه، ويمكن إدارته بأذلِّ وأقلِّ المخلوقات دون أية مساعدة من نبيٍّ أو كاهن أو ملك، إنه كالهواء الذي نستنشقه مجانًا لكل خلق الله.

أما هؤلاء الذين يجعلون الناس يفهمون غير ذلك ما دعاهم إلىٰ هذا العمل إلا حب الفائدة.

ليس غرضي الرئيسي أن أهاجم أيَّ فرع معين من فروع الديانة المسيحية، لأبين جلال وسلاسة الديانة الإسلامية - التي هي خالية في نظر الكاتب المنصف من العوائق الظاهرة - جليًّا في كثير من الديانات الأخرى ".

ولقد افترى كثيرون علىٰ الإسلام، وها هو ذا يردُّ علىٰ افتراءاتهم: "ليس في وُسْع الإنسان في الحقيقة إلا أن يعتقد أن مُدَبِّجي وناسِّجي هذه الافتراءات لم يتعلموا، حتى ولا أول مبادئ دينهم، وإلا لما استطاعوا أن ينشروا في جميع أنحاء العالم تقارير معروف لديهم أنها محض كذب واختلاق".

إن تعاليم القرآن الكريم قد نُفِّذَتْ وموِرست في حياة محمد الذي - سواء في أيام تَحَمُّلِهِ الألم والاضطهاد أم في زمن انتصاره ونجاحه - أظهر أشرف الصفات الخلقية التي لا يتسنى لمخلوق آخر إظهارها.

فكل صفات الصبر والثبات في عصره كانت تُرى في أثناء الثلاث عشرة سنة التي تألمها في مجاهداته الأولى بمكة، ولم يشعر في كل زمن هذا الجهاد بأيِّ تزعزُع في الثقة بالله، وأتمَّ كلَّ حياته بشمم وحمية.

كان ﷺ مثابراً، ولا يخشى أعداءه ؛ لأنه كان يعلم بأنه مكلَّفٌ بهذه المأمورية من قبل الله، ومن كلفه بهذا العمل لن يتخلى عنه.

لقد أثرت تلك الشجاعة التي لا تعرفُ الجفول - تلك الشجاعة التي كانت حقاً إحدى مميزاته وأوصافه العظيمة - إعجاب واحترام الكافرين وأولئك الذين كانوا يشتهون قتله . . ومع ذلك فقد انتهت مشاعرنا وازداد إعجابنا به بعد ذلك في حياته الأخيرة، أيام انتصاره بالمدينة، عندما كانت له القوة والقدرة علىٰ الانتقام واستطاعته الأخذ بالثأر، ولم يفعل، بل عفا عن كل أعدائه.

العفو والإحسان والشجاعة، ومثل هاتيك الصفات كانت تُرَى منه في كل تلك المدة، حتى إن عدداً عظيماً من الكافرين اهتدوا إلىٰ الإسلام عند رؤية ذلك.

عفا بلا قيد ولا شرط عن كل هؤلاء الذين اضطهدوه وعذبوه، آوى إليه كل الذين كانوا قد نفوه من مكة، وأغنى فقراؤهم، وعفا عن ألدِّ أعدائه عندما كانت حياتهم في قبضة يده وتحت رحمته.

تلك الأخلاق الربانية التي أظهرها النبي الكريم أقنعت العرب بأن حائزها يجب ألا يكون إلا من عند الله، وأن يكون رجلاً علىٰ الصراط المستقيم حقاً، وكراهيتهم المتأصلة في نفوسهم حوَّلتها تلك الأخلاق الشريفة إلىٰ محبة وصداقة متينة ".

محمد المثل الكامل: "نحن نعتبر أن نبي بلاد العرب الكريم ذو أخلاق متينة، وشخصية حقيقة وُزِنَت واختُبِرَت في كل خُطْوَةٍ من خُطى حياته، ولم يُرَ فيها أقلُّ نقص أبداً.

وبما أننا في احتياج إلىٰ نموذج كامل يفي بحاجاتنا في خطوات الحياة، فحياة النبي المقدَّس تسُدُّ تلك الحاجة.

حياة محمد كمرآةٍ أمامنا تعكس علينا التعُّقلَ الراقي، والسخاء والكرم، والشجاعة والإقدام، والصبر والحلم، والوداعة والعفو، وباقي الأخلاق الجوهرية التي تُكَوِّن الإنسانية، ونرى ذلك فيها بألوان وضَّاءة، خذ أيَّ وجه من وجوه الآداب وأنت تتأكَّد أنك تجدُهُ موضَّحاً في إحدى حوادث حياته.

ومحمد وصل إلىٰ أعظم قوة، وأتى إليه مقَاوِمُوهُ، ووجدوا منه شفقة لا تُجَارىَ، وكان ذلك سبباً في هدايتهم ونقائهم في الحياة ".

رحم الله اللورد "هايدلي" وجزاه عن الإسلام خير الجزاء[1].

* **"جون وانتبورت" السويسري:**

ولد في مدينة "لوزان" سنة ١٧٩٥م، وتوفي سنة ١٨٦٣م.

قال في كتابه "محمد والقرآن": " بقدر ما نرى صفة محمد الحقيقية بعين البصيرة والتَّرَوِّي في المصادر التاريخية الصحيحة، بقدر ما نرى من ضعف البرهان وسقوط الأدلة لتأييد أقوال الهَجْو الشديد والطعن القبيح الذي اندفن علىٰ رأسه وانهار عليه من أفواه المغرضين، والذين جهلوا حقيقة محمد ومكانته، ذلك الرجل العظيم عند كل من درس صفاته العظيمة، كيف لا وقد جاء بشرع لا يسعنا أن نتهمه فيه ؟! ".

* **"البرنس "كاتيان" الإيطالي:**

قال في كتابه "أديان العرب" (ص ٣٤): "إن مزية محمد هي كفاءته العجيبة كسياسي محنك أكثر منه كنبي موحى إليه !! وليس في وسع أحد فهم محمداً أن يحط من كرامته، ومن فعل ذلك فقد ظلم نفسه وظلم محمداً ".

* **العلامة " كارل ماركس" الألماني:**

ولد العلامة "كارل ماركس في "تريف" بألمانيا ١٨١٧، وتوفي ١٨٨٣، من رجال السياسة والفلسفة الاجتماعية، ومحرِّر "البيان الشيوعي".

قال في كتابه "الحياة": "إن الرجل العربي الذي أدرك خطايا المسيحية واليهودية، و قام بهمة لا تخلو من الخطر بين أقوام مشركين يعبدون الأصنام، يدعوهم إلىٰ التوحيد، ويزرع فيهم أَبَدِيَّةَ الروح، ليس من حقه أن يُعِدَّ بين صفوف رجال التاريخ العظام فقط، بل جدير بنا أن نعترف بنُبُوَّته، وأنه رسول السماء إلىٰ الأرض".

---

(١) "أوربا والإسلام" (ص٦٧ - ٧٢).

ومن ألمانيا

* الشاعر المعروف "جايتي" الألماني:

قال في كتابه "الإسلام" (ص٦٧) بعد تعداد ما جاء به الإسلام: "إذا كان ذلك هو الإسلام فكلنا إذاً مسلمون، نعم، كل من كان فاضلاً شريف الخلق فهو مسلم، ألا إن دين محمد كله إخلاص، ودين اجتماع وأخلاق ورعاية لبني الإنسان، فإنه يمتاز شرع محمد ودينه عن غيره".

* الكاتب الشهير "دريترسي" الألماني:

ولد في "برلين" ١٨٢١م وتوفي ١٨٨٨م، مستشرق ألماني.

قال: "إن علوم الطبيعة والفلك والفلسفة والرياضيات التي أنعشت أوربا في القرن العاشر للميلاد مقتبسة من قرآن محمد، بل إن أوربا مدينة للإسلام الذي جاء به محمد".

وقال: "إننا لو أنصفنا الإسلام لاتبعنا ما عنده من تعاليم وأحكام؛ لأن الكثير منها ليس في غيره، وقد زاده محمد نمواً وعظمة بحسن عنايته وعظيم إرادته، ويظهر من محمد أن دعوته لهذا الدين لم تكن إلا عن سبب سماوي، إننا نقول هذا لو أنصفناه فيما دعا إليه ونادى به، وإن من اتهم محمداً بالكذب فليتهم نفسه بالوهن والبلادة، وعدم الوقوف علىٰ ما صدع به من حقائق".

* الهر "ماركوس" الألماني:

دكتور بالفلسفة، ولد في "تريف" عام ١٨١٨ وتوفي عام ١٨٨٤، محرر البيان الشيوعي ومن رجال السياسة والفلسفة.

قال في محاضرة له ألقاها عام ١٨٧٢ نقلتها مجلة "المقتطف" المصرية، المجلد الخامس منها: "تعالوا إلىٰ كلمة سواء بيننا ننصف بها الإسلام الحنيف ونَبِيَّه العظيم محمداً، ولنجعل موضوعنا اليوم "الحكومة الإسلامية في صدر الإسلام" ولنستعرض تنظيماتها في عهد سيدها وقائدها وزعيمها، ذلك الرسول الكريم، لنبين أن الصحابة والخلفاء الراشدين وقادة الإسلام كانوا يقومون بواجباتهم بكل أمانة ودقة، وفقاً للشريعة الغراء التي جاء بها محمد، لم يكن في فجر الإسلام شيع ولا أحزاب، بل علىٰ العكس من ذلك، كانت الحكومة الإسلامية تمثل جميع المسلمين

تمثيلاً صحيحاً، وهي عبارة عن هيئة منظمة مشتركة، تنطق بحق بلسان كافة المسلمين، كل مسلم يشُدُّ أزر أخيه المسلم، وكان عدل محمد منتشراً بين المسلمين، بحيث كان المسلم الواحد مطمئنًا إذا كان هو رافلاً في بحبوحة من العيش وهناء بال، ولم يكن مخطئاً في ذلك، بل كان هذا هو الحق الواقع ".

إلى أن قال: "وهذه البدعة التي اشترعها محمد كانت بمثابة ينبوع فياض يكفل حاجة المسلم الفقير، فيتناول نصيبه من بيت المال بانتظام، وفي ذلك مساعدة عظمى لأمته".

*** العلامة "برتلي سانت هيلر " الألماني:**

مستشرق ألماني، ولد في "درسدن" ١٧٩٣ وتوفي ١٨٨٤.

قال في كتابه "المستشرقون وعقائدهم": "كان محمد رئيساً للدولة، وساهراً علىٰ حياة الشعب وحريته، وكان يعاقب الأشخاص الذين يجترحون الجنايات حسب أحوال زمانه وأحوال تلك الجماعات الوحشية التي كان يعيش النبي بين ظهرانيهم، فكان النبي داعياً إلىٰ ديانة الإله الواحد، وكان في دعوته هذه لطيفاً رحيماً، حتى مع أعدائه، وإن في شخصيته صفتين هما من أجلِّ الصفات التي تحملها النفس البشرية، وهما العدالة والرحمة".

*** الدكتور "تيودور نولدكه" الألماني:**

هو من مشاهير المستشرقين الألمان، ولد في "همبورغ" عاصمة ألمانيا التجارية عام ١٨٣٦، وتوفي ١٩٢٠، اشتغل في اللغات السريانية والفارسية والعربية، له "تاريخ القرآن" قال فيه (ص٢٣): "نزل القرآن علىٰ محمد نبي المسلمين - بل نبيِّ العالم - لأنه جاء بدين إلىٰ العالم عظيم، وبشريعة كلها آداب وتعاليم، وحري بنا أن ننصف محمداً في الحديث عنه، لأننا لم نقرأ عنه إلا كل صفات الكمال، فكان جديراً بالتكريم ".

*** العلامة "كال هنري يكر" الألماني:**

مستشرق ألماني، ولد في بلدته "لاكازا" من ألمانيا الغربية عام ١٨٧٦، وتوفي ١٩٣٧، له عِدَّةُ مؤلفات، وهو المؤسس لمجلة "العالم الإسلامي" وكان يُفَضِّل الأدب الإسلامي علىٰ الأدب المسيحي.

قال في كتابه "الشرقيون": "لقد أخطأ من قال: إن نبي العرب دجال أو ساحر، لأنه لم يفهم مبدأه السامي، إن محمداً جدير بالتقدير، ومبدأه حري بالاتباع، وليس لنا أن نحكم قبل أن نعلم، وإن محمداً خير رجل جاء علىٰ العالم بدين الهدى والكمال، كما أننا لا نرى أن الديانة الإسلامية بعيدة عن الديانة المسيحية".

*** "ويلكي كولنز" الألماني:**

الروائي المعروف .. قال في كتابه "جوهرة القمر": "لقد جاء محمد بصيانة النساء وحَثِّهِنَّ علىٰ العفاف، وحذَّر من السير علىٰ خلافهما، مشيراً إلىٰ ما في هذين من النقص والخسة، وكم لمثل هذا من نظير في شريعته السامية".

*** القس "ميشون" الألماني:**

قال في كتابه "سياحة دينية في الشرق" (ص ٣١): "إنه لمن المحزن أن يتلقَّىٰ المسيحيون عن المسلمين روح التعامل وفضائل حسن المعاملة، وهما أقدس قواعد الرحمة والإحسان عند الشعوب والأمم، كل ذلك بفضل تعاليم نبيهم محمد".

*** شاعر ألماني كبير "جوته" (١٧٤٩ - ١٨٣٢):**

مر بنا سابقاً ما قاله "جوته" عن القرآن الكريم: "إنه الكتاب الذي يكرر نفسه تكرارات لا تنتهي، فيثير اشمئزازنا دائماً كُلَّما شرعنا في قراءته".

وهو القائل عن رسول الله ﷺ - كما سبق - "نصب حول العرب غلافاً دينياً كئيباً، وعرف كيف يحجب عنهم الأمل في أي تقدم حقيقي"[1].

وهنا وجهة نظر أخرى لدى الباحثة الألمانية " د. كاثرينا ممسين " عن "جوته" كتابها "جوته والإسلام" ترجمة شيرين حامد فهمي، وأصدرته مكتبة الشروق الدولية، تتحدث د. "كاثرينا ممسين" عن إعجاب "جوته" بالقرآن .. وكان مفهوم "التسامح" هو الذي جذب "جوته" إلىٰ الإسلام.

ولكي يفهم لغة القرآن تعلم اللغة العربية والخط العربي، وكان يصف لغة القرآن بالقوة والعظمة والرهبة والسكون في خليط عجيب.

---

(١) "صورة الإسلام في التراث الغربي" (ص٥٧).

وتذكر د. "كاثرينا ممسين" أمثلة من كتابات "جوته" ورسائله التي تدلُّ علىٰ مدى احترامه للإسلام، فقد كتب رسالة وهو في الثانية والعشرين من عمره قال فيها: أريد أن أدعو كما دعا موسى ربه في القرآن: ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى﴾ [طه: ٢٥] مما يدل علىٰ أنه قرأ القرآن وتأثر به.

وعندما بلغ السبعين أعلن عن قراره بالاحتفال بتلك الليلة المقدسة التي نزل فيها القرآن من أعلى السماوات إلىٰ النبي محمد ﷺ وهذه اللغة في الحديث عن الإسلام كانت بعيدة كل البعد عن اللغة التي كان العالم الغربي يتحدَّثُ بها عن الإسلام.

تقول د. "كاثرينا ممسين": "إن "جوته" رأى خلافاً للعالم الغربي التأثير الإلهي للقرآن علىٰ البشرية، وإن اقتباسات "جوته" من القرآن في مواضع كثيرة في كتاباته تعكس تقديره الشخصي واقتناعه بأمور كثيرة في الإسلام، وكانت سورة "البقرة" من أكثر السور التي أثرت في هذا الشاعر الكبير، وهو يذكر عدة آيات يتوقف عندها ويشيد بما فيها من الفكر الرائع العميق[1] مثل: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [البَقَرة: ١١٢].

كما يتحدث عن آية أخرى من نفس السورة، يقول: إنها تعبر عن دليل وجود الله في الكون كله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ [البَقَرة: ١١٥] والآية: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البَقَرة: ١٦٤].

وسجل جوته إعجابه بالإسلام من الدعوة إلىٰ الخير، فقال: "إن الله يقول في القرآن: إنه لم يبعث رسولاً إلىٰ قوم إلا أن يكون منهم، ويتحدث بلغتهم، ويعرف ثقافتهم" ويستشهد بالآية: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾﴾ [الرّعد: ٧].

والآية: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾﴾ [إبراهيم: ٤]".

(١) القرآن ليس فكراً، بل هو كلام العلي الكبير، وهو سبحانه لا يوصف بالتفكير.

وكتب "جوته" رسالة إلىٰ المفكر والمؤرخ البريطاني "توماس كارليل في سنة ١٨٢٧م قال له فيها: "إن القرآن يقول: إن الله أرسل لكل قوم رسولاً يتحدث بلغتهم " وأشار إلىٰ الكفار الذين طالبوا الرسول محمداً ﷺ بأن يأتي بمعجزات، وعلَّق علىٰ ذلك بأبيات من الشعر قال فيها: قال لهم: المعجزات لا أستطيع الإتيان بها، المعجزة الكبرى هي وجودي بينكم رسولاً"[1].

كان للشاعر الفرنسي الشهير "فولتير" مسرحية بدأ عرضها عام ١٧٤٢، واشتُهِرَت في الغرب، اسمها "تطرف النبي محمد" وأعلن "جوته" أن هذه المسرحية قدمت أبشع صورة بمكن تصُورُها عن نبي، وألف مسرحية تعارضها، بعنوان "الدراما المحمدية" من مشهدين:

في المشهد الأول يصور بعثة النبي محمد ﷺ وكيف جاء الوحي بتكليفه بالرسالة.

والمشهد الثاني يصور معاناة الرسول ﷺ مع قومه في تبليغ رسالة التوحيد، وقدم "جوته" بعد ذلك "أغنية محمد" التي تعتبر أول تبجيل للرسول ﷺ من شاعر أوربي.

وفي هذه الأغنية يظهرُ انبهارُ "جوته" بشخصية النبي ﷺ ثم انبهاره بجهاده، وعدم اكتفائه بالدعوة، وكفاحه لتأسيس مجتمع قائم علىٰ مبادئ الدين الذي جاء به، وربط بين النبي ﷺ المعلم الروحي، والنبي الإنسان ذي الصفات العالية.

ويعكس "جوته" في أشعاره عموماً إعجابه بما في شخص الرسول ﷺ من المزج بين الشخصية التي تؤسس دينًا جديداً وبين نفس الشخصية وهي تُكَرِّسُ جهدها لتربية البشر روحياً.

وجاء في أشعار "الدراما المحمدية" الكثير من تعبيرات الإعجاب والتقدير للرسول ﷺ مثل:

بين مضايق الجبال سار

وبخُطَى أقدام القائد شدَّ معه أصحابه.

تنتعش الورود تحت أقدامه.

---

(١) "المنصفون للإسلام في الغرب" (ص ٢١٦ - ٢١٧) لرجب البنا. دار المعارف.

وفي غير ظله لا تُوجَدُ الورود.

وها هو ذا يسير في الوادي متلألئاً بهياً

والأنهار والجداول تهتف به صائحة: يا أخانا.

خذ إخوانك وخذنا معك إلىٰ ربك الدائم.

والآن يعلو ويكبِّرُ ويحمل معه الأمراء.

وفي وسط انتصاراته دانت المدن تحت قدميه، وهو يسير تاركاً الترف والثراء، لا يعبأ بهما . . وهكذا حمل أصحابه وأطفاله.

ولا يكتب هذه الصورة المليئة بالتقدير إلا من يؤمن بأن محمداً ﷺ رسول بحق، وأن دينه دين الحق.

وتذكر "كاثرينا ممسين" مواقف كثيرة تدل علىٰ اعتقاد "جوته" بالتسليم لله كما في العقيدة الإسلامية ؛ ففي عام ١٨٢٠م مرضت أخته غير الشقيقة بمرض خطير، فكتب إلىٰ صديق له: "لا أستطيع إلا أن أقول: إنني أجد نفسي - مرة أخرى - باحثاً عن الإسلام".

وفي عام ١٨٣١ انتشر وباء الكوليرا، فكتب: "هنا لا يستطيع أحد أن ينصح غيره فيما يفعله، فنحن جميعاً نعيش في الإسلام الذي يعطينا الشجاعة في مواجهة الحياة".

وقبل موته بأربعة أسابيع - وهو في عامه الثاني والثمانين - كتب: "من أجل أن يتحرَّر البشر من الخوف انتهوا بإلقاء أنفسهم في حضن الإسلام واثقين في الله، وفي أقداره غير المكشوفة لنا".

فهو مؤمن بما في الإسلام من الخضوع لله والرضا بما كتبه، ويُعَبِّر عن ذلك بقوله: "إنه لمن اللافت للانتباه أن نرى كيف كان المؤمنون بمحمد ﷺ يقومون بتربية الأجيال المسلمة، وكان الدرس الأول هو تثبيت عقيدة القضاء والقدر، والإنسان لا يواجه أمراً إلا وقد كتبه الله له، ومن ثم يعيشون حياتهم آمنين مطمئنين".

ولقد واجه "جوته" الكثير من الانتقادات والاتهامات لإعجابه بالإسلام ومعارضته للتيار العدائي الغالب للإسلام، وللرسول ﷺ، وكان ردُّه علىٰ ذلك في كتاب "المقولات" بأبيات قوية وصريحة، قال فيها:

من حماقة الإنسان في دنياه

أن يتعصَّب كل منا لرأيه

وإذا كان الإسلام معناه التسليم لله

فعلى الإسلام نحيا ونموت أجمعون

هل كان الشاعر العظيم "جوته" معجباً بروحانية الإسلام فقط - وهو الذي نشأ في أسرة بروتستانتية ؟ - أو كان مسلمًا بقلبه - كما يقول البعض.

تقول الباحثة الألمانية: د. "كاثرينا ممسين": "إن "جوته" عندما أصدر ديوانه "الغرب والشرق " " في مايو ١٨١٤ ثار معظم الألمان عليه ؛ لأن هذا العمل لا يصدر إلا عن شخص علىٰ علاقة روحية وثيقة بالإسلام، ثم ازدادت ثورتهم عليه عندما قال بعد ذلك بعامين - أي في ١٨١٦: "إن مؤلف هذا العمل لا ينفي الفكرة بأن يكون هو نفسه مسلماً".

وهو يتحدث في هذا الديوان عن الأصالة الدينية في الشرق، وعن رغبته في تجاوز التناقضات العدائية بين الديانتين، والجمع بين هذين العالمين تحت مظلة واحدة، كما يتحدث به عن شخصيات إسلامية أحبها، مثل السلطان سليم، والمتنبي، وحاتم الطائي، والفردوسي وغيرهم.

ويبدو في ديوان "الغرب والشرق " أن "جوته" كان دارساً للقضايا التي شغلت المفكرين المسلمين علىٰ مدى العصور، فهو - علىٰ سبيل المثال - يشير إلىٰ المعركة التي قامت حول "هل القرآن مخلوق أو هو قديم"، والتي تعرَّض فيها الإمام أحمد ابن حنبل للتعذيب لأنه تمسك برأيه في أن القرآن قديم.

يقول "جوته" في إشارته إلىٰ "القرآن المقدس":

هل القرآن قديم[1].

شيء لا أسألُ عنه.

---

(١) هذا ما يقوله . . وهي مسألة هامة في عقيدة أهل السنة والجماعة . . والقرآن من كلام الله ، وكلام الله غير مخلوق ، كما أنه لا يوصف الله سبحانه ولا كلامه ، ولا سائر صفاته بوصف "القديم" .

هل هو مخلوق.

شيء لا أدريه.

وكثير من أبيات الديوان عن القرآن، فهو يستلهم من الآية: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفَاتِحَة: ٦] في سورة الفاتحة مناجاته:

ينازعني الغي والضلال.

لكنك تعرف كيف تهديني.

اهدني أنت في أعمالي الصراط المستقيم.

ويردد "جوته" الآية: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ﴾ [البَقَرَة: ١١٥] فيقول:

لله المشرق.

لله المغرب.

وله الأرض شمالاً وجنوباً.

وكان "جوته" يعبر دائمًا عن حُبِّه للحروف العربية والخط العربي.

وفي كتابات "جوته" ما يدل علىٰ تَأَثُّرِهِ بالقرآن، ويقول: "إنه كتاب ليس له مثيل علىٰ وجه الأرض، ولا مثيل لما فيه من ذكر لأسماء الله الحسنى".

وقد رأى في القرآن الرؤية الإسلامية للذات الإلهية كما كان أسير الإعجاب بشخصية الرسول ﷺ، ويقول: "إنه جمع بين الإنسان والنبي"[1].

وقد اكتشف أحد الباحثين مخطوطة ديوان لم يُنْشَرْ كتبه "جوته" بعنوان "بعثة محمد" نُشِرَت في باريس عام ١٩٠٧م، يقول فيها:

حينما كان يتأمل في الملكوت.

جاءه الملاك ومعه النور.

اضطرب؛ فهو لم يقرأ أبداً.

---

(١) كيف هذا . . أهو مذهب وحدة الأديان الذي دعا إليه من بعد رجاء جارودي !! .

كلمة "اقرأ" تعني الكثير بالنسبة له.

لكن الملاك بلغه الرسالة وبدأها بالأمر "اقرأ".

واستمع إلىٰ الأمر .. وبدأ طريقه.

وعلى رغم إعجاب "جوته" بالإسلام وكتابه ورسوله فإنه يُوَجِّهُ اللوم إلىٰ المسلمين لابتعادهم عن روح الإسلام، ويوجه هذا اللوم إلىٰ المسيحيين أيضاً، ويتهمهم بالابتعاد عن روح المسيحية، مقارناً بين ما كان عليه المسيحيون عند ميلاد المسيحية، وما صاروا إليه بعد ذلك، عندما تحولت الكنيسة إلىٰ سلطة سياسية، واشتغلت بجمع الأموال وتملك الأراضي، وبحثها عن أمور الدنيا، وهو ينتقد الانقسام الذي حدث بين الكاثوليك والبروتستانت، وفي ذلك كتب في عام ١٨١٦م يقترح إقامة احتفال واحد يجمع المؤمنين بالأديان جميعاً أسماه "احتفال الإنسانية النقية" وفيه لا يُسأل أحد عن دينه، "الجميع يذهبون يتلمسون الضوء من شعاع واحد، وتسمو أرواحهم، ويتذكَّرُ كلٌ منهم عيده فيحتفل به"[(١)].

ولقد كان تأثير "جوته" عظيماً، وما زال كذلك حتى اليوم، فقد تأثر به الشاعر الروسي الكبير "الكسندر بوشكين" (١٧٩٩ - ١٨٣٧م)، والشاعر البولندي "آدم ميليفكس" (١٧٩٨ - ١٨٥٥) فكانت أشعارهما تعكس تعاطفاً تجاه العالم الإسلامي، وامتدَّت أصداءُ شعر "جوته" إلىٰ آسيا، فتأثر به الشاعر والفيلسوف الباكستاني "محمد إقبال" (١٨٧٧ - ١٩٣٨م) وله كتاب شهير باسم "سفارة الشرق" يعتبرُهُ النقَّادُ الصدى الصافي لديوان "الغرب والشرق".

ونختم الحديث عن "جوته" بما قاله في مقدمة كتاب "المحمديات" لـ"ديسون" الألماني، والذي عَرَّبَهُ عن الفرنسية إلىٰ العربية الكاتب الشهير "عمر أبو النصر".

قال تحت عنوان "نشيد محمد، أو فيض الإسلام": "انظر إلىٰ يَنْبُوع الجبل يضطرب مليئاً صافياً، كأنما هو شعاع دُرِّيٌّ فوق السحب، أرضعت ملائكة الخير طفولته في مهده يوم كان بين أفلاق الصخور المُعْشَوشِبة، إنه ينحدر من السحاب فتيّاً نقيّاً، ثم يتنزى منها جذلان فرحاً، إنه يسير في إثره أخوات من العيون الثرارة، كأنما

(١) "المنصفون للإسلام في الغرب" (ص ١١٧ - ٢٢١).

هو مرشدها الأمين، وأما في الوادي، فالرياحين تنبثق عند قدميه، والمروج تحيا من أنفاسه، لا يثنيه الوادي الظليل، ولا الرياحين التي تُطَوِّق ساقيه، وتحاول أن تسبيه وتستهويه بلحاظها الفواتن ".

إلى أن قال: "وها هو العُبَابُ طامياً زاخراً، ترفده الروافد، فيخلع في مجراه على الأمصار أسماءها، وتنشأ عند أقدامه المدن بيد أنه لا يني فلا يبرح هادراً يندفع، لا يثنيه ثانٍ مُخَلِّفاً وراءه المنائر والصروح، نتاج خصبه وإنتاجه، ذلك هو محمد بن عبد الله ".

*** العلامة "ديسون" الفرنسي:**

قال في كتابه "المحمديات" تعريب البحاثة "عمر أبو النصر" (ص ١٩): "لقد ولد محمد نبي العرب في قلب البلاد العربية عام ٥٧٠ بعد المسيح، وتمكّن الإسلام في أواخر القرن السابع أن يقتحم سوريا وفارس ومصر والمغرب، وأن يمتد إلى إفريقيا الشمالية، وأن يحتل كل الجزر الواقعة في البحر المتوسط، وأن يتصل بالهند والصين، فلما آذنت شمس القرن الثامن بشروق اقتحم الإسلام إسبانيا، وأخذ "شارلمان" و"هارون" الرشيد" يتبادلان السفراء والهدايا".

إلى أن قال (ص٢٢) منه: "وليس يصح أن ينظر إلى دين محمد كدين مليء بالخرافات والأكاذيب وغير ذلك، فهذا مخالف للحقيقة بعيد عن الواقع، فإن التعاليم الإسلامية شريفة سامية، والأخلاق رفيعة عالية، وفي الإسلام من العقائد والآراء ما يستحق احترام الفلاسفة وعلماء الاجتماع له".

ثم يذهب "المسيو ديسون" إلى أن بعض المؤرخين يذكر عن محمد إنه كان كارهاً للأصنام بعيداً عن عبادتها والتقرب منها، وإن كان لا يعلم أنه سيُنْشِئُ في مقبلات الأعوام ديناً يُبَدِّلُ الأرض غير الأرض، ويحدث في العالم ظاهرة جديدة لا تزال آثارها بعيدة المدى عظيمة الخطورة . . إلى آخر كلامه.

*** الفيلسوف الألماني "شيلنجر":**

قال الفيلسوف الألماني "شيلنجر" في كتابه "أفول الغرب": "إن حضارة الإسلام حضارة جديدة أوشكت على الظهور في أروع صورة، والإسلام يملك اليوم أقوى قوة روحانية عالمية نقية"[1].

(١) "المنصفون للإسلام في الغرب" (١٩).

*** "بول ديورانت" :**

قال المفكر الكبير "بول ديورانت" : "إذا حكمنا علىٰ العظمة بما كان للرجل العظيم من أثر في الناس، فلا بد أن نقول: إن محمداً ﷺ كان أعظم عظماء التاريخ"(١).

*** "أنا ماري شيمل" أعظم من أنصف الإسلام في ألمانيا:**

"أنا ماري شيمل" أعظم المستشرقات اللاتي أنصفن الإسلام في الغرب . . وما تقوله له تأثير علىٰ كثير من المستشرقين والألمان بصفة خاصة، ويمتد تأثيرها إلىٰ بقية دول أوربا، وهي حائزة علىٰ جائزة "السلام للناشرين الألمان" وهي أهم الجوائز الثقافية والفكرية في ألمانيا.

وبسبب موقفها من (سلمان رشدي) وروايته تعرضت لحملة اضطهاد شديدة في ألمانيا.

تقول: "ولولا أن الرئيس الألماني في ذلك الوقت كان يساندني لكانت الذئاب قد افترستني، ولكنني مع ذلك قضيت في هذه المحنة ستة شهور"(٢).

حصلت "أنا ماري شيمل" علىٰ جوائز تقدير عديدة من أنحاء العالم يصعب حصرها، منها وسام الاستحقاق الكبير، أعلى وسام ألماني في عام ١٩٨١، وإنتاجها المنشور عن الإسلام والشرق بلغ أكثر من ثمانين مجلداً، وصدر أكثر من ٢٠٠ كتاب عنها وعن أبحاثها وأفكارها، وهي معروفة عالمياً ومقروءة باللغات الإنجليزية والفرنسية والفارسية والتركية، والأوردية والعربية والإندونيسية، وتوفيت يوم الثلاثاء ٤ فبراير ٢٠٠٣.

وإجابة عن سؤال عن رأيها في الإسلام قالت بوضوح: "إنني أحب الإسلام، ولولا أنني أحبه ما كتبت عنه أكثر من ثمانين كتاباً، وقد وجدت فيه دين تسامح وروحانية وتوَّقفْتُ كثيراً عند كلمات القرآن: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٦] " وقد قلت لمن وجهوا إليَّ النقد: إني أحب الرسول محمداً ﷺ(٣).

---

(١) "المنصفون للإسلام في الغرب"(١٩) .

(٢) المصدر السابق (١٩) .

(٣) المصدر السابق (١٨ - ١٩) .

وفي رأيها أن التشهير بالإسلام والمسلمين في الغرب قضية لها جذور وعمق تاريخي[١].

وتقول: "الإساءة إلىٰ الإسلام كانت شائعة في القرون الوسطى، ويظهر ذلك في الشعر الفرنسي من القرن الحادي عشر إلىٰ القرن السابع عشر، كما يظهر في الأدب الإنجليزي والأسكتلندي، حتى إنهم حرفوا اسم النبي محمد إلىٰ Mahaund، وهو اسم يتكوَّن من مقطعين، والمقطع الثاني "haund" يعني "كلب" وفي نصوص أخرى نجد أن اسم النبي محمد ﷺ تحول إلىٰ اسم معناه "الشيطان" وحتى في الأشعار الألمانية الرومانسية سنة ١٨٠١ نجد اسم محمد ﷺ وقد تحول إلىٰ "Mahom" "ماحوم" وإشارات إلىٰ أن المسلمين يعبدون أصناماً ذهبية لمحمد ﷺ . . وهكذا لا يوجد شيء سلبي لم يلصقه الغربيون بالإسلام من القرن الثامن حتى القرن العاشر، وازدادت مع بداية الحروب الصليبية، وفي نوفمبر ١٩٩٥ تحدث الكُتَّاب الغربيون بفخر عن ذكرى مرور ٩٠٠ سنة علىٰ انطلاق أول حملة صليبية، مما يدل علىٰ أن تلك الحقبة ما زالت حية في عقول الغربيين"[٢].

وأجمل ما قالته "**أنا ماري شيمل**": "إن وسيلتها للحديث عن الإسلام ليست بإصدار البيانات، أو بالظهور المسرحي، ولكنها تؤمن بأن المياه التي تسير سيراً هادئاً وباستمرار قادرة مع الزمن علىٰ أن تذيب الحجر الصلب"[٣].

وفي حديث لها مع الدكتور "ثابت عيد" نشر في مجلة "أكتوبر" في عدد ١٠ مارس ١٩٩٦، أكدت "أنا ماري شيمل" استنكارها لسلوك الغرب تجاه الإسلام، ووجهت إنذاراً شديد اللهجة إلىٰ أعداء الإسلام ؛ لأنهم علىٰ باطل، قالت فيه: "إن الفكرة السائدة في الغرب بأن الإسلام يعادي المرأة فكرة خاطئة، بل إن في الغرب مفكرين يقولون: إن المرأة في الإسلام كائن بلا روح . . ولكي نعرف كذب هذا الادعاء، نعود إلىٰ القرآن الكريم، وسوف نرى أنه يُسَوِّي بين الذكر والأنثى،

(١) المصدر السابق (١٩) .
(٢) المصدر السابق (٢٥ - ٢٦) .
(٣) المصدر السابق (٣٠) .

وبين المؤمنين والمؤمنات، ولم يفرّق بينهما في مجال الفرائض الدينية . . وإذا قيل: إن للمرأة نصف نصيب الرجل في الميراث فإن ذلك لسبب عملي، فالمرأة حين تتزوَّج تحصل علىٰ مهر مناسب، والزوج هو المسئول شرعاً عن الإنفاق عليها، وهكذا تظهر العدالة في توزيع الأعباء والمسؤوليات، وفي النهاية سنجد أن المرأة هي الرابحة "[١] وقالت: "إنني أقول دائماً للغربيين الذين يُشوِّهُون صورة الإسلام: إن الإسلام منح المرأة حق الاحتفاظ باسمها، وبما تملكه من مال قبل زواجها، وبما تكسبه بعد الزواج، وهذا يتضمَّنُ حق المرأة في أن تعمل وتكسب من أية مهنة أو تجارة، والمرأة في أوربا لم تتوصَّلْ إلىٰ حق الاحتفاظ بما تملكه من مال بعد زواجها إلا منذ فترة قريبة".

وتقول: "إنني كمؤرخة للأديان أقف بإعجاب عند الآية (١٨٧) من سورة البقرة التي تحدد العلاقة بين الرجل والمرأة في إطار الزواج: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البَقَرَة: ١٨٧]، و"اللباس" يعني الذات الأخرى أو النفس الأخرى، وبذلك يكون معنى الآية: أن الرجل والمرأة يكمل كل منهما الآخر، وأن كلًّا منهما هو النصف الأفضل للآخر، وأعتقد أنه يجب تسليط الضوء علىٰ هذه الآية عند الحديث علىٰ مكانة المرأة في الإسلام"[٢].

وتقول: "إن ما يقال في الغرب من أن العقيدة الإسلامية عقيدة منحرفة، اتهام باطل وجَّهَهُ مَسِيحيُّو القرون الوسطى إلىٰ الإسلام، ومسيحيو القرون الوسطى اعتبروا الإسلام هرطقة مسيحية، بل إن بعض الأساطير في القرون الوسطى تقول: إن محمداً كاردينال مسيحي، استاء لعدم اختياره بابا، فقام بالانفصال عن الكنيسة، وأسس لنفسه ديانة جديدة، وقد أثارت مثل هذه الكتابات الفزع من الإسلام ومن الرسول في نفوس المسيحيين العاديين في الغرب ؛ لأنهم اعتقدوا أنه ليس من الممكن أن تظهر ديانة سماوية أخرى بعد المسيحية، وهذا الرأي ما زال شائعاً بين الكثير من أوساط المسيحية حتى يومنا هذا، ومن المؤسف أن مثل هذه

(١) المصدر السابق (٢٢ - ٢٣) .

(٢) "المنصفون للإسلام في الغرب" (ص٢٣) .

الأفكار الخاطئة تبقى إلىٰ وقت طويل في ذاكرة الأفراد، وفي الوعي الجماعي واللاشعور الجماعي في الغرب، ويمكن إحياؤها في أي وقت !"[١].

وترد "أنا ماري شيمل" علىٰ المقولة الكاذبة القائلة بأن الإسلام انتشر بحد السيف فتقول: "هذا ادعاء شائع في الغرب، إن الإسلام لم ينتشر بحد السيف في شبه القارة الهندية وماليزيا والصين وغرب أفريقيا، بل انتشر عن طريق الصوفيين والتجار الذين قدموا العقيدة الإسلامية بطريقة بسيطة لهذه الشعوب"[٢].

*** المؤرخ "ديكنز":**

يقول المؤرخ "ديكنز" في كتابه "معالم تاريخ الإنسانية": "إن الإسلام ساد لأنه خير نظام اجتماعي وسياسي ظهر في التاريخ"[٣].

*** المفكر الألماني الدكتور "مراد ويلفريد هوفمان":**

ولد عام ١٩١٠، حاصل علىٰ الدكتوراه في القانون من إحدى جامعات الولايات المتحدة، عمل خبيراً نووياً في حلف الأطلنطي، وعمل سفيراً لبلاده في الجزائر والإمارات والسعودية، واعتنق الإسلام وأصبح، واحداً من أشهر المنصفين للإسلام في الغرب، وله كتب عديدة منها "الإسلام كبديل" والإسلام عام ٢٠٠٠، و"يوميات ألماني مسلم"، و"الإسلام في الألفية الثالثة".

يقول د. "مراد هوفمان" إن المستشرقين حاولوا إثبات أن القرآن ليس من عند الله، وفشلوا، كما فشلوا في إثبات حدوث تغيير في أي حرف أو كلمة فيه"[٤].

وهو يرد علىٰ المستشرقين رداً مفحماً، ويدافع عن الإسلام ورسوله ﷺ.

---

(١) (٢) المصدر السابق (٢٤).

ويؤخذ عليها اهتمامها بجلال الدين الرومي، والحلاج وابن عربي وإعجابها الكبير بقول ابن عربي:

لقد صار قلبي قابلاً كل صورة ... فمرعى لغزلان ودير لرهبان

وبيت لأوثان وكعبة طائف ... وألواح توراة ومصحف قرآن

(٣) المصدر السابق (٢٠).

(٤) المصدر السابق (١٠٩).

*** السير "وليم موير" الإنكليزي:**

قال في كتابه "سيرة محمد " (ص٣١): "امتاز محمد بوضوح كلامه ويسر دينه، وأنه أتم من الأعمال ما أدهش الألباب، ولم يشهد التاريخ مصلحاً أيقظ النفوس وأحيا الأخلاق الحسنة، ورفع شأن الفضيلة في زمن قصير كما فعل محمد".

*** السير "وليام ميو" الإنجليزي:**

قال في كتابه "محمد": "ومن صفات محمد الجليلة الجديرة بالذكر والحَرية بالتنويه: الرقة والاحترام اللتان كان يعامل بهما أصحابه، حتى أقلهم شأناً، فالسماحة والتواضع والرأفة والرقة تغلغلت في نفسه، ورسخت محبته عند كل من حوله، وكان يكره أن يقول: لا، فإن لم يمكنه أن يجيب الطالب على سؤاله فضَّل السكوت على الجواب، ولقد كان أشد حياء من العذراء في خدرها، وقالت عائشة رضي الله عنها: "وكان إذا ساءه شيء تَبيَّنا ذلك في أسارير وجهه، ولم يمس أحداً بسوء إلا في سبيل الله".

ويؤثر عنه أنه كان لا يمتنع عن إجابة الدعوة من أحد، مهما كان حقيراً، ولا يرفض هدية مهداة إليه مهما كانت صغيرة، وإذا جلس مع أحد - أياً كان - لم يرفع نحوه ركبته تشامخاً وكبراً.

وكان سهلاً لَيِّنَ العريكة مع الأطفال، لا يأنف إذا مر بطائفة منهم يلعبون أن يُقْرِأهُم تحية السلام، وكان يشرك غيره في طعامه، وعامل حتى ألد أعدائه بكل كرم وسخاء حتى مع أهل مكة، وهم الذين ناصبوه العداء سنين طوالاً، وامتنعوا من الدخول في طاعته كما ظهر حلمه وصفحه حتى في حالتي الظفر والانتصار، وقد دانت لطاعته القبائل التي كانت من قبل أكثر مناجزة وعداءً له".

*** المؤرخ الكبير "فتلي" الإنجليزي:**

مستشرق بَحَّاثَة، ولد ١٨١٥، وتوفي سنة ١٨٩٠م.

قال في مقدمة كتابه "الحياة" - تعريب الدكتور "سامي العشا" المصري: "قد ينحرف المؤرخ عن موضوعه ليتأمل حياة رجل نال سلطة خارقة على عقول أتباعه، وضعت عبقريته نظاماً أساسيًا دينياً ساميًا سياسياً، وما زال

يحكم الملايين من البشر من أجناس مختلفة وصفات متباينة ".

إن نجاح محمد كَمُشَرِّع بين أقدم الأمم الأسيوية وثبات نظمه علىٰ مدى أجيال طويلة في كل نواحي الهيكل الاجتماعي، دليل علىٰ أن ذلك الرجل الحاذق قد كَوَّنَهُ مزيج نادر من الكفاءات".

*** الليدي "إيفيلين كوبرلد":**

قالت الشاعرة الليدي "إيفيلين كوبرلد": البريطانية في كتابها "الأخلاق" (٦٦): "لعمري لقد استطاع محمد القيام بالمعجزات والعجائب، لما تمكن من حمل هذه الأمة العربية الشديدة العنيدة علىٰ نبذ الأصنام، وقبول الوحدانية الإلهية، ولقد كان محمد شاكراً حامداً إذ وُفِّق إلىٰ خلق العرب خلقاً جديداً، نقلهم من الظلمات إلىٰ النور، ومع ذلك كان محمد سيد جزيرة العرب، وزعيم قبائلهم، فإنه لم يُفَكِّر في هذه ولا راح يعمل لاستثمارها، بل ظل علىٰ حاله، مكتفياً بأنه رسول الله، وأنه خادم المسلمين، يُنَظِّفُ بيته بنفسه، ويُصلح حذاءه بيده، كريماً بارًّا كأنه الريح السارية، لا يقصده فقير أو غني إلا تفضَّل عليه بما لديه، وكان يعمل في سبيل الله والإنسانية".

*** "جون أروكس" الإنجليزي:**

قال في كتابه "عظماء التاريخ" (ص٨٣): "لم نعلم أن محمداً تسربل بأية رذيلة مدة حياته ؛ لذلك نراه عظيماً ".

*** العلامة "إلياس جون جيب " الإنجليزي:**

من مشاهير مستشرقي الإنكليز، توفي في مدينة "كردف" بلدته ١٩٠٣.

له مؤلفات عديدة ظهرت بعد وفاته، منها: "العرب قبل الإسلام وبعده" قال فيه: "عقيدة محمد خالصة، ليس فيها لبس ولا إبهام، ومن يتهمها بما يتنافى مع كرامتها فإنما هو مُتَّهَمٌ في فهمه ووجدانه".

*** المسيو "ماركو دار" الإنكليزي:**

ولد في بلدته "بلاما" ١٨٣٧م، وتوفي ١٨٩٣م - نقلاً عن مجلة "الهلال" المجلد الرابع، الجزء ٩ - وهو أحد مستشرقي الإنكليز قال: "كان محمد يعامل الغني والفقير علىٰ السواء، وإنه لنبي مبارك أرسه الله للبشر".

*** السير "هربرت سبنسر" الإنكليزي:**

فيلسوف إنكليزي تأثر بمذهب التطور، من آرائه أن المرء لا يستطيع الوصول إلىٰ معرفة الله، ولد في مدينة "كرودف" من مدن بريطانيا عام ١٨٢٠، وتوفي عام ١٩٠٣.

قال في كتابه "أصول الاجتماع" (ص٣٧): "فدونكم محمداً، إنه رمز للسياسة الدينية الصحيحة، وأصدقُ مَنْ نَهَجَ مِنْهَاجها المقدَّس في البشرية كافة، ولم يكن محمد إلا مثالاً للأمانة المجسَّمَة والصدق البريء، وما زال يدأب لحياة أمته ليله ونهاره".

*** المسيو "بالمر" الإنكليزي:**

مستشرق إنكليزي، ولد في بلدة "باركا" عام ١٧٩٥، وتوفي ١٨٨٣، ترجم القرآن إلىٰ اللغة الإنكليزية، قال في مقدمته: "لقد جاء محمد بمبدأ للعالم عظيم، ودين لو أنصفت البشرية لاتخذته لها عقيدة ومنهاجاً تسير علىٰ ضوئه، وقد كان محمد عظيماً في أخلاقه، عظيماً في صفاته، عظيمًا في دينه وشريعته، وإنني لا أبالغ إذا قلت: إن شريعته تحمل إلىٰ الناس تعاليم ونظماً وقوانين ليس في غيرها مما سبق مثلها، ولقد كانت الأمم السابقة تعتنقها مبدأ وعقيدة لأنها لمست ما فيها من حياة روحية وركائز رصينة".

*** البحَّاثة "ستانلي جيفونس" البريطاني:**

مستشرق بريطاني، ولد في بلدته "كانالي" عام ١٨٤١، وتوفي ١٩٠٤، من مشاهير الرَّوَّاد، توغَّل في مجاهل إفريقيا.

قال في كتابه "الديانات والعصور" (ص٥١): "إن دراستنا لعصور بعثات الأنبياء تدل علىٰ أنهم جاؤوا ليحلوا مشاكل عجزت عقول البشر عن الاهتداء إلىٰ حلول لها، فلم توجد لدى الإسرائيليين - قبل رسالة موسى - طريقة للخلاص من اضطهاد الفراعنة، ولا توفير رخاء الشعب إلىٰ آخر الحالات المستوجبة للعلاج، ولا وُجِدَ - قبل بعثة المسيح - طريق لإدخال الأمل علىٰ النفوس البائسة في عصر كانت تتألف فيه الجماعات السرية لتنظيم الانتحار، ولقتل المترفين؛ لأن الشعوب كانت تئن من الحرمان والفقر، وكان الملوك وبطاناتهم يمضغون الذهب، وكانت المادة تطغى علىٰ الفضيلة، فلذا بُعِثَ عيسى مخلوقاً روحياً، فجاء عيسى بحل عجيب،

ليس من صنع العقل البشري، جاء يقول للناس: "لا يلزمكم مِزْوَدٌ للطريق، ولا اقتناء ثوبين ولا عصا" وجاء يُزَهِّدُ الناس في الغنى، بل ينفرهم منه، فقال لهم: "لا يدخلُ غَنِيٌّ إلىٰ ملكوت السماوات".

ونبَّوةُ محمد جاءت لتعالج كل جوانب الحياة العمومية جميعاً، ومما لا ريب فيه أن دعوة محمد قد زلزلت أركان الدنيا، وقد استولت علىٰ القسم المهم منها".

*** المسيو "صموئيل مارغوليوث" الإنكليزي:**

مستشرق إنكليزي، ولد عام ١٨٦٨، وتوفي ١٩٤٠، عضو المجمع العلمي في دمشق، نشر "معجم الأدباء" لياقوت الحموي، و"الأنساب للسمعاني"، و"رسائل المعري" بترجمة إنكليزية، دُعِي لحفلة ميلادية في دمشق عام ١٩٢٧، قال فيها: "إن يوم ميلاد محمد ليوم عظيم علىٰ العالم - لا علىٰ العرب فقط - لأنه لم يُولَد إلا لأمر عظيم، ألا وهو رسالته التي بلغها للعالم، فاعتنقها قوم وتركها آخرون، وهي طافحة بالحضارة والتعاليم التي تخدم البشرية وتُوليهَا زمام الحياة، ولكنها رسالة أخذت بها أمة جهلت ما فيها، وخيرُ ما فيها طابع صلاحية البقاء مع الزمن مهما امتد".

*** السير "موير" الإنجليزي:**

قال في كتابه "تاريخ محمد" (ص٢٠) المطبوع عام ١٩١٢: "إن محمدًا - نبي المسلمين -" لُقِّب بـ "الأمين" منذ الصغر بإجماع أهل بلده لشرف أخلاقه، وحسن سلوكه، ومهما يكن هناك من أمر فإن محمداً أسمى من أن ينتهي إليه الواصف، ولا يعرفه من جهله، وخبير به من أنعم النظر في تاريخ المجد، ذلك التاريخ الذي ترك محمداً في طليعة الرسل ومُفَكِّري العالمين".

*** العلامة "هيليار بلاون" البريطاني:**

مستشرق بريطاني، ولد في بلدته "كواريز" عام ١٨٤٧.

قال في كتابه "فكرة الحياة" (ص٦٣، ٦٤): "بينما كانت مدن الإمبراطورية البيزنطية تحتفل بانتصارات الإمبراطور هرقل علىٰ الفرس، وبينما كان الناس في سرور وجذل عظيمين حدثت المعجزة المحمدية، حدث شيء لم يكن أحد ينتظره ولا يفطن له، حدث أمر كان أقرب إلىٰ الهزة الأرضية، أو الفيضان العام

في سرعته وشدته وقوته دونما سابق إنذار ولا إشارة.

لم تكن هناك أعراض سبقت هذا الحدث العظيم، ولا أمارات تدعو إلىٰ انتظاره والتهيؤ له، ولم يكن مضى علىٰ انتصارات هرقل إلا سنوات قلائل، لما مشى إلىٰ أرض الإمبراطورية فرسان من الصحراء، ما سمع عنهم أحد شيئاً إلا ما كان يقال من أنهم جماعة يضربون أرض الصحراء علىٰ خيولهم وإبلهم طلبًا للكلإ والماء، وأنهم قوم من البدو".

ويمضي "هيليار بلاون" فيقول: "إني أقول: إن معجزة كهذه من حيث خطرها، وبُعْد أثرها، وعظيم نتائجها كانت مَسُوقَةٌ بقوة لا يستطاع تفسيرها، وإن كان ما لدينا من المصادر والوثائق يساعدنا علىٰ تفُّهم الأسباب التي جعلتها أمراً واقعاً منظوراً ".

*** السير "تشارلز إرمان" البريطاني:**

مؤرخ بريطاني معروف، ولد عام ١٨٨٦، وتوفي ١٩٤٠، له كتاب صغير عن الإسلام، قال فيه: "إن شخصية محمد ثورية وانقلابية تفوق مقدار الشخص الموهوب العادي، فلم تنتج بلاد العرب قبله ولا بعده فرداً أثر في مجموع تاريخ العالم، ويكن من المضحك حقاً الادعاء أنه نتيجة محتَّمة لحالة بلاد العرب الفكرية والاقتصادية في القرن السابع بعد المسيح، بل إن مبدأه الذي جاء به هو مبدأ اعتنقته أمم وسرعان ما تحققت فكرته في بلاد العرب لأنها نافعة ولم يكن فيها ما يحاربُ لأجله غيرها من الديانات السابقة".

*** العلامة "ماكس موللر" الإنكليزي:**

مستشرق إنكليزي، ولد في بلدته "تكيا" سنة ١٧٩٠، وتوفي ١٨٦٥، مؤرخ قصصي، له جولة واسعة في بلاد العرب، وله مؤلفات، منها "محمد والمحمدية".

قال فيه (ص٢٧): "سوف يعلم المسيحيون بدهش عظيم أن محمداً أحد معضدي يسوع، وأن الديانة المحمدية ما هي إلا شيعة من شيع الديانة النصرانية[١]، وإذ ذلك يندهش المسلمون والمسيحيون مما يسبب ما جاء في تاريخهما من الخصام

(١) بل هي الرسالة الخاتمة لرسالات البشر ، وهي المهيمنة علىٰ ما قبلها من الشرائع ، ومحمد ﷺ مصدق لما قبله من إخوانه الأنبياء ، وهو أفضلهم عند الله تعالى .

والعداء، بسبب الدين الذي جاء به محمد، وسوف يعلم المسيحيون في العالم أن دينه خال من كل غش، وأن فيه كل ما يصلح للبشر".

*** "برسوت سمث" البريطاني:**

عالم كبير إنكليزي، ولد في بلدته "نيوكاسل" عام ١٨٥١ وتوفي في ١٨٩٢، وهو من كبار رجال الفكر وعالم كيميائي، وله كتاب عن الشرقيين اسمه "الأدب في آسيا" قال في مقدمته: "إن المعجزة الخالدة التي ادعاها محمد هي القرآن، والحقيقة أنها لكذلك، وإذا قدرنا ظروف العصر الذي عاش فيه واحترام أتباعه له احتراماً لا حد له، ووازناه بآباء الكنيسة أو بقديسي القرون الوسطى لتبين لنا أن أعظم ما هو معجز في محمد نبي المسلمين أنه لم يدَّع القدرة على الإتيان بالمعجزات، وما قال شيئاً إلا فعله وشاهده منه في الحال أتباعه، ولم ينسب إليه الصحابة معجزات لم يأتها أو أنكر صدورها منه، فأي برهان أقطع من ذلك ؟ ولقد كان محمد يدعي من آخر حياته - كما ادعى من مبدإ أمره - أنه رسول الله حقاً، وإني أعتقد أن الفلسفة المسيحية العالية ستعترف له بذلك يومًا من الأيام".

وقال في كتابه "محمد والإسلام" : "إذا قدرنا تاريخ الإسلام - إذ ننظر إليه من نافذة الإنصاف - فإنما نقدر صاحبه الذي أسسه ووضع حجره الأساسي، وهو محمد الذي لا نستطيع أن نقول في حقه إلا أنه رجل عظيم بعقله وعمله وأخلاقه وبلاغته وتدينه، وسيحمل له المنصفون من النصارى وغيرهم الإخلاص متى عرفوه في المستقبل".

وقال في كتابه "حياة محمد" (٣٤٦): "إن محمداً جاء بكتاب مشتمل على دستور الشرائع والعبادات وأخبار الأمم، نقي العبارة من الألفاظ المستهجنة، باهر الحكمة والحقائق، وهو أعظم معجزة للنبي محمد، والحق يقال: إنه لمعجزة".

*** "جورج بروك" عضو البرلمان الإنجليزي:**

جاء في مجلة "العالم الإسلامي" لمؤسسها القس "صموئيل زويمر" الإنجليزي، في عددها السابع الصادر باللغة الإنكليزية من سنتها الخامسة، نقلاً عن العدد الرابع من مجلة "الأزهر" لعام ١٩٥٢ (ص١٠٥): "إن جمعية المسلمين في مدينة "بردفورد" بإنجلترا قد أقامت منذ قريب حفلاً، فكان من خطبائه المستر "جورج بروك" عضو البرلمان الإنكليزي، وقد نوه في خطابه بما يبثه الإسلام من شعور الإخاء بين أبنائه".

وقال: "إنه يستطيع أن يرد الاهتمام بالدين الإسلامي إلىٰ أنه دين عالمي بطبيعته".

ثم قال: "إن الإسلام دين السلام والمحبة بين البشر، وإنه يلعب دوراً خطيراً الآن في شؤون العالم، وإني أعتقد أن خطره وتأثيره في مستقبل العالم سيزداد بعد جيل".

*** المستر "داز" الإنكليزي:**

مستشرق إنكليزي، ومؤرخ كبير، ولد في "منشستر" ١٨٣٣، وتوفي ١٩٠٧.

قال في كتابه "مع الشرق والغرب" وهو أحد مؤلفاته: "إن محمداً كان مجموعة من الخيال والنبوغ والبحث .. كان محمد زراعيًا وطبيباً وقانونياً وقائداً، اقرأ ما جاء في أحاديثه تعرف صدق ما أقول، ويكفي أن قوله المأثور عنه: «**نحن قوم لا نأكل حتى نجوع، وإذا أكلنا لا نشبع**»[1] هو الأساس الذي بُنِيَ عليه علم الصحة، ولا يستطيع الأطباء - علىٰ كثرتهم ومهارتهم حتى اليوم - أن يأتوا بنصيحة أثمن من هذه".

ثم قال: "إن محمداً هو الذي استطاع في مدة وجيزة - لا تزيد علىٰ ربع قرن - أن يكتسح دولتين من أعظم دول العالم، وأن يحدث ذلك الانقلاب المدهش، وأن يكبح جماح أمة اتخذت الصحراء المحرقة سكناً لها، واشتهرت بالشجاعة والغزو ورباطة الجأش والأخذ بالثأر، فمن الذي يشك أن القوة الخارقة للعادة التي استطاع بها محمد أن يقهر خصومه هي من عند الله ؟!".

*** مرة أخرى مع "بوسورت سميث" الإنكليزي:**

مؤرخ إنكليزي، ولد ١٨٣٣، وتوفي ١٨٩٧.

قال في مؤلف له أسماه "الأدب في التاريخ": "من حسن الحظ الوحيد في التاريخ - دون غيره - هو أن محمداً أسس في وقت واحد ثلاثة هي من عظائم الأمور وجلائل الأعمال، فإنه مؤسس لأمة إمبراطورية وديانة، وقلما كان يقرأ ويكتب[2]، وكان داعيًا إلىٰ الرحمة والعدل والكرم والشجاعة والصبر علىٰ المكاره، والصدق وغير ذلك من مكارم الأخلاق".

---

(١) لا يصح عن رسول الله ﷺ.

(٢) بل لم يكن يقرأ أو يكتب إطلاقاً.

وقال: "إن الدين وحده هو القانون الطبيعي الذي يجب علىٰ الناس أن يتبعوه".

*** المستر "جون ديفولبوت" البريطاني:**

مستشرق بريطاني، ولد سنة ١٨٣٢، وتوفي ١٩٠٢، وهو من علماء الطبيعة، وأستاذ في علم الجيولوجيا.

قال في أحد مؤلفاته "العجائب": "هل بالإمكان إنكار فضل محمد نبي العرب الذي قام بإصلاحات غريبة وعظيمة، فكانت خالدة لبلادة ؟ ! فقد جعل أهلها يعبدون الله ويهجرون عبادة الأصنام، وهو الذي منع قتل الموؤودة، وحرم شرب الخمر وفعل الميسر، وترك لأمته مبدأ لا يزال وعليه يعمل الملايين من الناس".

*** "إدوارد لين" الإنجليزي:**

مستشرق عاش ردحًا من الوقت في القاهرة، ولد عام ١٨٠٣م، وتوفي سنة ١٨٧٧، وذلك في بلدته "إكسياد" له عدة مؤلفات، منها "أخلاق وعادات المصريين" جاء فيه: "إن محمداً كان يتصف بكثير من الخصال الحميدة، كاللطف الشجاعة "ومكارم الأخلاق، حتى إن الإنسان لا يستطيع أن يحكم عليه دون أن يتأثر بما تتركه هذه الصفات في نفسه من أثر، كيف لا وقد احتمل محمد عداء أهله وعشيرته بصبر وجلد عظيمين، ومع ذلك فقد بلغ من نبله أنه لم يكن يسحب يده من يد مصافحه - حتى ولو كان يصافح طفلاً - وأنه لم يمر يوماً من الأيام بجماعة - رجالا كانوا أو أطفالاً - دون أن يُقْرِأهُم السلام، وعلى شفتيه ابتسامة حلوة، وقد كان محمد غيوراً متحمساً، وكان يحارب الباطل، وكان رسولاً من السماء، وكان يريد أن يؤدي رسالته علىٰ أكمل وجه، كما أنه لم ينس يومًا من الأيام الغرض الذي بعث لأجله، ودائماً كان يعمل له، و يتحمل في سبيله جميع أنواع البلايا، حتى انتهى إلىٰ إتمام ما يريد".

الفضل ما شهدت به الأعداء

نقلت مجلة "العرفان اللبنانية" في آخر الجزء الثالث من المجلد (٣٢١) عن مجلة "العالم الإسلامي" الإنجليزية لصاحبها القس "زويمر" ما يلي:

"فالقرآن الذي نزل علىٰ محمد بدلاً من أن يكون ضربة قاضية علىٰ التقدم هو

كتاب ﴿أُحْكِمَتْ ءَايَـٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١] فيه آيات بينات ودلائل واضحات، وأخبار صادقة، ومواعظ رائعة، وشرائع راقية صالحة لكل أمة، ولكل زمان".

*** العلامة "لين بول" البريطاني:**

مستشرق بريطاني، ولد عام ١٨٥٣، وتوفي عام ١٩١٧، له اطلاع واسع علىٰ تاريخ العرب، وهو واضع فهرست المسكوكات المحفوظة في دار الكتب المصرية عام ١٨٩٧، وله رسالة في تاريخ العرب، قال فيها: "إن ما اتصف به محمد من الصبر واحتمال المكاره والعفو والعفو عند المقدرة، لبرهان لنا واضح علىٰ أنه كان صادقًا، إذ يقول: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٦] فمحمد ذو يقين راسخ وقوة عزم هائلة "

*** الراهبة البريطانية "كارين أرمسترونج" تدافع عن الإسلام:**

من هؤلاء المنصفين للإسلام الكاتبة البريطانية "كارين أرمسترونج" وهي في الأصل راهبة تحولت إلىٰ البحث في تاريخ الأديان، وقد تركت الرهبنة بعد أن وجدت أن حياة الأديرة لا تناسب طبيعتها وتمسكها بحرية التفكير للوصول إلىٰ الحقيقة دون ضغط عليها، وقد توصلت إلىٰ أن هناك قاسماً مشتركًا بين الديانات الثلاثة، وأن القيم الجوهرية في كل الديانات واحدة.

و"كارين أرمسترونج" تقدم الدليل للغرب علىٰ أن الإسلام دين من عند الله، وأن محمداً ﷺ رسول بعثه الله بدين الإسلام، وأن الدين للبشر جميعًا - وليس للعرب وحدهم - وبموضوعية ملحوظة قامت بتصحيح المفاهيم المغلوطة عن الإسلام، وقد اتخذت من ردود فعل المسلمين إزاء كتاب سلمان رشدي "آيات شيطانية " منطلقاً لكتابها "محمد . . سيرة النبي" ولحسن الحظ أن هذا الكتاب ترجمه إلىٰ العربية اثنان من أكفأ المترجمين وأكثرهم دقة هما الدكتورة "فاطمة نصر" والدكتور "محمد عبده" وقدما للكتاب بمقدمة مهمة، قالا فيها: "إن حافزهما علىٰ ترجمة هذا الكتاب ليس الزهو بذلك الصوت الغربي المسيحي الذي حاول إنصاف الرسول وقدم شهادة موضوعية عنه وعن الإسلام، فهما لن تضيرهما عداوة أو تنصفهما صداقة أحد".

والكتاب موجه إلىٰ القارئ الغربي، وليس إلىٰ القارئ العربي المسلم، فلن

يضيف إليه جديداً، ولكنه نموذج للكتابة الموضوعية غير المتحيزة، خاصة وأنها تكشف في هذا الكتاب التناقض في العقلية الغربية بين ادعائها بأنها عقلية علمية موضوعية محايدة، وبين تحيزها المبدئي ضد الإسلام ورسوله دون دراسة أو تحليل كافيين لعقائد الإسلام وسيرة الرسول ﷺ وتاريخ الحضارة الإسلامية.

تقول "كارين أرمسترونج": "إن لدينا في الغرب تاريخًا طويلاً من العداء للإسلام، راسخ الجذور، ولم يعد يمنع الناس شيء عن مهاجمة هذا الدين، حتى لو كانوا لا يعرفون عنه غير أقل القليل!، ويرجع هذا العداء إلىٰ الفترة التي نشأت فيها الإمبراطورية الإسلامية في القرن السابع الميلادي، وكانت أوربا منطقة متخلفة، وامتدت الفتوحات الإسلامية بسرعة إلىٰ معظم مناطق العالم المسيحي في الشرق الأوسط، وإلى الكنيسة المسيحية العظيمة في شمال إفريقيا، وكان زحف الإسلام بهذه القوة والسرعة خطراً داهمًا يتهدد الغرب، إذ تساءلوا: هل تخلى الله عن المسيحيين، ومنح رضاه لهؤلاء (الكفار)؟ وحتى بعد أن خرجت أوربا من عصورها المظلمة ونشأت حضارتها العظيمة، ظل لديها الخوف من توسع الإمبراطورية الإسلامية خاصة وقد تأكد لأوربا عجزها عن التأثير في تلك الثقافة القوية، وكان الفشل هو نهاية المشروع الصليبي في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، ولم يلبث العثمانيون أن جاؤوا بالإسلام إلىٰ داخل أوربا نفسها، وكان من المحال علىٰ المسيحيين الغربيين أن يلتزموا بالعقلانية أو الموضوعية تجاه العقيدة الإسلامية، فكانوا ينسجون من خيالهم صوراً مخيفة عن اليهود، ويرسمون في نفس الوقت صورة شائهة (قبيحة) للإسلام تعبر عن الشعور بالقلق في أعماقهم من هذا الدين".

وتقول "كارين أرمسترونج": "إن علماء الغرب كانوا يهاجمون الإسلام، ويصفون محمداً بأنه "المدعي الأكبر" ويتهمونه بأنه أنشأ دينًا قائمًا علىٰ العنف والسيف لفتح العالم، وحرفوا اسم محمد ﷺ إلىٰ "ماهومت" تعبيراً عن كراهيتهم للاسم ولصاحبه.. وقد أصبح اسم "ماهومت" البعبع الذي يخيف الناس في أوربا، حتى إن الأمهات كن يستعملن الاسم لتخويف أطفالهن، وكانت المسرحيات الغربية تصور "ماهومت" ودعوته في صورة العدو للحضارة الغربية، حتى أصبحت هذه الصورة الزائفة للإسلام من الأفكار الراسخة التي لا تزال تؤثر حتى اليوم في آراء ونظرة الغربيين إلىٰ العالم الإسلامي، وزاد من تعقيد المشكلة أن المسلمين قابلوا عداوة الغرب لهم بالعداوة للغرب".

وتشير "كارين أرمسترونج" إلىٰ الكتابات السابقة عن محمد ﷺ وأهمها كتابي "مونتجومري وات" وهما "محمد في مكة" و"محمد في المدينة" وتقول عنهما: "إنهما كتابان دراسيان موجهان للطلبة، وكل منهما يفترض معرفة بحياة محمد، وهي غائبة عن كثيرين" وكتاب "مارتن لنجز" وهو بعنوان "محمد . . سيرة حياة أستاذه استناداً إلىٰ أقدم المصادر" وفيه معلومات باهرة استقاها من كتب السيرة من القرن الثامن الميلادي إلىٰ القرن العاشر، ولكن هذا الكتاب موجه إلىٰ المقتنعين بالإسلام ورسوله، ولا يناقش المخالفين والرافضين، وكتاب المستشرق الفرنسي "ماكسيم رودنسون" وهو بعنوان "محمد".

وتقول "كارين أرمسترونج": "لقد تعلمت من كتاب "رودنسون" كثيراً، ولكنه كتبه من وجهة نظر المتشكك، وركز علىٰ الجوانب السياسية والحربية في حياة النبي ﷺ ولذلك لا يساعد قارئه الغربي علىٰ تفهم الرؤية الروحية للنبي محمد ﷺ".

وبعد هذا الاستعراض تتحدث عن منهجها في دراسة الرسول ﷺ فتقول: "إن نقطة الانطلاق هي أننا نعرف عن محمد ﷺ أكثر مما نعرف عن أي مؤسس لأي دين من الأديان الرئيسية الأخرى، وإن دراسة حياته يمكن أن تهبنا إدراكاً عميقاً ومهماً لطبيعة التجربة الدينية".

وترى "كارين أرمسترونج" أن التجربة الدينية التي خاضها محمد ﷺ تتشابه مع تجارب أنبياء بني إسرائيل، ومع تجربة القديسة "تيريزا" ولقد نجح محمد ﷺ نجاحًا سياسيًا غير عادي، ويميل المسيحيون إلىٰ التشكيك في الطابع الإلهي لهذا الانتصار الدنيوي.

وتتساءل: "ألا يوجد طريق آخر يوصلنا إلىٰ الله سوى طريق الإخفاق الذي سلكه المسيح ؟".

الفصل الأول من كتاب "كارين أرمسترونج" بعنوان: "العدو محمد" تقول فيه: "إن الغربيين أدانوا المشهد الذي ظهر فيه المسلمون في إحدى المدن البريطانية، وهم يحرقون رواية "سلمان رشدي" ولكنهم لم يتذكروا حوادث إحراق الكتب في أوربا المسيحية علىٰ مر القرون ! وعلى سبيل المثال، فقد قام الملك لويس التاسع - ملك فرنسا - بإدانة التلمود اليهودي باعتباره هجوماً خبيثاً علىٰ شخص السيد المسيح، وكان الملك "لويس التاسع" يشغل منصب قديس رسمي

في الكنيسة الكاثوليكية، وأصدر أمراً بحظر الكتاب، وأُضْرِمَتْ النار في جميع النسخ أمام الملك، ولم يقبل مناقشة خلافاته مع الجاليات اليهودية في فرنسا بالوسائل السلمية، وقال: "إن الأسلوب الوحيد للمناقشة مع اليهودي أن تقتله بطعنة نافذة في بطنه بأقصى ما يصل إليه السيف".

وكان "لويس التاسع" هو الذي بدأ الحملة الأولى من محاكم التفتيش، ولم يكتف بإحراق كتب من اعتبرهم المارقين من المسيحيين، بل أحرق المئات من الرجال والنساء منهم، كما كان يكره المسلمين، وقاد حملتين من الحملات الصليبية ضد العالم الإسلامي".

وتعتبر "كارين أرمسترونج" أن التاريخ المرير للعلاقات بين المسلمين والغرب بدأ بالهجوم علىٰ النبي محمد ﷺ في الأندلس، ففي عام (٨٥٠) ميلادية خرج راهب اسمه "بير فكتوس" إلىٰ السوق في قرطبة وكانت عاصمة الأندلس الإسلامية، فقابل بعض المسلمين، وسألوه أن يفاضل بين النبي عيسى والنبي محمد، فانطلق يصب وابلاً من الشتائم، زعم من خلالها أن نبي الإسلام دجال ومولع بالجنس، وأنه هو المسيح الدجال، وسرعان ما ألقي به في السجن.

وكانت تلك حادثة شاذة في قرطبة ؛ لأن العلاقات كانت طيبة بين المسلمين والمسيحيين، وكان الحكم الإسلامي في الأندلس يعطي الحرية الدينية للمسيحيين واليهود، وكانت الحضارة الإسلامية وروح التسامح الديني فيها سابقة لجميع دول أوربا.

وعندما وصل "بير فيكتوس" إلىٰ القاضي كان يرتعد خوفاً ورعباً، ولكن القاضي لم يصدر حكماً بإعدامه لإهانته الإسلام ورسوله ؛ لأنه رأى أنه كان ضحية استفزاز من المسلمين، ولكن "بير فيكتوس" بعد إطلاق سراحه ظل يسب نبي الإسلام سباً بذيئاً، فلم يجد القاضي بداً من الحكم بإعدامه، فتجمع عدد من المسيحيين وكونوا جماعة اعتبرت "بير فيكتوس" شهيداً، وبعدها بأيام ظهر راهب آخر يُدْعَى إسحاق ظل يسب الإسلام ونبي الإسلام بحرارة، جعلت القاضي يظن أنه مخمور، أو مختل عقلياً، ولما استمر في السباب - وهو في كامل وعيه - لم يجد القاضي بداً من الحكم عليه، ولم يكن المسلمون يضيقون بمعتقدات الديانات الأخرى بما فيها نقاط الخلاف مع الإسلام ؛ لأن الإسلام ولد في ظل التعددية الدينية، وتعايش مع جميع العقائد علىٰ مر العصور، ولم يكن القانون في

الإمبراطورية الإسلامية يحرم الدعوة إلىٰ المسيحية، وكان يشترط فقط ألا يتعرض المسيحيون في دعوتهم للهجوم علىٰ النبي محمد ﷺ.

ولم تمض أيام علىٰ إعدام إسحاق حتى وصل ستة رهبان من الدير نفسه، وقاموا بالتهجم علىٰ النبي محمد ﷺ بصورة مقذعة، وانتشرت هذه الظاهرة حتى بلغ عدد من حكم عليهم خمسين، واشترك أسقف قرطبة في إدانتهم، ولكنهم اعتُبِرُوا "شهداء قرطبة" ! وانتشرت هذه القصة في الغرب، وكان الإسلام في ذلك الوقت قوة عالمية، وكانت أوربا قد اكتسحتها القبائل الهمجية، وأصبحت بركة راكدة، وكان العالم يبدوا كأنه قد أصبح إسلامياً، كما نرى العالم اليوم كأنه أصبح كله غربياً، وظل الإسلام في كل العصور يمثل التحدي للغرب.

وكانت صيحات التهجم علىٰ الإسلام ورسوله التي أطلقها "شهداء قرطبة" تستند إلىٰ وهم في عقول (سيطر عليها الرعب) أن محمداً دجال، نصب نفسه نبياً ليخدع العالم، وأنه فاسق يدفع أتباعه إلىٰ محاكاته، وأنه يجبر الناس علىٰ اعتناق عقيدته بحد السيف، وانتهت هذه الأوهام إلىٰ القول بأن الإسلام ليس ديناً، بل هو بدعة أو صورة مشوهة من المسيحية.

هذه الصورة التي تكونت من الأوهام في الأندلس، أُسْدِلَ عليها ستار النسيان، ثم عادت بعد (٢٥٠) سنة لتردد نفس هذه الأوهام، وهناك بعض الباحثين المتعمقين حاولوا وضع تصور موضوعي لنبي الإسلام وللدين الذي أتى به، لكن الصورة المشوهة استمرت علىٰ المستوى الشعبي، وما تزال آثار هذه الأوهام القديمة موجودة حتى يومنا هذا، وما زال شائعاً في الغرب القول بأن محمداً ليس سوى رجل قام باستغلال الدين لتحقيق الفتوحات وسيادة العالم، وأن الإسلام دين عنف وحرب، علىٰ الرغم من ظهور دراسات تبين خطأ وفحش هذه الأسطورة.

وكان جهل الأوربيين بالإسلام في زمن الحرب الصليبية يصل إلىٰ تَصَوُّرهم للمسلمين بأنهم يركعون أمام ثلاثة آلهة هي "أبولو وتيرفاجان ومحمد"، ولم يعتبروا المسلمين بشراً مثلهم، ولذلك قاموا بارتكاب مذبحة لا مثيل لها في التاريخ لسكان القدس المسلمين، وقالوا: "إن المسلمين وباء لا بد من تطهير الأماكن المقدسة منه، وكانوا عندما يتحدثون عن المسلمين يطلقون عليهم اسم "القذارة" وتشير "كارين أرمسترونج" إلىٰ أن اهتمام أوربا بالنبي محمد ﷺ يكاد يكون معدوماً حتى عام (١١٠٠) ميلادية، وشاعت المعرفة به في (١١٢٠) علىٰ أنه

"ماهاوند" عدو الممالك المسيحية، وتنقل عن الباحث البريطاني د. "ساذرن" سطوراً عن دراسته بعنوان "صور الإسلام في الغرب في العصور الوسطى" يقول فيها: "لا شك أنهم عندما وضعوا هذه الأساطير والأوهام كانوا يرون أنها الصورة الحقيقية، ولم تتغير صورة محمد وأتباعه كثيراً عن كونهم أبناء الصحراء".

وتعلق على ذلك بأن هذا الطابع الخيالي لشخصية "ماهاوند" هو الذي أدى إلى صعوبة النظر إلى النبي محمد ﷺ في الغرب على أنه شخصية تاريخية جديرة بالدراسة، كما يفعلون مع "نابلون" أو "الإسكندر الأكبر" ولهذا كانت الصورة الخيالية لشخصية "ماهاوند" في رواية سلمان رشدي متفقة مع هذه الأوهام الغربية الراسخة بعمق، ومن ذلك الزعم أن الرسول ﷺ ساحرٌ خدع الناس بمعجزات زائفة وأنه قام بتدريب حمامة على التقاط حبات الباذلاء من أذنيه حتى يبدو للرائي كأن روح القدس تتنزل عليه، وتهمس له بالوحي، وقالوا أيضاً: "إنه ﷺ كان يعاني من الصرع" وأفاضوا في الحديث عن حياته الجنسية.

تعلق "كارين أرمسترونج" على كل ذلك بأن المسيحيين الغربيين لم يستطيعوا تفسير الرؤية الدينية الرائعة والمقنعة التي أتى بها محمد ﷺ وسر نجاحها، إلا بإنكار الوحي والقول بأن الإسلام فرقة خارجة على المسيحية، كما تفسر قلق المسيحيين من الإسلام بالأعمال العدوانية التي ارتكبوها باسم المسيحية ضد المسلمين في الحروب الصليبية، وهي ممارسات لا علاقة لها بدعوة السلام التي جاء بها المسيح.

وتقول: "إن الكنيسة كانت تفرض على رجال الدين الامتناع عن الزواج مع رغبتهم فيه، فكانت المبالغة في الروايات عن الحياة الجنسية للنبي محمد ﷺ تعبيراً عن الكبت الذي يعاني منه هؤلاء أكثر مما هي تعبير عن الحقائق . . أما اتهامهم للإسلام بأنه لا يعترف بالحرية الدينية فهو نوع من إلقاء التهمة على الآخر ؛ لأن الغرب - وليس الإسلام - هو الذي منع حرية المناقشة في المسائل الدينية، وكان يعاقب كل من يخرج على الفكر الذي تفرضه الكنيسة بالحرق على أيدي "محاكم التفتيش" وكذلك قامت بعد ذلك حركة اضطهاد البروتستانت والكاثوليك بعضهم لبعض بسبب الخلافات الدينية بين الطائفتين.

ولما كانت اليهودية هي الدين الأجنبي الوحيد في أوربا في ذلك الوقت فقد بدأت الحملات الصليبية بمذابح لليهود في "وادي نهر الراين، وكانت تلك أولى

المذابح الجماعية في أوربا، وأصبح العداء للسامية مرضاً مزمناً حتى إن الأساطير الأوربية وصلت في عدائها لليهود إلىٰ حد القول بأن اليهود يقتلون الأطفال ويمزجون دماءهم بخبز "عيد الفصح" العبراني، وأنهم يدبرون مؤامرة دولية للإطاحة بالمسيحية ".

وتقول "كارين أرمسترونج": "إن مثل هذه الأساطير المعادية لليهود لم يظهر مثلها في العالم الإسلامي في أي عصر من العصور، لكن التعصب كان في أوربا، حتى إنه بعد الاستيلاء علىٰ الأندلس وجنوب إيطاليا وصقلية وعودتها إلىٰ المسيحية بقي في هذه المناطق مسلمون ويهود فُرِضَت عليهم العزلة، ومنعت الحكومة المسيحيين من التعامل معهم، وصدرت تشريعات كنسية خاصة في المجلسين البابويين، أحدهما عقد سنة (١١٧٩) والثاني في سنة (١٢١٥) تعتبر اليهود والمسلمين العدو، وتفرض هذه التشريعات عقوبات علىٰ كل من يتعامل مع المسلمين واليهود أو يشاركه الطعام بالطرد من الكنيسة ومصادرة الممتلكات وقد أصدر البابا "جريجوريوس التاسع" في عام (١٢٢٧) مراسيم بابوية تفرض علىٰ المسلمين واليهود أن يرتدوا ملابس مميزة، ويحظر عليهم الظهور في الشوارع أثناء الأعياد المسيحية، ويُحَرِّم توليهم مناصب حكومية في البلاد المسيحية، ومنع الجهر بالأذان حتى لا يؤذي أسماع المسيحيين.

وبعد ذلك أعلن البابا "كليمنت الخامس" (١٣٠٥ - ١٣١٤) أن وجود مسلم علىٰ الأرض المسيحية يعتبر إهانة لله.

وقبل ذلك قام ملك فرنسا "شارل آنشوا" عام (١٣٠١) بإبادة من بقي من المسلمين أبناء صقلية وجنوب إيطاليا.

وقد ظلت محاكم التفتيش في أسبانيا تضطهد المسلمين وذريتهم علىٰ مدى ٣٠٠ سنة ".

وسِجِلُّ العداء أكبر مما يصل إليه الخيال، ويمكن لمن يريد معرفة المزيد العودة إلىٰ كتاب "كارين أرمسترونج" ففيه الكثير.

وهي بعد ذلك تتحدث عن فصل بعنوان "محمد رجل الله" عن معجزات الرسول ﷺ.

وأولها: أنه أصبحت كلمة الله تتردد لأول مرة في بلاد العرب.

وثانيها: أن الرسول ﷺ حقق معجزة بتوحيد العرب، وكان مستحيلاً أن تتوحد هذه القبائل المتحاربة . . وعلى هذا فإن كان ذلك النصر السياسي هو الإنجاز الوحيد لمحمد ﷺ فمن حقه علينا أن يحوز إعجابنا، لكن النجاح الأكبر لمحمد كان نشر الإيمان بالدين الذي غير مجرى التاريخ.

أما شخص محمد ﷺ - وكما تُظْهِرُ الكتابات - فإنه يختلف كل الاختلاف عن شخصية المسيح المثالية الخارقة للطبيعة - كما يظهرها الإنجيل - وعلى رغم أنه أصبح لمحمد ﷺ عند المسلمين هالة رمزية إلا أنهم لم يَدَّعُوا أبداً أنه مُقَدَّسٌ، بل إنه - كما تُقَدِّمُه السير الأولى - شخصية إنسانية، ليس فيها تشابه مع شخصيات القديسين المسيحيين، وتماثل شخصية محمد ﷺ شخصيات التوراة النابضة بالحياة من أمثال موسى وداود، وسليمان وإلياس، وإسحاق، وتبدو شخصية محمد ﷺ شخصية قوية المشاعر ذات أبعاد مركبة، ويتمتع بمواهب روحانية وسياسية عظيمة، وكان يتملكه الغضب أحيانًا، كما كان شديد التأثر والرحمة.

وتقول: "لم نقرأ أبداً أن المسيح ضحك، ولكن كثيراً ما نقرأ أن محمداً كان يبتسم ويداعب الأطفال والصحابة، ويختلف مع زوجاته، ويبكي لموت أحد أصحابه، ويعرض ابنه الوليد مزهواً كأي أب، فإذا نظرنا إليه كشخصية تاريخية عظيمة، فمن المؤكد أننا سنراه من أعظم العباقرة الذين عرفهم التاريخ، ولكي نوفي عبقريته حقها علينا أن ندرس المجتمع الذي ولد فيه، والقوى التي كان عليه أن يدخل معها في صراع، فقد كان اليهود يؤمنون بإله واحد "يهوه" لكنهم كانوا يعتقدون في وجود آلهة أخرى، والوصايا العشر في التوراة تعترف ضمناً بوجود آلهة أخرى يعبدونها، مثل الوصية التي تقول: "لا يكن لك آلهة أخرى أمامي" ولم تتحقق الوحدانية في اليهودية إلا على يد "إشعيا الثاني" بعد ٧٠٠ سنة من خروج الإسرائيليين من مصر عام ١٢٥٠ قبل الميلاد. . أما محمد ﷺ فقد انطلق ليجعل العرب يؤمنون بالتوحيد في فترة لا تتعدى ٢٣ عاما، وهذه عملية صعبة تتطلب تغيير الوعي الإنساني نفسه".

وتقف "كارين أرمسترونج" عند مسألة حساسة في السيرة النبوية عندما حاولت فهم الآيات: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ [الإسراء ٧٣ - ٧٥].

فتقول: "إن الدارسين في الغرب يفترضون أن تلك الآية تشير إلىٰ حادثة ما يدعى "آيات شيطانية" يَدَّعُون بها أن محمداً ﷺ قَدَّم تنازلات مؤقتة للمشركين، والقصة - كما في طبقات ابن سعد وتاريخ الطبري - أن الشيطان تدخل في إحدى المناسبات، وتقول المأثورات: إن محمداً ﷺ أثناء تلقيه سورة "النجم" شعر بإيحاء أن ينطق آيتين تقولان: إن الآلهة الثلاث "اللات والعزى ومناة" من الممكن أن يَكُنَّ وسيطات بين الله والبشر، وبما أن قريشاً تعتقد أنهن بنات الله وأنهن مُقَدَّسات، فقد ظنوا خطأ أن القرآن قد وضع هذه الآلهة في منزلة واحدة مع الله، واعتقاداً منهم أن محمداً ﷺ قد تَقَبَّل آلهتهم سجدت قريش لتؤدي الصلاة مع المسلمين، وبدا وكأن الخلاف قد انتهى، وتقول القصة: "إن محمداً ﷺ تلقى الوحي الإلهي بأن قبوله الظاهري لهذه الآلهة كان وحياً من الشيطان، وبناء علىٰ ذلك حُذِفَتْ الآيتان من القرآن، واستُبْدِلَتَا بآيات أخرى تلعن الآلهة الثلاث".

وتعلن "كارين أرمسترونج" علىٰ هذه الرواية التي يروج لها كثير من الغربيين، فتقول: "إن هذه القصة غير صحيحة، ومشكوك في صحتها لدى المسلمين، ولا توجد إشارة واضحة إليها في القرآن، وفي التسجيل المبكر للسيرة "في سيرة ابن إسحاق" لا توجد أية إشارة إلىٰ هذه الواقعة، كما أنها لم تُذْكَرْ في مجموعات الأحاديث الكبيرة التي جمعها البخاري ومسلم في القرن التاسع الميلادي، وحينما يرفض المسلمون شيئاً من التراث فإنهم لا يفعلون ذلك بدافع احتمال التأويلات النقدية لما يرفضون، لكن لعدم كفاية الأدلة، ومع ذلك فإن أعداء الإسلام في الغرب - كما تقول - رأوا في هذه القصة مناسبة كي يُشَكِّكُوا في محمد ﷺ وليقولوا: كيف لرجل قام بتغيير الكلمات السماوية طبقاً لما ارتآه أن يكون نبياً ؟ وعلى رغم ذلك فقد حاول باحثون - مثل ماكسيم رودنسون ومونتجومري - مؤخَّراً أن يبرهنوا علىٰ أن القصة في صياغتها لا تحتمل تأويلاً سلبياً، ولكن هذه القصة التي لم يهتم بها المسلمون ظلت علىٰ قدر كبير من الأهمية في الغرب، وتفجرت عام ١٩٨٨، وهو العام الذي نشر فيه "سلمان رشدي" رواية "آيات شيطانية"، وجعل من هذه القصة محوراً لروايته.

وهذه القصة - كما تقول كارين أرمسترونج - تُكَرِّرُ الأساطير الغربية القديمة عن محمد ﷺ وتكرر القول بأنه مُدَّع ذو طموحات سياسية، والأكثر إيلامًا للمسلمين أنها تُشَوِّهُ صدق القرآن، وهذا ما أثار المسلمين، فقد رأى المسلمون أن

كتاب "سلمان رشدي" اتخذ من القصة المدسوسة عن الآيات الشيطانية عنواناً له، وقد وَظَّفَ "سلمان رشدي " هذه القصة ليبرهن علىٰ أن القرآن المقدس عند المسلمين لا يميز بين الطيب والخبيث، وأن ما يقال: "إنه مشيئة الله" ما هو إلا إيحاءات إنسانية - كما يدعي النقاد الغربيون.

وتصل "كارين أرمسترونج" إلىٰ أن الذين أيَّدوا "سلمان رشدي" استغلوا ما جاء في كتابه ليكرروا الادعاء بأن الإسلام ضد حرية الإبداع، وحرية البحث العلمي، وقد تبنى "سلمان رشدي" الرؤية الغربية القائمة علىٰ الكراهية للمسلمين ورسولهم، وقد فتح ذلك جراحاً عميقة - كما تقول - بين الغرب والإسلام.

وتقول: "إن القصة تتعارض مع الروايات الموثقة، ومع القرآن نفسه، ومن الثابت أن الرسول ﷺ رفض عروضًا من قريش دون تردد بأن يسمح لهم بعبادة آلهتهم مع عبادة الله، ولكن في الغرب - كما تقول - من تأثر بفكرة السقوط - بمعناها المسيحي - ليخلعها علىٰ محمد ﷺ كما أن آدم استسلم لغواية الشيطان، وفي رواية الطبري إنكاراً لهذه الواقعة ومكانة هذه الألهة حددها القرآن بصورة قاطعة: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ﴾ [النجم: ٢٣].

وتقول: "هذه هي أكبر إدانة قرآنية لتلك الآلهة، كما أن الإسلام جاء برسالة توحيد لا تقبل أن يكون مع الله إله آخر، وليس أدل علىٰ ذلك من سورة "الإخلاص" التي يقرؤها المسلمون في صلاتهم اليومية: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [سورة الإخلاص] فكيف يمكن مع هذا التوحيد الخالص أن يأتي ذكر آلهة قريش وأصنامها علىٰ لسان الرسول ﷺ علىٰ أن لها مكانة أو شفاعة ؟!.

وتخصص "كارين أرمسترونج" صفحات من كتابها للتدليل علىٰ عدم صحة هذه الرواية المدسوسة علىٰ النبي ﷺ وتقول: "إن تاريخ محمد ﷺ منذ بدايته فيه كراهية لآلهة قريش، ومن الأدلة علىٰ ذلك أن كبار قريش ذهبوا إلىٰ أبي طالب - عم الرسول ﷺ - وقالوا له: يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سَبَّ آلهتنا، وعاب ديننا وسَفَّه أحلامنا، وضَلَّلَ آباءنا، فإما أن تكُفَّهُ عنا، وإما أن تخلي بيننا وبينه، فإنك علىٰ مثل ما نحن عليه من خلافه فنكفيكه.

وبعد فترة عادوا إلىٰ أبي طالب ثائرين، وقالوا له: إنا والله لا نصبر علىٰ هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا، حتى تَكُفَّهُ عنا أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين.

ونستدل من هذا الموقف أن محمداً لم يتنازل عن محاربة آلهة قريش، بل إن قريشاً عرضت عليه أن يكون ملكاً عليهم، وأن يجعلوه أكثرهم ثروة مقابل التنازل عن دينه، فقال: «**والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في شمالي علىٰ أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه**».

بهذا المنطق تُدَافع "كارين أرمسترونج" عن الرسول ﷺ وتكشف عدم صحة هذه الرواية التي أقام عليها "سلمان رشدي" كتابه وهي تفعل ذلك من منطلق البحث العلمي النزيه، فهي ليست مسلمة ولا صلة لها بالدول الإسلامية، لكنها قرأت كل ما كُتِبَ عن سيرة الرسول ﷺ بعقلية نافذة، وكتبت عن الرسول ﷺ بمنهج علمي مُدَقِّق لا يخضع لأحكام مسبقة، وهي تسجل بموضوعة نجاح المشروع الإسلامي بعد وفاة النبي ﷺ كدليل علىٰ صدق الرسالة، وتتحدث عن الروحانيات التي أسسها دون أن يعتزل الحياة، ولم ينتظر إلىٰ حين حلول عالم يخلو من الشرور والصراعات، وسعى إلىٰ إقامة مجتمعه المثالي في المدينة، واحتذى المسلمون حذوه منذ البداية.

وتسجل "كارين أرمسترونج" مشاعر الحب الجارف لمحمد ﷺ لدى المسلمين، ومع ذلك فإنهم يؤكدون أنه لم يكن إلا رجلاً، ولم يكن إلهاً أو ملكاً، والنبي ﷺ هو الذي قال عن نفسه: «**إن أنا إلا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة**» وذلك حرصاً منه تأكيد طبيعته كإنسان، وبذلك أصبحت حياة محمد آية من الآيات التي يدعو القرآن المسلمين إلىٰ التأمل فيها وتَفَهُّمِهَا، فإن رسالته النبوية "رمز" يعكس الاستسلام التام لله وحب المسلمين له هو ارتباط بالرمز الذي يضيء لهم حياتهم، ويضيف إليها معنىً جديداً.

وتقول "كارين أرمسترونج": "إن محمداً ﷺ يعتبر علىٰ المستوى الرمزي الإنسان الكامل" و النموذج" وتنظر إلىٰ رحلة "الإسراء والمعراج علىٰ أنها المثال الكامل للفناء في الله، والمسلمون يسعون إلىٰ محاكاة الرسول في حياتهم اليومية لكي يقتربوا من هذا الكمال بقدر الإمكان ويقتربوا من الله".

وتختم "كارين أرمسترونج" كتابها بقولها: "إن الإسلام والغرب يشتركان في أمور كثيرة، والمسلمون عرفوا ذلك منذ زمن محمد ﷺ إلا أن الغرب غير قادر علىٰ تقبل هذه الحقيقة، والمسلمون يشعرون أن حضارة الغرب امتهنت كرامتهم واحتقرتهم، ونحن في الغرب بحاجة إلىٰ أن نُخَلِّصَ أنفسنا من بعض أحقادنا القديمة، ولعل شخص محمد ﷺ يكون مناسباً للبدء، فقد كان ذا عبقرية تستعصي علىٰ الإدراك، وأسس ديناً وحضارة للإسلام، ولفظ "الإسلام" ذو دلالة علىٰ السلام والوفاق مع سائر البشر".

أليس من واجب المسلمين أن يُقَدِّمُوا التحية لهذه الراهبة التي قالت كلمة الحق بجرأة وبراعة تفوق ما فعله المسلمون للدفاع عن دينهم في الغرب؟![1]

ومن فرنسا

*** القس "إسحاق تيلر" الفرنسي:**

مستشرق فرنسي، ولد في بلده "بوردو" ١٨١٠، وتوفي ١٨٩٧، له مؤلف أسماه "حقائق التاريخ".

قال فيه (ص٧٦) "إننا إذا قَلَّبْنا الطرف لا نجد في أعمال محمد ونبوته شيئاً يناقش النصرانية الحساب، ويقف لها بالمرصاد، بل نراها الحَدَّ الفاصل بين اليهودية والنصرانية، وإن الإسلام منه أتت السعادة وأفاد المدنية، وإن محمداً شابه موسى في تعدُّد الزوجات والاسترقاق، والاسترقاق ليس من العقيدة الإسلامية في شيء، فأباحه محمد للضرورة، أما تعدد الزوجات فإنه لم يُحَرِّمهُ موسى في توراته ولا داود في زبوره، وعلينا أن نفهم أن آداب الإسلام أسمى من آداب النصرانية".

*** المسيو "إميل برنامكام" الفرنسي:**

ولد في "بركادا" ١٨٥٧، وتوفي عام ١٩٢٤ ... وهو من مشاهير كُتَّاب القرن التاسع عشر الميلادي.

قال في كتابه "الشرق والإسلام" - وهو أحد مؤلفاته: "إنني أردت أن أُصَوِّرَ محمداً صورة مطابقة للواقع علىٰ قدر الإمكان - كما فهمتها مما قرأته عنه في الكتب، وكما رأيتها في أرواح أتباعه الحية".

---

(١) انظر "المنصفون للإسلام في الغرب" من (ص ١٨٤ - ١٩٧).

إلى أن قال: "نشأ معتمداً علىٰ نفسه، يرجع إليها في الكبيرة والصغيرة، ويجهد ويعمل لكسب رزقه من عرق جبينه، إذ لم يكن ذا ثروة تكفيه مؤنة السعي، فكانت ثروته عند نشأته صِدْقُهُ وأمانته ونزاهته وإخلاصه، وتلك - لَعَمْرُ الله - أسمى الثروات وأغلاها، تلك كانت صفات محمد في وسط مُنْحَلٍّ لا يعرف أخلاقاً ولا نُبْلاً".

*** العلامة الكبير "غوستاف لوبون" الفرنسي:**

ولد عام ١٨٤١ في "تولوز" وتوفي ١٩٣١، فرنسي من فلاسفة علم الاجتماع، نقل بعض مؤلفاته إلىٰ العربية.

قال في كتابه "الحياة" عند حديثه عن العربي في الشرق (ص٤٣): "إن محمداً - رغم ما يُشَاعُ عنه علىٰ وجه عام - قد ظهر بمظهر الحُكْم الوافر والرحابة الفسيحة إزاء أهل الذِّمَّة، وحرر بلاداً واسعة من الروم والفرس، وترك أهلها في طليعة الأمم".

وقال في كتابه "التمدُّن الإسلامي" - وهو ٨٠٠ صفحة - والمنقول من اللغة الفرنسية إلىٰ اللغة الفارسية (ص٦٧): "إنني لا أدعو إلىٰ بدعة مُحْدَثةٍ ولا إلىٰ ضلالة مستهجنة بل إلىٰ دين عربي قديم أوحاه الله إلىٰ نبيه محمد، فكان أمينًا علىٰ بث دعوته بين قبائل رُحَّل، تَلَهَّت بعبادة الأحجار، وتَلَذَّذَت بتُرَّهَات الجاهلية، فجمع صفوفهم بعد أن كانت مبعثرة، ووحد كلمتهم بعد أن كانت متفرقة، ووجه أنظارهم لعبادة الخالق، فكان خير البرية علىٰ الإطلاق حَسَباً ونَسَباً وزعامة ونبوة . هذا هو محمد الذي اعتنق شريعته أربعمائة مليون مسلم منتشرين في أنحاء المعمورة، يُرَتِّلون قرآناً عربياً مُبينًا".

إلى أن قال: "فرسول كهذا جدير باتباع رسالته، والمبادرة إلىٰ اعتناق دعوته، إذ إنها دعوة شريفة، قَوامُها معرفة الخالق، والحض علىٰ الخير والردع عن المنكر، بل كل ما جاء فيها يرمي إلىٰ الصلاح والإصلاح، والصلاح أنشودة المؤمن، وهو الذي أدعوا إليه جميع النصارى".

وفي كتابه "الدين والحياة" قال: "إن محمداً حصل علىٰ طاعة قومه، ولم يحصل نظيرها لأي ملك أو أمير أو أي فاتح، وقد كان ذا أخلاق عالية، وحكمة ورقة قلب، ورأفة ورحمة وصدق وأمانة".

وقال: "كان عقل محمد من أكبر العقول، وكانت آراؤه من أسدِّ الآراء".

وقال في كتابه "الآراء والمعتقدات" (ص٦): "لقد اعتنقت قبائل البدو في جزيرة العرب دينًا أتى به أميٌّ فأقامت - بفضل الدين - في أقل من خمسين سنة دولة عظيمة كدولة الإسكندر، وزينت جيدها بقلادة من المباني الفخمة التي هي آية في الإعجاز".

ثم قال: "ولو لم يكن أميًا لما استطاع أن ينشر دينه".

إلى أن قال: "ينشأ من المعتقد القوميِّ يقينٌ لا يزعزعُهُ شيء، ومن مثل هذا اليقين تُشَقُّ أكثر حوادث التاريخ أهمية، وقد أيقن محمد أن الله أمره بالدعوة إلىٰ دين جديد أوحي إليه لتجديد العال، فاستطاع بفضل يقينه أن يقلب الدنيا".

وقال في كتابه "التمدن الإسلامي" (ص١٢٧) "الباب الثاني في القرآن: القرآن هو الكتاب المنزل من السماء، الذي فيه مباحث وقوانين دينية وسياسية واجتماعية، والقرآن - وإن نزل من عند الله - لكنه في بعض المقامات لم تكن بعض آياته مرتبطة ببعض[1]، وعلة ذلك أن آياته نزلت علىٰ التوالي المقتضي للحاجات في ذلك الزمن، فكان جبريل الملك ينزل به علىٰ محمد من عند الله، فَتُحْفَظُ، ولم تُجْمَع إلا بعد وفاة محمد، وكانت سُوَرُه "١١٤" سورة، ويعتقد المسلمون أن القرآن حتى الآن لم ينزل كتاب من السماء مثله.

والحق أن في القرآن من المعاني الشعرية والنثرية، وحين البيان ما لم يوجد في غيره، أما عقائده وما يرجع إلىٰ عالم الكائنات فهو موجود تقريبًا في دين اليهود والنصارى.

والقرآن مما لا شك أنه نزل علىٰ محمد" - اهـ.

*** "إدوار مونتيه" الفرنسي:**

ولد في "ليون" ١٨٥٦، وتوفي ١٩٢٧ أستاذ اللغات الشرقية في جامعة "جينف" مستشرق فرنسي.

قال في كتابه "حاضر الإسلام ومستقبله": "أما محمد فكان كريم الأخلاق، حسن العشرة، عذب الحديث، صحيح الحكم، صادق اللفظ، وقد كانت الصفة

(١) كلا .. بل آيات القرآن جميعاً بينها وروابط عميقة يفهمها أهل الغوص علىٰ المعاني.

الغالبة عليه وهي صحة الحكم وصراحة اللفظ والاقتناع التام بما يقبله ويقوله . إن طبيعة محمد الدينية تُدْهِشُ كل باحث مُدَقِّق نزيه القصد بما يَتَجلَّى فيها من شدة الإخلاص، وقد كان محمد مُصلحاً دينياً ذا عقيدة راسخة، ولم ينهض إلا بعد أن تأمل كثيراً وبلغ سن الكمال بهاتيك الدعوة العظيمة التي جعلته من أسطع أنوار الإنسانية، وهو في قتاله الشرك والعادات القبيحة التي كانت عند أبناء زمنه كان في بلاد العرب أشبه بنبي من أنبياء بني إسرائيل الذين كانوا كباراً جداً في تاريخ قومهم، ولقد جهل كثير من الناس محمداً وبَخَسُوه حقه وذلك لأنه من المصلحين الذين عرف الناس أطوار حياتهم بدقائقها " .

* **"ألفونس دي لا مارتين" الفرنسي:**

ولد في بلده "بوردو" ١٧٩٠، وتوفي ١٨٦٩، وهو من مشاهير الشعراء الفرنسيين، ومن ممثلي المذهب "الرومانتيسم" ومن مؤلفاته الشعرية "التأملات" والنثرية "السفر إلىٰ الشرق" نقل إلىٰ العربية.

قال فيه (ص٤٧): "إن محمداً فوق البشر ودون الإله، فهو رسول بحكم العقل ودلالات المعجزات تُعَضِّدُ ذلك، وإن اللغز الذي حَلَّه محمد في دعوته فكشف فيها عن القيم الروحية ثم قدمها لأمته العربية ديناً سماوياً، وسرعان ما اعتنقوه هو أعلى ما رسمه الخالق لبني البشر " .

وقال في "السفر إلىٰ الشرق" (ص ٨٤): "أترون أن محمداً كان أخا خداع وتدليس، وصاحب باطل ومَيْن ؟! كلا . . وبعد ما وعينا تاريخه ودرسنا حياته فإن الخداع والمَيْنَ والباطل والتدليس كل أولئك من نفاق العقيدة، كما أنه ليس للكذب قُوَّة الصدق " .

إلى أن قال: "إن حياة محمد وقوة تأمله وتفكيره وجهاده ووثبته علىٰ خرافات أمته وجاهلية شعبه وشهامته وجرأته وبأسه في لقاء ما لقيه من عبدة الأوثان، وثباته وتَقَبُّلَه سخرية الساخرين، وحَمِيَّتهُ في نشر رسالته، وحروبه التي كان جيشه فيها أقل نفيراً من عدوه، ووثوقه بالنجاح وإيمانه بالظفر، وتطلعه إلىٰ إلى إعلاء الكلمة وتأسيس العقيدة، ونجواه التي لا تنقطع مع الله، كل هذا لأعظم دليل علىٰ أنه لم يكن يُضْمِرُ خداعاً أو يعيش علىٰ باطل أو مين، بل كان وراءها عقيدة صادقة، ويقين مضيء في قلبه، وهذا اليقين الذي ملأ روحه هو الذي وهبه القوة علىٰ أن يرد الحياة فكرة عظيمة وحُجَّة قائمة ومبدأ مزدوجاً، وهو وحدانية الله سبحانه" .

*** المسيو "جول لابوم" الفرنسي:**

ولد في بلده "كاساريا" ١٧٩١، وتوفي ١٨٦٨.

قال في مقدمة الفهرس الذي وضعه للقرآن الكريم المترجم إلىٰ العربية (ص٦٣): "لأجل أن يفهم الإنسان تمام الفهم أي دعوة من الدعوات يلزمه أولاً الإلمام بحال الداعي بذاته".

إلى أن قال: "ومن هذه النبذة الوجيزة التي خصصناها لمحمد المشرع العربي، مؤسس ما يمكن تسميته بالجامعة الإسلامية حوالي ميلاد محمد، وإذا بالعالم يتسع لأضواء هُداه، فكأني بالعالم وقد خُلق من جديد، وفتح عينيه علىٰ مبادئ عالية سامية".

*** المسيو "ميسمر" الفرنسي:**

قال في كتابه "العرب في عهد محمد" المُعرَّب إلىٰ اللغة العربية عام ١٩٢٢ بقلم "فؤاد بطرس" السوري: "إن مَنْ تَسَافَهَ وأنكر صدق محمد فقد بتَّ بهذه المسألة دون أن يَحُلَّها، وحمَّل ضميره مسؤولية المكابرة، ورمى بنفسه إلىٰ نهاية سيئة؛ إذ ليس من وحي الضمير الحر ما يقارفه أولئك المغرضون علىٰ محمد الذي اتصف بكل صفات الكمال".

*** الأب "إسكندر دوماس" الفرنسي:**

ولد ١٨٠٣، وتوفي ١٨٧٠، مؤلف قصصي، له كتاب "الفرسان الثلاثة" قال فيه: "كان محمد معجزة الشرق لما في دينه من معالم، وفي أخلاقه من سمو، وفي صفاته من محامد".

*** "جان بروا" الفرنسي:**

وهو من كبار المستشرقين الفرنسيين، له مؤلفات عديدة، منها "محمد، نابليون، السماء"[1] نقله عن الفرنسية "محمد صالح البنداق".

---

(١) معاذ الله أن يُشَبَّه رسول الله ﷺ الذي قال عنه ربه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧] بنابليون المجرم سفاك الدماء الظلوم الذي قتل من الشعوب ومن المسلمين ما قتل، والذي غدر بأسراه في عكا بعد إعطائهم الأمان.

ألم تر أن السيف ينقص قدره ... إذا قيل إن السيف أمضى من العصا ؟

قال (ص٥٢) منه: "إن إبلاغ الرسالة إلىٰ العالم هو الهدف الأول والأخير للنبي محمد، ولم تكن مشاغل الأسرة والحياة لتَحُولَ بينه وبين أدائها أبداً، وإنك إذا نظرت إلىٰ عُنْفِ قريش ومؤامراتها الدموية، وربط جأشها علىٰ اغتياله مراراً، بل إذا نظرت إلىٰ كل القبائل العربية حينذاك ألفيت الغزو جُلَّ عملها، ولم يكن النبي إلىٰ ذلك الوقت - وإن كثر حوله الرجال - قد أُذِنَ له في النضال ودفع العدوان بالعدوان، ولكن بعد كل تلك الاعتداءات جاء الوحي الإلهي يبيح له حرب المعتدين ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ [الحج:٣٩ - ٤٠] وجاء أيضاً: ﴿وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾ [البَقَرَة: ١٩٠] "

إلى أن قال: "وكان محمد نبياً ومشرعاً وسياسياً، وملكاً عظيماً، وخطيباً، وقائداً خطيراً مُحَنَّكاً، وإن كان لم يدخل جامعة من جامعات الرومان، ولا مدرسة من مدارس فارس، إن محمداً قد كبر اسمه واعتز بربه حتى عُرِف باسمه وحده دون ذكر أسرته - كما عرف نابليون - إن محمداً لنابليون السماء[1]، ولم يكن لمحمد من عدو لدود قد استباح المحرمات وأعد الأهبة للبطش به وبدعوته سوى مكة".

*** المسيو "برتلمي سانت هيليار" الفرنسي:**

مستشرق شهير، ولد في بلدته "كلدا" ١٨١٧، وتوفي ١٨٩٢.

قال في كتابه "مع الحياة": "كان محمد أزكى العرب في عهده وأكثرهم تقوى وديناً، وأرحبهم صدراً، وأرفقهم بأعدائه وخصوم دينه، وما استقامت إمبراطوريته الخارقة إلا بسبب تفوقه علىٰ رجال عصره، وأما الدين الذي راح يدعو إليه فقد كان خيراً عظيمًا علىٰ الشعوب التي اعتنقته وآمنت به".

*** المؤرخ الشهير "لاتيس" الفرنسي:**

ولد في مدينة "بوردو" ١٨٤٧، وتوفي ١٩٠٩.

قال في مقال له نشرته عنه مجلة "الهلال" المصرية - المجلد الثالث - الجزء الثامن: "إن محمداً كان مشهوراً بالصدق منذ صباه حتى كان يلقب بـ "الأمين" وما زال يسهر لحياة دينه والعرب حتى مات، وما مات حتى أسس ديناً وأقام دولة".

---

(١) نفس الهامش السابق.

*** العلامة "كليمان هوار" الفرنسي:**

ولد ١٨٥٤، وتوفي ١٩٢٧، مستشرق فرنسي، وقضى مدة في دمشق تَرْجُمَاناً لقنصل فرنسا فيها، ولسفير فرنسا في الآستانة ورئيس مجمع الكتابات والآداب في باريس، وأستاذ اللغات الشرقية فيها، وله كتاب "تاريخ العرب".

قال في الجزء الأول منه: "كيف تعرَّفَ محمدٌ إلىٰ خديجة، وكيف أمكن أن يحصل علىٰ ثقتها ويتزوج بها ؟! والجواب علىٰ الشِّقِّ الأول لا يزال غير معروف عندنا، وأما علىٰ الشق الثاني فقد اتفقت الأخبار علىٰ أن محمداً كان في الدرجة العليا من شرف النفس، وكان يلقب بـ "الأمين"، أي بالرجل الثقة المعتمد عليه إلىٰ أقصى درجة، إذ كان المثل الأعلى في الاستقامة "

*** الكاتب المعروف "ديسون" الفرنسي:**

قال في حديث له عن النبي محمد ﷺ: "ليس يصح أن يُنظر إلىٰ دين محمد كدين مليء بالخرافات والأكاذيب، فهذا مخالف للحقيقة، وإن محمداً نفسه قد راح يُصَرِّحُ بأن الإسلام يتمم المسيحية"[1].

*** الأستاذ "ديفيد دي لويس" الفرنسي:**

ولد في بلدته "ساماتا" ١٨٤٨، وتوفي ١٩٢٥.

قال في كتابه "الإسلام": "إن محمداً قد ذكر المجتمع العربي بأشكاله الابتدائية، وشَيَّد بنياناً اجتماعياً علىٰ الأسس التي كانت توافق أعمق غرائز ذلك المجتمع، فالذين يؤمنون بالله الواحد وبنبوة محمد يصبح " لهم حق الانتساب إلىٰ أمة محمد، ومحمد هو الشهيد بين العرب أمام الله ".

إلى أن قال: "ولا يمكن لله أن يبعث أو يختار رسولاً ومبشراً بعد أن أرسل محمداً مبشراً للناس ومنذراً بكلمته النهائية ".

*** المسيو "شانليه" الفرنسي:**

قال في مجلس - وقد سئل عن رسالة الإسلام - نقلاً عن مجلة "المقتطف" - المجلد الثالث - عدد ٧: "إن رسالة محمد هي أفضل الرسالات التي جاء بها

---

(١) إن كان يقصد أنه يتمم ديانة التوحيد فنعم .

الأنبياء قبله ؛ لأنها جاءت إلىٰ الشعوب نقية من كل عيب، وخالية من كل نقص، بل إنه يوجد فيها من التعاليم القيمة ما لا يوجد في غيرها من الديانات " .

*** الفيلسوف "إدوار مونتيه" الفرنسي:**

مستشرق فرنسي، ولد في بلدته "لوكادا" ١٨١٧، وتوفي ١٨٩٤.

قال في آخر كتابه "العرب" : "عُرِفَ محمد بخلوص النية والملاطفة وإنصافه في الحكم ونزاهة التعبير عن الفكر والتحقق، وبالجملة كان محمد أزكى وأَدْيَنَ وأرحم عرب عصره، وأشدهم حفاظاً علىٰ الذمام، فقد وجههم إلىٰ حياة لم يحلموا بها من قبل، وأسس لهم دولة زمنية ودينية لا تزال إلىٰ اليوم" .

*** العلامة "رينيه غروسة" الفرنسي:**

مستشرق ومؤرخ وأديب فرنسي، له عدة مؤلفات، منها "تاريخ الحروب الصليبية " ومنها "مدنيات الشرق" .

قال في الأخير: "كان محمد لما قام بهذه الدعوة شاباً كريمًا نَجِداً ملآن حماسة لكل قضية شريفة، وكان أرفع جداً من الوسط الذي يعيش فيه، وقد كان العرب يوم دعاهم إلىٰ الله منغمسين في الوثنية وعبادة الحجارة، فعزم علىٰ نقلهم من تلك الوثنية إلىٰ التوحيد الخالص البحت، وكانوا يهتفون بالفوضى وقتال بعضهم بعضاً، فأراد أن يؤسس لهم حكومة ديمقراطية موحدة، وكانت لهم عادات وحشية همجية صرفة، فأراد أن يُلَطِّف أخلاقهم ويُهَذِّب من خشونتهم " .

*** العلامة "لابلابس" الفرنسي:**

من مشاهير علماء الفلك الفرنسيين، صاحب الرأي المعروف أن العالم تكوَّن في بدئه كرة ضبابية انفجرت وصدرت منها الأجرام السماوية، ومنها أرضنا.

قال في كتابه "الأديان" : "إننا - وإن لم نعتقد بالأديان السماوية - ولكن دين محمد وشريعته مثالان اجتماعيان لحياة البشر، فنحن نعترف لمحمد بأنه عظيم بدينه ومبدئه وعقليَّته، فلا محيص عن الأخذ بتعاليمه" .

*** المسيو "بوستل غليوم" الفرنسي:**

مستشرق فرنسي ولد عام ١٥٨١، وتوفي ١٦٥٤، ألف أبجديات في اثنتي عشرة لغة منها - العربية - طُبع بعضها.

قال فيما كتبه باللغة العربية: "اللغة العربية أفصح اللغات آداباً، وهي لغة أمة علىٰ رأسها محمد النبي العربي، وهو أفصح من نطق بالضاد، ولقد جاء بأفصح ما يمكن في خلال كلماته المأثورة عنه، لذلك نحترمه ونحترم لغته".

* **"ويغان مكسيم" الفرنسي:**

ولد في "بروكسل" ١٨٦٧، قائد فرنسي، ومندوب ساميٌّ في سوريا ولبنان ١٩٢٣، له مذكرات قيِّمة، دُعِيَ إلىٰ حفلة لذكرى ميلاد الرسول محمد ﷺ في بيروت سنة ١٩٢٥ . . . فقال فيها: "مهما احتفل المسلمون بعيد ميلاد محمد، فهو قليل؛ لأنه جاءهم بدين هو فوق الأديان، وهو في نفسه كبير، وفي أخلاقه عظيم، وفي شريعته سَيِّدُ الأنبياء، فعلى المنصفين أن يحتفلوا بذكرى عظماء التاريخ، وفي طليعتهم محمد الرسول العربي والقائد الأعلى لتحقيق شريعة الله علىٰ الأرض، وتركيزها في صدور الناس".

* **"رينيه ديكارت" الفرنسي:**

ولد عام ١٥٩٧، وتوفي ١٦٥٠، اشتهر بكتابه "مقالة الطريقة" الذي كان له الأثر البليغ في الفكر الغربي، نقله إلىٰ العربية "جميل صليبا" عام ١٩٥٠، وهو مصدر الفلسفة الحديثة.

قال فيه: "نحن والمسلمون في هذه الحياة، ولكنهم يعملون بالرسالتين العيسوية المحمدية، ونحن لا نعمل بالثانية، ولو أنصفنا لكنا معهم جنباً إلىٰ جنب؛ لأن رسالتهم فيها ما يتلاءم مع كل زمان، وصاحب شريعتهم محمد الذي عجز العرب عن مباراة قرآنه وفصاحته، بل لم يأت التاريخ برجل هو أفصح منه لساناً، وأبلغ منه منطقاً، وأعظم منه خُلُقاً، وذلك دليل علىٰ ما يتمتع به نبي الإسلام من الصفات الحميدة التي أهَّلته لأن يكون نبياً في آخر حلقات الأنبياء؛ ولأن يعتنق دينه مئات الملايين من البشر".

* **"دي سلان ماك غوكين" الفرنسي:**

ولد في "باماكو" ١٨١٠، وتوفي ١٨٧٩، مستشرق فرنسي، وضع فهرس المخطوطات الشرقية الموجودة في المكتبة الوطنية في باريس، أتمَّ ترجمة "مقدمة ابن خلدون" ونقلها إلىٰ الفرنسية، وعُنِيَ بنشر كتب عديدة.

قال في الترجمة (ص ١٠٧): "إن العرب أمة تمتاز بكثير من الصفات، ولها دين جامع شامل، لا يعيبه إلا من يجهله، وصاحب دينهم محمد الفقير، وقبل أن نعرف الدين يجب أن نعرف من أتى به، وحقاً أقول: ليس كمحمد في سلسلة الأنبياء، ولا كشريعته في سلسلة الشرائع، ولا نبالغ إذا قلنا: إن محمداً خير من أتى بشريعة، ولقد وقف في وجه الطغاة من قريش حتى أتم ما أراد، وبلغ منتهى الطريق الذي سلكه وعمل له، وإذا به وبشريعته يتمتَّعان بذكر عاطر وحديث حسن، وليس باستطاعتنا أن نثير عليهما غبار الانتقاص".

*** المسيو "سيفتر دي ساسي" الفرنسي:**

ولد في بلده "سيلوم" ١٧٥٠، وتوفي ١٨٣٨، مستشرق فرنسي، أنشأ الجمعية الآسيوية، وبعث في قلوب معاصريه الغيرة على الدروس الشرقية - ولا سيما العربية، له المؤلفات العديدة في الشؤون الشرقية.

قال في كتابه "الحياة" (ص٢٦): "لست أرى بُدّاً من القول بأن الإسلام جامع مانع، وفيه التعاليم الحيوية، كيف لا وبانيه محمد بن عبد الله، المفكر العظيم، والفيلسوف الكبير[1] ودينه صالح لأن يبقى، ولا يتغير، ومن المعلوم أن محمداً كان معروفاً منذ الصغر بالصدق والأمانة والوفاء والتواضع، وقد عُرِفَ عنه أنه بليغ في منطقه سديد في رأيه، نشيط في دعوته".

*** "هيليار بلوك" الفرنسي:**

الكاتب الفرنسي الشهير، والمؤرخ الكبير، ولد عام ١٨١٥، وتوفي ١٨٩٥. بحث أديان الشرق، له مؤلفان "بوذا الهندي" و "محمد والقرآن".

قال في الأخير (ص٢٧): "إني أقول: إن معجزةً كهذه من حيث خطرها وبُعْدِ أثرها وعظيم نتائجها كانت مسوقة بقوة لا يُسْتَطَاع تفسيرها، وإن كان ما لدينا من المصادر والوثائق يساعدنا على تفهم الأسباب التي جعلتها أمراً واقعاً منظوراً.

كانت الحركة دينية - ما في ذلك شك - فلم يخرج العرب من جزيرتهم للنهب والسلب، وإنما خرجوا لنشر الدين الجديد الذي جاء به محمد، والتبشير بالمُثُل العليا التي نادى بها محمد، والصفات الجليلة التي دعا إليها محمد".

---

(١) لم يكن محمد ﷺ مفكراً ولا فيلسوفاً، بل كان نبياً رسولاً.

*** المسيو "برتلمي هربلو" الفرنسي:**

مستشرق فرنسي، ولد عام ١٦٩٥، وتوفي ١٧٧٦، جمع المخطوطات العربية، ودرس اللغة العربية في باريس، له كتاب "المكتبة الشرقية" وهو معجم جامع لما في الشرق من فلسفة وأدب.

قال فيه: "إن اللغة العربية هي أعظم اللغات آداباً، وأسماها بلاغة وفصاحة، وهي لغة الضاد، ولقد تغنى محمد نبي الإسلام بما يدل علىٰ شرف هذه اللغة بقوله: **«أنا أفصح من نطق بالضاد»**[1] وصحيح عنه ذلك ؛ ذلك لأن كلماته المأثورة تدل عليه ".

*** الدكتور "وايل" الفرنسي:**

مستشرق فرنسي، ولد عام ١٨١٨، وتوفي ١٨٨٩، درس في باريس العربية والسريانية، اشتغل في الجزائر مدرساً ومترجماً، ترجم "أطباق الذهب " للزمخشري، وله "تاريخ الخلفاء".

قال في الأخير: "إن محمداً يستحق كل إعجابنا وتقديرنا كمصلح عظيم، بل ويستحق أن يطلق عليه أيضاً لقب "نبي" ولا يصغى إلىٰ أقوال المغرضين وآراء المتعصبين ؛ فإن محمداً عظيم في دينه وفي شخصيته، وكل من تحامل علىٰ محمد فقد جهله وغَمَطَه حَقَّه".

*** المسيو "كوسان دي برسفال" الفرنسي:**

مستشرق فرنسي، وكاتب معروف، ومؤرخ مشهور، ولد في بلدته "لاتاي" عام ١٨٦٨، ألف في العربية عِدَّة كتب، وله مؤلفات بالفرنسية منها "تاريخ العرب".

قال فيه: "الذي ثبت عندي أن محمداً نبي العرب، ولد في ٢٠ آب سنة ٥٧٠ م، ذلك الرجل الذي جاء إلىٰ قومه بدين جديد بعد أن توفرت دواعي النبوة، وإن دينه خال من الشكوك والأضاليل، وقد جاء بالمعجزات دليلاً علىٰ دعوته المباركة، ثم سار لانتشار دينه القويم متحملاً من قومه الاضطهاد المتزايد، ثم ارتحل إلىٰ المدينة وبعد فتح مكة عفا عنهم، فآمنوا به".

---

(١) لا يصح عن رسولنا ﷺ.

* **العلامة "ساديو لويس" الفرنسي:**

ولد في باريس عام ١٨٠٨، وتوفي ١٨٧٥، له كتاب "تاريخ العرب".

قال فيه (ص٣٧): "لم يكن محمد نبي العرب بالرجل الفاتح للعرب فحسب، بل للعالم - لو أنصفه الناس - لأنه لم يأت بدين خاص بالعرب وإن تعاليمه الجديرة بالتقدير والإعجاب تدل على أنه عظيم في دينه، عظيم في أخلاقه، عظيم في صفاته، وما أحوجنا إلى رجال للعالم أمثال محمد نبي المسلمين، وعلى العرب خاصة أن يحتفلوا لذكراه كل عام؛ لأنه هو الذي رفعهم من حضيض الجهالة، وإذا هم أمة لها شأنها في عداد الأمم الراقية"[1].

* **العلامة "لوزن" الفرنسي:**

ولد في بلدته "لورد" ١٧٨٦، وتوفي ١٨٣٧، وهو أستاذ في علوم الكيمياء والفلك.

قال في كتابه "الله في السماء": "لقد بُعِثَ محمد رسولاً إلى العرب، وعاشت بلاد العرب الأزمان الطويلة عاكفة على عبادة الأصنام، وتوغلت في ذلك حتى احتاجت إلى انقلاب ديني عظيم".

إلى أن قال: "ولما فتح محمد مكة جاء بيت الله - الكعبة - في احتفال عظيم وفيها ٣٦٠ صنماً، فكان محمد يقف أمام كل صنم، ثم يضربه بعصاه ويقول: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١] ثم يهوي إلى الأرض تحت أقدامه، وليس محمد نبي العرب وحدهم بل هو أفضل نبي قال بوحدانية الله، وإن دين موسى وإن كان من الأديان التي أساسها الوحدانية إلا أنه كان قومياً محضاً، وخاصاً ببني إسرائيل، وأما محمد فقد نشر دينه بقاعدتيه الأساسيتين - وهما الوحدانية والبعث - وقد أعلنه لعموم البشر في أنحاء المسكونة، وإنه لعمل عظيم يتعلق بالإنسانية جملة وتفصيلاً عند من يدرك معنى رسالة محمد الذي اعتنق مبدأه وعمل على رسالته أربعمائة مليون من الناس".

إلى أن يقول: "فرسول كهذا الرسول يجدر باتباع رسالته والمبادرة إلى اعتناق

---

(١) تعظيم النبي ﷺ لا يكون بعصيانه، فلا نحتفل بميلاده كي نظهر له التعظيم، وإنما التعظيم في اتباعه فيما أمر، لا فيما نهى عنه.

دعوته ؛ إذ غنها دعوة شريفة، قِوَامُهَا معرفة الخالق والحثُّ علىٰ الخير والردع عن المنكر، بل كل ما جاء به يرمي إلىٰ الصلاح والإصلاح، والصلاح أنشودة المؤمن، هذا هو الدين الذي أدعو إليه جميع النصارى".

*** الدكتور "موريس أندارا" الفرنسي:**

مؤرخ كبير، وله عدة مؤلفات، ولد في بلدته "يلي" ١٧٩٥، وتوفي ١٨٧٢.

قال في أحد مؤلفاته وهو "الإنسان والحياة" (ص١٣): "إن محمداً يرى أمر الحياة جسيماً، ويرى لكل عمل إنساني - مهما حَقُر - خطارة كبرى فما كان من سَيِّءٍ فله السوء نتيجة أبدية، وما كان صالحاً فله من الصلاح ثمرة سرمدية، وإن المرء قد يسمو بصالحاته لأعلى عليين ويهبط بموبقاته إلىٰ أسفل السافلين.

كل ذلك كان يلتهب في نفس ذلك الرجل القَفْرِّي، كأنما قد نُقِشَ ثَمَّةَ بأحرف النار، وتوجه علىٰ بني قو مه بكلمات النور، وأيُّ ثوب لبثته هذه الحقيقة، وأي قالب صَبَّته فيه، فلا تزال أولى الحقائق مقدّسة في أي أسلوب وأي صورة ".

*** المسيو "جان تورنون كرو" الفرنسي:**

مستشرق فرنسي ولد في بلده "كراي" ١٨٦٧، وتوفي ١٩٢٤، ألف كتاباً أسماه "العرب" وذكر فيه وقائع الحرب العامة، وتحرَّى فيه إلىٰ أقصى درجات التحري.

قال في مقدمته: "إن الله اصطفى محمداً لإرشاد أمته، وعهد إليه هدم ديانتهم الكاذبة، وإنارة أبصارهم بنور الحق، فأخذ من ذلك العهد ينادي باسم الواحد الأحد بحسب ما أُوْحِيَ إليه، وبمقتضى عقيدته الراسخة ".

إلى أن قال: "وقذف في نفس محمد مجموع كتاب ملآن بالأسرار الإلهية، وأُوحِيَ إليه مجموعة حقائق تجتاز مسافة عقله الطبيعي، لذلك الله علم الإنسان بالقلم، علمه ما لم يعلم، هذا هو سر الوحي، وهو سر الكلمة المكتوبة، وكانت الكلمة المكتوبة وحياً إلهياً ".

وقال: (ص٦٥) منه: "وفي نواحي سنة ٦١٠ للمسيح بلغ محمد أشده، فكان لا يقدر أن يَتَصوَّرَ حال قومه بدون أن يتألم، وكان يرى أن أمراً ضرورياً ينقصه وينقص قومه، وكان العرب كلُّ قبيلة منهم عاكفة علىٰ صنمها، وكانوا يقولون بالجن

والأشباح والغيلان، ولكنهم كانوا في غفلة عنها، وكانت هذه الغفلة هي الموت الروحي، وكان قلب محمد قد خلا من كل فكر غير الفكر بالله، وكان قد تجرد من كل قوة غير هذه القوة، وكان ليس في نظره غير واجب الوجود الأحد الصمد".

إلى أن قال: "وأحب محمد في تلك الفترة العزلة، وكان يشعر في خلوته في جبل "حراء" بسرور عميق يتزايد يومًا فيوماً، فكان يقضي هناك الأسابيع وليس معه إلا قليل من الغذاء؛ لأن نفسه كانت تَلْتَذُّ بالصوم والتهجد[١] " إلىٰ آخر ما كتب.

*** المسيو "ديته" فنان الفرنسي:**

مستشرق فرنسي جال في بلاد الشرق عام ١٨٥٧، وقد ولد ١٩٢٣ وتوفي ١٨٧٩، له كتاب "أشعة خاصة بنور الإسلام".

قال فيه (ص٢٩): "إن القرآن الذي جاء به محمد هو دون الكتب المقدسة الأخرى، وهو الكتاب الوحيد الذي يأمر بالرفق والإحسان ".

*** البحَّاثة "كاوا دوفو" الفرنسي:**

ولد عام ١٨٧٢، وتوفي ١٩٣٣، في بلدته "ماريانا" وهو مستشرق عريق بالأدب الفرنسي، وقد اطلع في "تاريخ العرب" فألف كتاباً اسمه "العرب".

جاء في مقدمته: "كان محمد أمياً لا يقرأ ولا يكتب، ولم يكن فيلسوفاً، ولكنه لم يزل يفكر في هذا الأمر إلىٰ أن تكونت في نفسه بطريق الكشف التدريجي المستمر عقيدة كان يراها الكفيلة بالقضاء علىٰ الوثنية[٢]، ومن المعروف عن محمد أنه مع أمته كان أرجح الناس عقلاً وأفضلهم رأياً، دائم البشر، مطيل الصمت، لين الجانب، سهل الخُلُق، يُكْثِرُ الذكر ويُقِلُّ اللغو، يستوي عنده في الحق القريب والبعيد، والقويّ والضعيف، يُحبُّ المساكين، لا يحقر فقيراً لفقره، ولا يهاب ملكاً لملكه، يؤلف أصحابه ولا ينفرهم، ويصابر من جالسه أو قاومه، ولا يحيد عن من صافحه حتى يكون الرجل هو المنصرف، يجلس علىٰ الأرض، ويخصف النعل ورقع الثوب".

---

(١) ما عرف النبي ﷺ التهجد إلا بعد نزول الوحي إليه، وعرف كيفية الصلاة والتهجد.

(٢) إنها النبوة لا الكشف التدريجي.

*** البحاثة "ليون دوني" الفرنسي:**

مستشرق فرنسيٌّ كبير، ولد ١٨٤٥، وتوفي ١٩٠٨.

نقل "محمد فريد وجدي" في كتابه "الإسلام في عصر العلم" (ص٣٦٧) من الجزء الأول: "لقد نقلت "المجلة الروحية" في جزئها الصادر في يوليو سنة ١٩٠٣ من ملخص خطبة خطبها فيلسوف الإسبرتزم، وخطيبها المُفَوَّه "ليون دوني" في غرفة الزراعة بباريس، تكلم الخطيب في أثناء الخطبة عن وظيفة رجال القرائح الكبرى في العالم الإنساني وعلى مكانهم في هداية الخلق وإرشادهم".

ثم قالت المجلة: "المسيو "ليون دوني" استعرض أمام سامعيه كبار الوسطاء بين الملأ الأعلى والناس، وهم الذين خلد لنا التاريخ أسماءهم، وسرد أدلة وحججاً استملاها من الحوادث ومن تفاصيل حياتهم، وذكر من أولئك: "المسيح ومحمداً".

إلى أن قال: "إن كل العاملين العظام علىٰ ترقية النوع الإنساني كان يُوحىٰ إليهم من قبل الأرواح العالية النيِّرة، هذه الخاصية كانت دائماً الممدة للقرائح العالية والمهذِّبة للعالم، والمعلِّمة المرشدة للأمم والشعوب" ا.هـ.

*** الفيلسوف الفرنسي" روجيه جارودي":**

أشهر من أنصف الإسلام في الغرب في القرن العشرين الفيلسوف الفرنسي روجيه جارودي، الذي كان من أكبر المتحمِّسين للشيوعية والفلسفة الماركسية المادية، وأصيب بصدمة بعد ما اكتشف زيف الشيوعية بداية من عام ١٩٥٦ بعد أن كشف الرئيس الروسي "خرشوف" فضائح عهد "ستالين".

وبدأ جارودي - كمفكر - رحلة الشكِّ بحثاً عن اليقين بدراسة الأديان إلىٰ أن توقَّف عند الإسلام لدراسته كدين وحضارة، وقارن بين ما في القرآن من الإشارات العلمية والاكتشافات العلمية الحديثة.

وعَبَّر عن هذه المرحلة من حياته قائلاً: "كلما تعمَّقْت في الدراسة والمقارنة ازددت اقتناعاً بأن الإسلام هو الدين الذي أبحث عنه".

وأعلن "جارودي" إسلامه[1] في شهر رمضان عام ١٩٨٢ وأصبح اسمه "رجاء

(١) انظر "حول إسلام جارودي" جمعي، وكتابي "أعلام وأقزام في ميزان الإسلام".

جارودي" وأصدر كتابه الشهير "وعود الإسلام" فكان ذلك الكتاب بداية حرب شعواء شُنَّت عليه من أكثر من جهة، خاصة أنه قد أعلن في كتابه هذا " أنه لا توجد اليوم أمة تحمل كلمة بأمانة وصدق غير الأمة الإسلامية، ولا يوجد كتاب سماوِيٌّ يمثل كلمة الله بحق - دون تحريف - إلا القرآن، ولا أمل في إنقاذ الغرب إلا بأن يعترف بأنه مدين لحضارات أخرى، ويُغَيِّرَ موقفه المعنِّت من الإسلام لأن الغرب الذي رفض روحانيات الإسلام هو اليوم أحوج ما يكون إليها، ورفض الغرب عقيدة التوحيد وغرق في المادة فانتهى به الأمر إلىٰ خُواء روحي، وتمزق بين الأيديولوجيات، والإسلام ليس كُفراً - كما روج المغرضون القدامى في الحرب الصليبية - وليس إرهاباً كما يصوره المغرضون الجُدُد - إنه الدين العملي الذي يقدم للإنسان نظاماً كاملاً شاملاً لحياة إنسانية بكل احتياجاتها، وليس مجرد عقيدة منعزلة عن دنيا الناس " .

ويركز جارودي علىٰ أن الإسلام هو الدين الذي يعترف بالديانات السماوية، والمبدأ الذي قرره الرسول ﷺ سبق به الدعوة إلىٰ حقوق الإنسان بقرون، وهو «**لا فضل لعربي علىٰ أعجمي ولا لأعجمي علىٰ عربي إلا بالتقوى**» فليس في الإسلام تمييز علىٰ أساس اللون أو الجنس.

وقد تولى "جارودي "في كتابه "دعوة الإسلام " تفنيد الاتهامات التي تُرَدَّدُ في الغرب ضد الإسلام.

ويقول "جارودي" : "إن الغرب غرق في الفردية فلم يَعُدْ للأسرة ولا للصداقة ولا للأخوة الإنسانية وجود، وتَحوَّل الإنسان إلىٰ ذئب أمام أخيه، بينما يُعَلِّمُ الرسول ﷺ المسلمين: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»، و«**المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله، ولا يكذبه**»، و«**كل المسلم علىٰ المسلم حرام دمه وماله وعرضه**»، و «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً**».

هذا هو دستور الإسلام لبناء مجتمع متماسك، يصون حقوق أفراده" .

ويحكي "جارودي" تجربة دخوله في الإسلام منذ بدايتها، فيقول: "بدأت إسلامي بالشهادتين، وهذا ركن الإسلام الأول، وبه يُسْلِمُ الإنسان قلبه لله الواحد الخالق المدبر، الجدير بالعبادة وحده دون شريك . . ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٣] .

"ومحمد ﷺ رسول الله المبعوث من الله للناس كافة . . ووجدت في الصلاة تعبيراً جميلاً عن اتصال الإنسان بالله، وتشعُرُ بعظمة الإسلام حين ترى المسلمين وقد وقفوا في وقت واحد صفوفاً منتظمة متجهين إلىٰ قبلة واحدة، وقبل الصلاة يكون الوضوء، وهو نوع من الطهارة الجسدية، تمهيداً للوقوف بين يدي الله "

ويتحدث عن الزكاة فيقول: "إنها في الإسلام لا تعتبر صدقة . . بل هي حق معلوم للفقراء من أموال الأغنياء، والمال كله لله، في مفهوم الإسلام، فالزكاة وسيلة التكافل والتضامن الاجتماعي في المجتمع الإسلامي، تُزِيل الحقد من نفوس الفقراء، كما تزيل الجشع من نفوس الأغنياء، أما الحج فإنه يجمع المسلمين في وقت واحد ومكان واحد أمام الله بلا تمييز طبقيٍّ، لِيُشْعِرَهم بعظمة دينهم، ويقوي فيهم الإحساس بالترابط، ويؤكد المساواة بين المسلمين أمام الله".

وعن الاقتصاد في الإسلام يقول: "إنه يقوم علىٰ مبادئ مثل: التوازن في توزيع الدخل وتحريم الاحتكار، وجعل الملكية الفردية لصالح الفرد والجماعة، واعتبار السوق وسيلة وليس غاية، وأهم من كل ذلك أن المسلم يجعل الله أمام عينيه في كل ما يقول وكل ما يعمل، ولا يسمح لنفسه بأن يتعدى حدود الله، أما في الغرب فإن الهدف هو السعي إلىٰ المزيد من الربح، والمزيد من الإنتاج، والمزيد من الاستهلاك ".

ويعتبر "جارودي" أن وضع المرأة في الإسلام هو الوضع الأمثل، فقد رفع الظلم عنها، وساوى بينها وبين الرجل في الحقوق والواجبات، وصان المرأة وحافظ علىٰ كرامتها.

ويشير إلىٰ وضع المرأة في الغرب علىٰ مدى العصور ؛ فقد أباح "سقراط" أن يُقرض الزوج زوجته لمن يشاء من أصدقائه، و"أفلاطون" قرر ضرورة شيوع النساء، أي أن تكون كل النساء لكل الرجال . . ولا يكون لرجل امرأة بعينها، والأبناء هم أبناء المجتمع !!

وقد أعطى الإسلام للمرأة حقوقاً لأول مرة، منها حق التملك، وجعل لها نصيباً في الميراث بعد أن كانت هي نفسها ضمن التركة، وأعطاها حق التعلم والعمل، واختيار الزوج وطلب الطلاق، وقرر الإسلام للمرأة حقوقاً بعد الطلاق، منها النفقة وحضانة الصغار.

ويَسْخَرُ "جارودي" من زيادة الأطفال غير الشرعيين في المجتمعات الغربية والتفاخر بحرية العلاقات الجنسية خارج الزواج، ويتساءل: "أيهما أفضل وأكثر حماية للمرأة وللأبناء: تَعَدُّد الزوجات في إطار الشرعية أو تعدد العلاقات غير الشرعية "[١].

ويتكلم "جارودي" عن الأفكار الرائجة في الغرب التي تدفع الشباب إلىٰ الإحباط واليأس، ويشعرون - كما قال فلاسفة الوجودية - بأن الحياة ليست سوى جحيم، وأن الآخرين هم أيضاً جحيم، وأن الإنسان يسير في حياته - بعين مغمضة - نحو هاوية لا بد منها، ومن هؤلاء من حصل علىٰ جائزة نوبل، أو رُشِّح لها، ولهم تلاميذ كثيرون اعتنقوا أفكارهم، ويتجرأ أحدهم إلىٰ حد إعلان موت الله، كما فعل الفيلسوف الألماني "نيتشه" من قبل، وبعضهم يصف الإنسان بأنه مجرد دمية علىٰ مسرح العرائس الذي نسميه الحياة !.

ويقول "جارودي": "كيف أصف هؤلاء المفكرين والكتاب ؟ إنهم سفاحو الثقافة والفكر، بينما عقيدة الإسلام قادرة علىٰ إعطاء الأمل للإنسان، وشحذ عزيمته، وإرشاده إلىٰ طريق الخير والفضيلة، ووعود الإسلام بالحساب في الآخرة ثواباً وعقاباً تكفي لإعطاء أعظم المعاني".

ويدعو "جارودي" مفكري الغرب إلىٰ تَفَهُّم الإسلام، وأن يتعلَّموا كيف يمكنهم الوصول إلىٰ روح الإسلام، وحينئذ سوف تمتلئ نفوسهم بالأمل في الحياة وما بعد الحياة.

وفي نفس الوقت يدعو "جارودي" المسلمين إلىٰ أن يتحرَّكوا ويُجدِّدُوا حياتهم في ظل الإسلام، وألا يستسلموا للجمود ويقعوا في عبادة الماضي، ويستشهد علىٰ ذلك بعبارة بليغة لمفكر فرنسي شهير هو "جورس" الذي قال: "إن إخلاص المرء لأجداده لا يكون بالإبقاء علىٰ رماد المدفأة التي كانوا يستعملونها . . . بل بإذكاء جذوة النار فيها".

وفي محاضرة شهيرة في جامعة الأزهر في مارس ١٩٨٣، بدأ "روجيه جارودي" حديثه بعبارات قاطعة، فقال: "إن الإسلام اليوم هو الدين الذي ما زال في حالة تقدُّم مستمر، وإن كان قد أصاب المسلمين الضعف في القرن الثامن في

(١) "المنصفون للإسلام في الغرب" (ص٢٢١ - ٢٢٥) باختصار .

الأندلس، إلا أن الإسلام ما زال ينتشر في آسيا والهند وأندونيسيا، وفي أماكن أبعد مثل ماليزيا وبورما وتايلاند والصين وكوريا، واليابان، وفي الفترة التي وقف فيها "عبد الناصر" في مواجهة الغرب حدث انحدار للاستعمار في أفريقيا، وتحرر كثير من الدول، وأصبحت القارة الأفريقية بأكملها في سبيلها لأن تكون قارة إسلامية، كما وصلت هذه الموجة أيضاً إلىٰ الولايات المتحدة وآسيا الوسطى . . وهكذا فإن هناك صورة جديدة للإسلام بدأت في الظهور تُكْمِلُ نهضته وتَفتُّحه، حتى في البلاد التي تسودها الضغوط السوفيتية، وعندما تتفجَّرُ هذه الآفاق سيظهر للعالم أن الإسلام حيٌّ يستطيع مواجهة تحديات القرن، كما استجاب في الماضي لمتطلبات عصور مجتمعات عديدة".

وانتشار الإسلام - في رأي جارودي - هو رد فعل لطغيان الغرب، فالغرب يسيطر علىٰ العالم بدون شريك منذ خمسة قرون، وفرض نموذجه الحضاري والثقافي، والنموذج الغربيُّ للتنمية قائم علىٰ نهب الثروات المادية البشرية التي تمتلكها الشعوب الأخرى، مع أن شعوب الغرب تعادل خمس سكان الكرة الأرضية فقط، والغرب ينتج أي شيء بكميات كبيرة، سواء كانت مفيدة أم ضارة أم قاتلة، مثل الأسلحة المدمرة التي تُعَدُّ سوقاً رائجة يعتمد عليها الغرب في تحقيق الرخاء الذي ينعم به حالياً.

وذلك النموذج المخيف للتنمية يكشف طبيعته الانتحارية، ففي عام ١٩٨٢ مثلاً بلغ الإنفاق علىٰ الأسلحة ٦٥٠ مليار دولار، وكأن لكل فرد في العالم ما يوازي أربعة أطنان من المتفجرات التقليدية، وأصبح من الممكن نظرياً تدمير كل أثر للحياة في هذه الأرض، وذلك الاحتمال - وإن كان بعيد الوقوع - إلا أنه يحدُثُ لأول مرة في تاريخ البشرية، أي منذ ثلاثة ملايين سنة علىٰ الأقل ! بينما تشير إحصائيات الأمم المتحدة عن نفس العام (١٩٨٢) إلىٰ أن الذين ماتوا جُوعاً بلغوا ٥٠ مليون إنسان في العالم الثالث، ولا يمكن تخيل صورة أبشع من هذه الصورة التي وصل إليها العالم بعد خمسة قرون من الحضارة والتقدم - كما يقولون في الغرب-.

ويرصد "جارودي" كتابات في الغرب اتجهت إلىٰ إنصاف الإسلام ومحاولة فهمه، ويقول: "إن هذه الكتابات كانت في ألمانيا فقط ؛ لأنها لم تستعمر بلاد المسلمين كما فعلت بريطانيا وفرنسا، وهذا ما جعل المفكر "هيردر" (١٧٤٤ - ١٨٠٣) يعترف بأن العرب هم "أساتذة أوربا" فنجد "فريدريك شليجل" يشيد

بالفنون الشرقية الإسلامية، والشاعر الألماني الكبير "جوته" الذي كتب عام ١٧٧٤ قصيدة في تمجيد محمد ﷺ ودعا في كتابه "الديوان الشرقي" إلىٰ الهجرة إلىٰ الشرق لينهل الغرب منه شباباً جديداً، وقد أُعْجِبَ "جوته" بالشعراء الصوفيين الكبار أمثال ابن الرومي وحافظ الشيرازي، والسعدي، وكان المستشرق "سلفستر دي ساسي" قد ترجم بعض أشعارهم، كما كان "جوته" أول من قال في الغرب: "إذا كان الإسلام يعني التسليم لله فإننا جميعاً نعيش ونموت علىٰ الإسلام".

وأبدى الفيلسوف الألماني "هيجل" تقديره للإسلام ؛ لأن الله الواحد الأحد في الدين الإسلامي يُحَرِّم التمييز العرقي والطائفي، ويُحَرِّم استعلاء طبقة علىٰ أساس الملكية وحدها، ويعود المسلمين الدقة في حياتهم بفروض أهمها الصوم والصلاة والزكاة.

وكان الفيلسوف الألماني "أوزوالد شبلنجر" أكثر جرأة في إنصافه للإسلام في كتابه الشهير "سقوط الغرب" عام ١٩١٧، حيث قال: "لم يكن لغز النجاح الخارق للإسلام بسبب اندفاعه الحربي، ولكن لأنه استوعب كل الديانات".

أين هذا من نظرة الاستعلاء والصَّلفَ عند الصليبيِّ "لورانس العرب" - ورجل المخابرات البريطانية - الذي يقول في كتابه "أعمدة الحكمة السبعة": "إن جميع ولايات الإمبراطورية العثمانية لم تكن تساوي - في نظري - حياة إنسان بريطاني واحد ؟!!".

ويعارض "جارودي" التيار الغربي الذي يتهم الإسلام بأنه دين ينتمي إلىٰ الماضي، فيقول: "إن الإسلام قوة روحية عظيمة للإصلاح والتقدم في المستقبل كما كان دائمًا".

ولما دوَّى صوت "جارودي" في الغرب دفاعاً عن الإسلام تحمل بسبب ذلك الكثير من الاضطهاد والمطاردة علىٰ حدِّ محاكمته والتهديد بسجنه.

*** الدكتور "جرينيه":**

قال الرحالة السيد محمود سالم في مقال له نُشِرَ في مجلة المنار، مجلد ١٤ (ص ٥١٨): قصدت في سياحاتي مدينة "بونتارليه" لمقابلة الدكتور "جرينيه" المسلم الفرنساوي الشهير، الذي كان في السابق عضواً في مجلس النواب، قابلته لأجل أن أسأله عن سبب إسلامه، فقال: "إني تتبعت كل الآيات القرآنية التي لها

ارتباط بالعلوم الطبية والصحية والطبيعية، والتي درستها من صغري وأعلمها جَيِّداً، فوجدت هذه الآيات منطبقة كل الانطباق علىٰ معارفنا الحديثة، فأسلمت لأني تَيَقَّنت أن محمداً ﷺ أتى بالحق من قبل ألف سنة، من قبل أن يكون معلم أو مدرس من البشر، ولو أن كل صاحب فن من الفنون أو علم من العلوم قارن كل الآيات القرآنية المرتبطة بما تَعَلَّمَ جَيِّدًا كما قارنت أنا لأسلم بلا شك . . إن كان عاقلاً خالياً من الأمراض"[1].

ومن أمريكا

*** الدكتور "ليتنز" الأمريكي:**

قال في موضوع له في مجلة "المقتطف" - المجلد الخامس - الجزء ٤، عرَّبه الأستاذ "وليم باسيلا" المصري: "إن محمداً نبي، وقد أوحى الله إليه، ومرة أوحى إليه وحياً شديد المؤاخذة ؛ لأنه أدار وجهه عن رجل فقير أعمى، ليخاطب رجلاً غنياً من ذوي النفوذ، وقد نشر ذلك الوحي، فلو كان كما يقول أغبياء النصارى بحقه لما كان لذلك الوحي من وجود، ولتركته العصور التي مرَّت عليه أنقاضاً".

*** "أندرا وليامس" الأمريكي:**

مستشرق أمريكي، قال في كتابه "أمريكي في البلاد العربية". تعريب عمر أبو النصر: "قد يكون اسم "محمد" أكثر الأسماء شيوعاً في العالم، وأشهر من حمل هذا الاسم علىٰ الإطلاق عربي أبصر النور في قرية نائية من أرض الجزيرة العربية - وهي مكة - عام (٥٧١) للميلاد، إليه أوحى الله كلمته فأجراها في كتاب، ونشرها بين الناس، ودعا أصحابه للإيمان بالإله الواحد رباً، وبمحمد بن عبد الله رسولاً، وبالعمل الصالح والنهي عن المنكر قبلة ومصلى، وآذنت حياته بمغيب في الثالثة والثلاثين بعد الستمئة من الميلاد، تاركًا لقومه ديناً جديداً وكتاباً مُنَزَّلاً، ورسالة ضخمة لنشر الدين وإقامة الحضارة، ولقد دعا محمد في عهده إلىٰ أخوية جديدة، أخوية المسلم لأخيه المسلم، لا فرق بين أول وآخر، سواء أكان أميراً أم عبداً إلا بالعمل الصالح والخير والإحسان، ثم أرسل قومه بعد هذا لغزو العالم وتوحيد الأرض في صعيد واحد، فإذا تقطعت سنوات بعد وفاته، نجد الإسلام ينتقل من نصر إلىٰ نصر، ومن فتح إلىٰ فتح، وإذا هو يضم العالم المعروف في عهده إلىٰ سلطانه، وإذا به يجمع بين الشرق والغرب".

(١) "أوربا والإسلام" للشيخ د. عبد الحليم محمود (ص٨٧ - ٨٨).

*** العلامة "واشنطن إرونك" الأمريكي:**

قال في محاضرة ألقاها في حفل ميلاد الرسول ﷺ في "ديترويت" سنة ١٩٣٤ - نقلاً عن "مجلة الرفيق" المجلد الثالث، العدد الرابع: "لم يكن محمد محباً للدنيا محباً للدنيا قط، وقد لقي من الاستهزاء من قومه والإهانات حتى اضطر إلىٰ الهرب، ولم يكن في نظره إلا تقويم دينه، وكانت له آراء عالية، واعتقاد حسن بربه، ويقين بشريعته فوق يقين أي رسول من الرسل، ويدلنا علىٰ ذلك قوله: **«لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري علىٰ أن أترك هذا الأمر ما تركته»**[1] ".

*** "هارون ماركوس" الأمريكي:**

ولد عام ١٨١٢، وتوفي ١٨٨٧، دكتور بالفلسفة.

قال في كتابه "حياة محمد نبي المسلمين": "تعالوا إلىٰ كلمة سو اء بيننا، ننصف بها الإسلام الحنيف، ونبيه العظيم محمداً ولنجعل موضوعنا اليوم "الحكومة الإسلامية في صدر الإسلام" " ولنستعرض تنظيماتها في عهد سيِّدها وزعيمها وقائدها - ذلك الرسول الكريم - لنبيِّن أن الصحابة والخلفاء وقادة الإسلام كانوا يقومون بواجباتهم بكل أمانة ودقة وفقاً للشريعة الغراء التي جاء بها محمد، لم يكن في فجر الإسلام شِيَعٌ ولا أحزاب، بل علىٰ العكس من ذلك، كانت الحكومة الإسلامية تمثل جميع المسلمين تمثيلاً صحيحاً، وهي عبارة عن هيئة منظمة مشتركة، تنطق بحق بلسان كافة المسلمين، كل مسلم يَشُدُّ إزر أخيه المسلم، ويشعر بأن من الحق والواجب عليه أن يَتَوَجَّع لوجعه، وكان عدل محمد منتشراً بين المسلمين".

لإلى أن قال: "فقد كان محمد زعيمًا وقائداً سياسياً بما في أسمى معاني الزعامة السياسية من معنى وسيادة، هذه كانت تتجلى في أروع المظاهر التي عرفها بنو الإنسان، وخليق بي - وأنا في صدد الكلام عن الزعامة السياسية - أن أدحض فرية وأرد بهتاناً لا يزالان عالقين في أذهان قاصري العقول، الذين لا يملكون ذرة من حصافة الرأي، وتلك الفرية وذلك البهتان هما ما يُردِّده أولئك الأغبياء الذين يزعمون أن لا علاقة بين الدين والسياسة، وأن لا رابطة تربط أحدهما بالآخر !! إن من الخطأ أن يظن ظانٌّ هذا".

---

(١) هذا لفظ ضعيف.

*** "جورج دي تولدز" الأمريكي:**

ولد في "شيكاغو" ١٨١٥، وتوفي ١٨٩٧، كان رئيس بنكها التجاري، وله مؤلفات عديدة استعرض فيها عادات العرب، ومنها كتاب "الحياة" قال فيه: "إن من الظلم الفادح أن نغمط حق محمد - والعرب علىٰ ما علمناهم من التَّوَحُّش قبل بعثته - ثم كيف تبدلت الحالة بعد إعلان نُبُوَّتِه، وما أورثته الديانة الإسلامية من النور في قلوب الملايين من الذين اعتنقوها بكل شوق وإعجاب من الفضائل، لذا فإن الشك في بعثة محمد إنما هو شك في القدرة الإلهية التي تشتمل الكائنات جمعاء".

المؤرخ الكبير المستر "أورينج" الأمريكي:

قال في أول كتابه "الحياة والإسلام": "كان النبي الأخير بسيطًا خَلُوقًا، ومفكراً عظيمًا، ذا آراء عالية، وإن أحاديثه القصيرة جميلة ذات معان كبيرة، فهو إذاً مُقَدسٌ كريم".

*** المستر "ستنلي بول" الأمريكي:**

ولد في بلدته "لاكاسا" ١٨٨٠.

قال في كتابه "أقول محمد": كان محمد رؤوفاً شفيقاً يعود المريض، ويزور الفقير، ويجيب دعوات العبيد الأرقاء، وقد كان يُصْلِحُ ثيابه بيده، فهو إذاً لا شك نبي مقدس، نشأ كيتيم مُعوز حتى صار فاتحاً عظيماً.

*** العلامة "ماكس" الأمريكي:**

مستشرق، ولد في "غرونلندا ١٧٩٥، وتوفي ١٨٦٨، وله مؤلفات قصصية، وكتاب "عظماء الشرق".

قال فيه (ص٩٣): "لقد نفذت روح الإسلام من محمد رسول الله إلىٰ المسلمين، إلىٰ الهداة والصالحين، وإن هذه الروح القوية حدت بالنبي إلىٰ الهجرة من مكة إلىٰ المدينة، بينما كان أعداؤه من المشركين يَجِدُّون في البحث عنه ليؤذوه، بل ليذيقوه ريب المنون، ومن الغريب أن أعداء النبي لم يقنعوا أنفسهم بترك مكة، بل تعقبوه في هجرته، وهناك ضربوا علىٰ نُزله سياجًا من الحيطة لأجل القبض عليه، ولكن روح الإسلام الدفينة في أعماق الهمة، ألهمته أن يتناول قبضة من تراب فتناولها ورمى بها عليهم، فأخذتهم سنة من النوم، تمكن خلالها النبي من النجاة منهم في

الصحراء حيث اختفى في غار هناك، ولا تقل إن اختفاءه في الغار يحول دون هلاكه وحتفه، ولكن الإسلام وما في ثناياه من روحانية وقوة، جعل الحمام يبيض علىٰ باب الغار[١]، ولما أفاق أعداؤه من غشيانهم تتبعوا أثره إلىٰ الغار، وأخذتهم هواجس الظن لعلمهم بأن النبي لا يمكن بأي حال أن يكون في الغار، فمن يُرِدْ أن يؤمن بوحدانية الله فعليه أن يشاهد بسهولة يد الله المحركة للكائنات من غير أن تبصرها العين المجردة، وبخاصة عندما أحيطت حياة النبي من يد العدوان برعاية الطير الذي اندفع إلىٰ حماية محمد بيد الإله الخافية عن الأبصار".

*** المستر "سنكس" الأمريكي:**

مستشرق أمريكي، ولد في بلدته "بالاي" عام ١٨٣١، وتوفي ١٨٨٣، له كتاب "ديانة العرب".

قال في مقدمته: "ظهر محمد بعد المسيح بخمسمائة وسبعين سنة، وكانت وظيفته ترقية عقول البشر، بإشرابها الأصول الأولية للأخلاق الفاضلة وبإرجاعها إلىٰ الاعتقاد بإله واحد، بحياة بعد هذه الحياة".

إلى أن قال: "إن الفكرة الدينية الإسلامية أحدثت رقياً كبيراً جداً في العالم، وخَلَّصَت العقل الإنساني من قيوده الثقيلة التي كانت تأسِرُهُ حول الهياكل بين يدي الكُهَّان، ولقد توصَّل محمد بمحوه كل صورة في المعابد وإبطاله كل تمثيل لذات الخاق المطلق إلىٰ تخليص الفكر الإنساني من عقيدة التجسيد الغليظة".

*** الدكتور "بيرودج" الأمريكي:**

رئيس الجامعة الأمريكية في لبنان، وقد احتفل شباب الجامعة المسلمون بعيد ميلاد محمد ﷺ عام ١٩٢٣ قال فيها - نقلاً عن مجلة "العرفان" المجلد الثالث والثلاثين، العدد السابع: "إنكم تجتمعون اليوم - محتفلين بمولد مصلح عظيم، ألا وهو النبي محمد، فهل لكم أن تَتَشرَّبُوا من روح الإصلاح الذي يحمله محمد، فتخرجوا لإصلاح مجتمع مِلْؤُهُ الجهل والاضطراب ؟!!".

*** المؤرخ "إريك بنتام" الأمريكي:**

مُبَشِّر مسيحي، أنفق فترة طويلة من أعمال التبشير في الشرق الأوسط، له كتاب "الوصول إلىٰ الإسلام" وقد حاول فيه أن يَرُدَّ بطريقة غير مباشرة المصاعب التي

---

(١) الحديث الوارد في قصة العنكبوت والحمامتين لا يصح.

تُوَاجِهُهَا بعثات التبشير في عالم الإسلام، وحاول المؤلف فيه أيضاً أن يشرح لقرائه كيف أن الإسلام وتعاليم الرسول الكريم محمد ﷺ قد تأصَّلت في نفوس المسلمين، وخلقت فيهم مناعة ضد قبول المذاهب الدينية المسيحية التي تَوَلَّى صاحبنا المؤلف الدعوة إليها في أوساط المسلمين.

ولقد قال - بعد بيان مُسْهَب في الموضوع السابق -: "إن الخلاف الجوهري بين الإسلام والمسيحية يعود إلى ان الإسلام لا يرضى بأن يُشْرِكَ مع ربه أحداً، فنظرية الثالوث المقدس التي يستند إليها دعاة المسيحية بين الإسلام لا تجد صدى بين الجماعات الإسلامية مهما كانت عليه هذه الجماعات من جهل أو معرفة".

ثم قال: "هذا الاعتقاد بين المسلمين من أهم الأمور التي سَبَّبت فشل الدعوة المسيحية في العالم الإسلامي".

ثم استعرض موجز العقيدة الإسلامية، وأثنى على صاحبها محمد ﷺ بما لم يسبق إليه أحد.

ومن سويسرا

*** الدكتور "بندلي جوزي" السويسري:**

ولد في بلدته "لوزان"(١٨٠٣م) وتوفي في (١٨٨٣).

قال في كتابه "الجاهلية والإسلام" (ص٢٣): «إننا لو بحثنا عَمّا تَمَّ على يد النبي الأمي محمد من الإصلاح، لما استطعنا أن ننكر أنه قام بأكثر وعوده، وحقق قسماً كبيراً من أمانيه، ولو قُدِّرَ له أن يعيش أكثر مما عاش لكان الإصلاح الذي أدخله على حياة الأمة العربية أتم وأوسع، ومع ذلك فإن عمله الذي عمله في هذه السنين القلائل التي قضاها في المدينة بين الحروب والمنافسات الشخصية، والدسائس والحروب، والمكر والنفاق لهو شيء عظيم لا يُنكِره إلا مكابر عنيد، أو متعصب أعمى».

*** المستر "هربرت وايل" السويسري:**

قال في كتابه "المعلم الأكبر": "ظهر محمد فأزال كل الأوهام، وحرم عبادة الأصنام، فهو الذي أرشد أهل الضلال إلى الصراط المستقيم، ورفع عن كاهل العرب كابوس الجاهلية، وأخرجهم إلى حيز الرقي من الجهل المسيطر".

*** المسيو "حنا دا كنبرت" السويسري:**

ولد في بلدته "لاون" التابعة لمدينة "لوزان" ١٨٣٦، وتوفي ١٩١٢.

قال في كتابه "محمد والإسلام": "كلما ازداد الباحث تنقيباً في الحقائق التاريخية الوثيقة المصادر فيما يخص الشمائل المحمدية ازداد احتقاراً لأعداء محمد - مثل ماركس، وبريدر وشلجل وغيرهم - الذين أشرعوا أَسِنَّة الطعن في محمد قبل أن يعرفوه، ونسبوا إليه ما لا يجوز ان ينسب علىٰ رجل حقير فضلاً عن رجل كمحمد الذي يحدثنا التاريخ عنه أنه رجل عظيم".

*** المسيو "ميسمر" السويسري:**

ولد في جنيف ١٨٢٧، وتوفي في ١٨٩٨ . قال في كتابه "الإسلام في الشرق": "لقد نجح صاحب الشريعة الإسلامية " . . إلىٰ أن قال: "وعند الفلاسفة المحققين أن الرجال أولي العظمة الذين تبقى أعمالهم علىٰ مدى الدهر، هم من أهل النباهة الكبرى، الذين يجيئون لإصلاح العالم، وشفاء عصرهم من مرضه، وما فعله محمد هو أنه لما رأى ضلال الناس في معرفة الخليقة، وعزم علىٰ إرشادها وتطبيق قوانين الطبيعة علىٰ أمور العالم بقدر ما كان معروفاً في ذلك الوقت، ولذلك أعلن الوحدة الإلهية، بدلاً من الخرافات التي مقتضاها تثليث إله وجعله مركباً من الأب والابن وروح القدس فالوحدانية هي أساس دين الإسلام، وسبب نصرة محمد ".

*** المسيو "سيدللو" السويسري:**

ولد في "كونتاي" ١٨٨٧.

قال في كتابه "تاريخ العرب" - الطبعة الثانية عام ١٨٧٧ الجزء الأول (ص٥٨)-: "ولما بلغ محمد من العمر خمساً وعشرين سنة، استحق بحسن سيرته واستقامته مع الناس أن يُلَقَّب بـ "الأمين" ثم استمر علىٰ هذه الصفات الحميدة حتى نادى بالرسالة ودعا قومه إليها، فعارضوه أشد معارضة، لكن سرعان ما لبَّوْا دعوته وناصروه، وما زال في قومه يعطف علىٰ الصغير ويحنو علىٰ الكبير، ويُفِيضُ عليهم من علمه وأخلاقه ".

*** "ر. ف. بودلي" السويسري:**

قال في كتابه «حياة محمد» – المترجم إلىٰ العربية - تعريب محمد فرج وعبد الحميد جودة (ص٦): "إننا لا نجد ما دَوَّنه معاصرو موسى أو كونفوشيوس أو

بوذا، ولا نعرف إلا شذرات عن حياة المسيح بعد رسالته، ولا نعرف شيئاً عن الثلاثين سنة التي مهدت الطريق للسنوات الثلاثة التي بلغ بها أوجه، ولكننا نجد أن قصة محمد واضحة كل الوضوح، ففي سيرة محمد نجد التاريخ بدَّل الظلال والغموض، و نعرف الشيء الكثير عن محمد، كما نعرف ذلك عن رجال عاشوا في أزمان أكثر قرباً من زماننا، وما كان تاريخه الخارجي وشبابه وأقرباؤه، وعاداته خرافة من الخرافات، ولا شائعة من الشائعات، وما كان تاريخه برواية مُبْهَمَة لمبشر غامض أو مشوش، فبين أيدينا الآن كتاب معاصر - وهو القرآن - فريد في أصالته وسلامته".

*** العلامة "ماكس فان برشم" السويسري:**

مستشرق ولد في "لوزان" ١٨٦٣، وتوفي ١٩٢١م . جال في بلاد الشرق، له عدة مؤلفات منها: "العرب في آسيا" ومنها "الإنسان" ومنها "مجموع الكتابات العربية القديمة" وهوعلى جانب عظيم من الأهمية لمعرفة تاريخ الشرق العربي السياسي والثقافي.

قال في مقدمة "العرب في آسيا": "إن محمداً نبي العرب من أكبر مريدي الخير للإنسانية، إن ظهور محمد للعالم أجمع إنما هو أثر عقل عالٍ، وإن افتخرت آسيا بأبنائها فيحق لها أن تفتخر بهذا الرجل العظيم، إن من الظلم الفادح أن نغمط حق محمد الذي جاء من بلاد العرب وإليهم وهم علىٰ ما علمناه من الحقد البغيض قبل بعثته، ثم كيف تَبدَّلت أحوالهم الأخلاقية والاجتماعية والدينية بعد إعلانه النبوة، وبالجملة مهما ازداد المرء اطلاعاً علىٰ سيرته ودعوته إلىٰ كل من يرفع من مستوى الإنسان إنه لا يجوز أن ينسب إلىٰ محمد ما يُنْقِصُهُ ويدرك أسباب إعجاب الملايين بهذا الرجل، ويعلم سبب محبتهم إياه وتعظيمهم له".

*** العلامة "فونالبس" السويسري:**

مستشرق سويسري ولد عام ١٧٩٣، وتوفي ١٨٦١، من أدباء القرن التاسع عشر، له عدة مقالات، نقل بعضها عنه كتاب "مجالي الغرر لكتاب القرن التاسع عشر" لجامعه "يوسف صفير".

وقد قال في إحدى مقالاته: "أليس الإيمان هو المعجزة الحقة الدالة علىٰ الله ؟

فشعور محمد إذا اشتعلت بلهيب هذه الحقيقة الساطعة بأن الحقيقة المذكورة هي أهم ما يجب علىٰ الناس علمه لم يكن إلا أمراً بديهياً".

إلى أن قال: "فحبذا محمد من رجل خشن اللباس، خشن الطعام، مجتهد في الليل، قائم النهار، ساهر الليل، دئب في نشر دين الله، غير طامح إلىٰ ما يطمح إليه أصاغر الرجال من رتبة أو دولة أو سلطان، غير متطلع إلىٰ ذكر أو شهرة كيفما كانت، وإلا فما كان ملاقياً من أولئك العرب الغلاظ توقيراً واحترامًا وإكباراً وإعظامًا، وما كان يقودهم ويعاشرهم معظم أوقاتهم مدة ثلاث وعشرين سنة، وهُم ملتفُّون به، يقاتلون بين يديه، ويجاهدون حوله، لقد كان في هؤلاء العرب جاء وغِلْظَة وبادرة وعجرفة، وكانوا حُمَاةَ الأنوف، أُبَاة الضَّيْم، صِعَاب الشكيمة، حتى قدر علىٰ رياضتهم، وتذليل جانبهم، حتى رضخوا له، فذلكم - وايم الحق - بطل كبير، ولولا ما أبصروا فيه من آيات النبل والفضل لما خضعوا له، ولما أذعنوا، كيف وقد كانوا أطوع إليه من بناته؟! وظني أنه لو أتيح لهم بدل محمد قيصر من القياصرة بتاجه وصولجانه لما كان مصيباً من طاعتهم مثل ما ناله محمد في ثوبه المرقع بيده، فكذلك تكون العظمة، وهكذا تكون الأبطال".

ثم قال: "إن ما اتصف به محمد من محامد الصفات يُرينا فيه أخا الإنسانية الرحيم، أخانا جميعاً، وإني لأحب محمداً لبراءة طبعه من الرياء والتصنع، ولقد كان ابن القِفَار لا يقول إلا علىٰ نفسه، ولا يَدَّعِي ما ليس فيه، ولم يكن متكبراً، ولم يكن ذليلاً ضرعاً، فهو قائم في ثوبه المرقع كما أوجده الله وكما أراد، يخاطب بقوله الحُرِّ المبين قياصرة الروم وأكاسرة الفرس، ويرشدهم إلىٰ ما يجب عليهم لهذه الحياة وللحياة الآخرة".

ومن سويسرا أيضاً:

*** "إدوار مونته" السويسري:**

مدير جامعة "جنيف"، ولد ١٨١٠، وتوفي ١٨٨٢.

قال في كتابه "المدنية الشرقية" (ص٤٧): "كان محمد نبياً بالمعنى الذي كان يعرفه العِبْرَانِيُّون القدماء، ولقد كان يدافع عن عقيدة خالصة لا صلة لها بالوثنية، فأخذ يسعى لانتشال قومه من ديانة جافة لا اعتبار لها بالمرة، ليخرجهم من حالة الأخلاق المنحطة كل الانحطاط، ولا يمكن أن يُشَكَّ لا في إخلاصه، ولا في الحمية الدينية التي كان قلبه مفعماً بها".

ومن كندا

*** المستر "جيبون" الكندي:**

المعاصر لأوائل القرن التاسع عشر، وقد ولد عام ١٧٧٣ وتوفي عام ١٨٢٧ في بلدته "كيبيك" ألف كتاباً أسماه "محمد في الشرق".

قال فيه (ص١٧): "إن دين محمد خال من الشكوك والظنون، والقرآن أكبر دليل علىٰ وحدانية الله، بعد أن نهى محمد عن عبادة الأصنام والكواكب، وبالجملة دين محمد أكبر من أن تدرك عقولنا الحالية أسراره، ومن يتهم محمداً أو دينه فإنما ذلك من سوء التدبر، أو بدافع العصبية، وخير ما في الإنسان أن يكون معتدلاً في آرائه، ومستقيمًا في تصرفاته".

*** المستر "داور أرلوهات" الكندي:**

ولد في "كيبيك" عام ١٨٤٣، وتوفي عام ١٩٠٤، له كتاب "الإسلام والعرب" نُقِلَ إلىٰ اللغتين الفرنسية والعربية.

قال فيه: "إن محمداً الذي هُدِمَتْ لبعثته الأصنام، وتمزق لنبوته رداء الجهل الذي كان كغشاوة علىٰ أبصار العرب قد أشرق قرآنه بصقعهم نوراً ياله من نور!، وهو نور حكمة، وهو الذي أنزله علىٰ صدر نبيه المبعوث لا محالة لإرشاد البشر، والله يعلم حيث يجعل رسالته".

*** الدكتور "زويمر" الكندي:**

مستشرق كندي ولد عام ١٨١٣، وتوفي عام ١٩٠٠.

قال في كتابه "الشرق وعاداته" (ص٢٧): "إن محمداً كان - ولا شك - من أعظم القُوَّاد المسلمين الدينيين، ويصدق عليه القول أيضاً: إنه كان مصلحًا قديراً، وبليغاً فصيحاً، وجريئاً مغواراً، ومفكراً عظيماً، ولا يجوز أن تنسب إليه ما ينافي هذه الصفات، وهذا قرآنه الذي جاء به وتاريخه يشهدان بصحة هذا الادعاء".

ومن أسبانيا

*** العلامة "ليبيار" الأسباني:**

ولد ١٨٣٧، وتوفي ١٩٠٢، له عدة مؤلفات منها "الحياة والشرق".

قال فيه: "كان محمد - صاحب الرسالة الإسلامية - يجعل الحكم شورى بينه و بين أصحابه، وقد جرى العلماء المسلمين علىٰ هذا النهج، وهم أقطاب الدين وزادة الشرع، وما برحوا هكذا يتشاورون حتى اليوم".

*** الدكتور "تورتو كرو" الأسباني:**

مستشرق أسباني، ولد في "أشبيلية" ١٨١٠، وتوفي عام ١٨٧٥.

قال في إحدى محاضراته - كما نقلت عنه مجلة "الهلال" العدد العاشر من المجلد الثالث: "إن محمداً لم يعتمد في نبوته علىٰ المعجزات، وكانوا يقولون له "إن كنت نبياً فاعمل لنا من خوارق العادات ما هو كذا وكذا" فكان يجيبهم: "إن رسلاً كثيرين جاؤوا بالمعجزات وكذبهم البشر، وأنا مهما جئتكم بالمعجزات فلن تؤمنوا ما دامت قلوبكم قاسية، وما معجزتي إلا القرآن".

إلى أن قال: "ولما كان لكل نبيٍّ معجزة كانت معجزتي القرآن"[١].

*** العلامة "جولد تسيهر" الأسباني:**

مستشرق أسباني، ولد عام ١٨٣٦، وتوفي ١٩٠٣، ومؤرخ معروف، له القِدْحَ المُعَلَّى في الكيد للإسلام ولرسوله ﷺ وسنته، له عدة مؤلفات، منها "العقيدة والشريعة في الإسلام" ترجمة علماء الأزهر.

قال في كتابه المذكور (ص٥، ٦): "يمكننا أن نلقي نظرة عامة شاملة في الأثر التاريخي الذي قامت به الدعوة إلىٰ الإسلام، خاصة أثرها في الدائرة القريبة التي كان تبشير محمد موجها إليها بطريق مباشر قبل غيرها، حقاً لا جِدَّة ولا طرافة في هذه الدعوة، ولكن قد استُعِيضَ عنها بأن محمداً قد بشر بمذهبه للمرة الأولى، بحماس لم يَفْتُر ولم تُعْوِزْهُ المثابرة، وبعقيدة ثابتة بأن هذا المذهب يحقق صالح الجماعة الخاصة، وقد كان في ذلك كله مظهراً إنكار الذات برغم سخرية الجمهور ؛ إذ الحق أن محمداً كان بلا شك أول مُصلح حقيقيٍّ في الشعب العربي من الوجهة التاريخية، تلك كانت طرافته رغم قِلَّة المادة[٢] التي كان يُبَشِّرُ بها".

---

(١) ما قال هذا رسول الله ﷺ بل معجزاته كثيرة ، وسنفرد لها مجلداً كبيراً خاصاً بها .

(٢) هذا والله هو العمى . . فدين محمد ﷺ ثرٌّ غزير شامل للدنيا والآخرة .

*** المؤرخ الكبير الدكتور "ريتين" الأسباني:**

مستشرق أسباني له مقالات قيمة في أحوال العرب، وتاريخ خاص لسوريا ولبنان.

قال فيه: "دين محمد قد أكد إذاً من الساعة الأولى لظهوره - وفي حياة النبي - أنه عام، فإذا كان صالحاً لكل جنس كان صالحًا بالضرورة لكل عقل ولكل درجة من درجات الحرارة".

ثم قال: "إليك يا محمد - وأنا الخادم الحقير - أقدم إجلالي بخضوع وتكريم، إليك أطأطئ رأسي، إنك لنبي حق من الله، قوتك العظيمة كانت مستمدة من عالم الغيب الأزلي الأبدي".

*** المستر "أريك بتنام" الأسباني:**

مستشرق أسباني، ولد في غرناطة سنة ١٨١٥، وتوفي ١٨٨٧، له كتاب أسماه "الحياة".

قال فيه: "إن الإسلام وتعاليم الرسول الكريم محمد قد تأصلت في نفوس المسلمين، وخلقت فيهم مناعة ضد قبول المذاهب الدينية المسيحية".

وقال: "إن الخلاف الجوهري بين الإسلام والمسيحية يعود إلىٰ أن الإسلام لا يرضى أن يشرك مع ربه أحداً، وإن دين الإسلام هو دين الوداعة والوفاق والصدق والأمانة، وكل ما جاء به لا تنكره الأذواق السليمة، والعقول الناضجة، لذلك فإننا لو أنصفنا أنفسنا لوحدنا صفوفنا مع المسلمين، ولنبذنا ما بنا من عصبية عمياء، خلقها لنا ذوو الأطماع وسنها لنا من دفعت به شهواته، وفي النفس ما فيها من التأثر البالغ من تلكم الفوارق التي أثبتها الدين المسيحي، ومنعها الشرع الإسلامي، وأرى أن غض النظر عن التصريح والضرب صفحاً عن المكاشفة أولى وأليق".

*** المستر "ألبيليرإنكولوبيديا" الأسباني:**

ولد في بلدته "جاكاي" ١٨١٠، وتوفي ١٨٧٢.

قال في (ج٨/ ٣٢٦) من كتابه "المعارف": "إن لغة القرآن هي أفصح لغات العرب، وأساليبه وبلاغته تسحر الألباب بحسنها، و سيبقى غير مُعَارَض إلىٰ الأبد، ومواعظه ظاهرة، وكل من يتبعها يحيا حياة طيبة، وأخيراً أقول: إن القرآن يقول:

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤] ، ويقول: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

فعلى هذا يلزم علىٰ كل فرد من البشر أن يستغفر لذنبه ويعمل صالحاً كي يتأهب لدخول الجنة، كل هذا جاء به محمد نبي العرب، ولا يسعنا إلا أن نحترمه ونحترم ما جاء به، لما فيه من خير عميم ".

*** المستر "جان ليك" الأسباني:**

مستشرق أسباني، ولد في بلدة "ملعة" عام ١٨٢٢، وتوفي ١٨٩٧، كان شغوفاً بالكتابة واستطلاع التاريخ العربي، ألف كتاباً اسمه "العرب".

قال فيه (ص٤٣): "ما أجمل ما قاله المعلم العظيم "محمد" ﷺ: «**الخلق كلهم عيال الله، وأحب الخلق إلىٰ الله أنفعهم لعياله**»[(١)]"!

ثم أطال في الثناء علىٰ الرسول قائلاً: "أليس من المعجزات الباهرات أن محمداً بالقوة الأدبية، وبلفظ واحد جعل الصادقين من أتباعه في حرز حريز من شر المسكرات جيلاً بعد جيل! فسلم من هذا الشر مئات الملايين من البشر! حياة محمد التاريخية لا يمكن أن توصف بأحسن مما وصفها الله نفسه بألفاظ قليلة، بين فيها سبب بعثة النبي محمد: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧] كان محمد رحمة حقيقية لليتامى والفقراء وابن السبيل والمنكوبين والضعفاء، والعمال وأصحاب الكد والعناء، وإني بلهفة وشوق أصلي عليه وعلى أتباعه".

*** العلامة "سان إليار" الأسباني:**

قال في كتابه "تعليم اللغة العربية" نقلاً عن كتاب "أشعة خاصة بنور الإسلام" للعلامة "ألفونس إتيين دينيه" الفرنسي: "إن أوضح مبادئ الحرية الفطرية قد كُسِفَتْ أمثال "لوثير وكالفين" وعاد الفضل فيها إلىٰ رجل عربي من رجال القرن السابع، ذلك هو صاحب شريعة الإسلام".

---

(١) **ضعيف جداً**: رواه أبو يعلى والبزار عن أنس . . والطبراني عن ابن مسعود ، وضعفه الألباني في "ضعيف الجامع" (٢٩٤٦) و(الضعيفة) (١٩٠٠) .

ومن روسيا

مر بنا من قبل قول الأديب الروسي الكبير "تولستوي".

* **"ماكس ماير هوف" الروسي:**

ولد في مدينة "ساراتوف" ١٨١٥، وتوفى عام ١٨٨٧.

قال في كتابه "العالم الإسلامي": "إن محمداً عام ٦١٠ للميلاد كان كثير التفكير والانفراد، وكان يقصد إلىٰ البادية ويخلو بنفسه في جبل "حراء" قرب مكة فرأى ذات يوم رؤيا، هي أن الملك "جبريل" تجلى له وناوله كتاباً[1] وقرأ عليه هذه الآيات هي السورة السادسة والتسعون من القرآن ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ [العلق: ١] إلخ، نزل عليه هذا الكلام وحياً فأخبر امرأته بما وقع، ثم جاء وحي آخر فيما بعد، فلما شعر تغطى بثوب فسمع هذه الكلمات ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣﴾ [المدثر: ١ - ٣] ومنذ ذلك الوقت اقتنع بأن الله اختاره مبشراً بعقيدة جديدة، وتسمى بـ "رسول الله" ليدعو إلىٰ الله بلسان عربي مبين".

* **"آرلونوف" الروسي:**

لقد جاء في مجلة "الثقافة" الروسية، المجلد السابع عدد ٩ - تحت عنوان «النبي محمد» - لكاتب اسمه "آرلونوف" تصدر في مدينة "اركنجل": "في شبه جزيرة العرب المجاورة لفلسطين ظهرت ديانة أساسها الاعتراف بوحدانية الله، وهذه الديانة تعرف بالمحمدية، أو كما يسميها أتباعها الإسلام، وقد انتشرت هذه الديانة انتشاراً سريعاً ومؤسس هذه الديانة هو العربي محمد، وقد قضى علىٰ عادات قومه الدينية، ووحد قبائل العرب، وأنار أفكارهم وأبصارهم بمعرفة الإله الواحد، وهَذَّب أخلاقهم، ولَينِّ طباعهم وقلوبهم، وجعلها مستعدة للرقي والتقدم، ومنعهم من سفك الدماء ووأد البنات، وهذه الأعمال العظيمة التي قام بها محمد تدل علىٰ أنه من المصلحين العظام، وعلى أن في نفسه قوة فوق قوة البشر، وكان ذا فكر نير وبصيرة وقادة، واشتهر بدماثة الأخلاق ولِينِ العريكة، والتواضع وحسن المعاملة مع الناس، قضى محمد أربعين سنة مع الناس، قضاها بسلام وطمأنينة، وكان جميع أقاربه يحبونه حباً شديداً، وأهل مدينته يحترمونه احتراماً عظيماً لما كان عليه من المبادئ القويمة والأخلاق الكريمة وشرف النفس والنزاهة".

---

(١) كلا بل أقرأه شفاهاً دون كتاب.

*** العلامة "جان ميكائيليس" الروسي:**

مستشرق روسي، ولد في بلدته "بروا" ١٧١٧، وتوفي ١٧٩١، له تصانيف في أصول العربية وآدابها وآداب السريانية والعبرانية، له مؤلفات عدة.

قال في بعض مؤلفاته في "أصول اللغة العربية" واسمه "آداب اللغة العربية": "إن الدين الإسلامي له فضل عظيم على الشرق، لأنه أكسبهم حضارة ذات قيمة، وفضل من جاء به أعظم؛ لأنه عرضه عليهم فرفضوه، وتحمل في سبيله المضض، وكابد كثيراً، ولقد كان فقيراً يتيماً مضطهداً، ولدى ثباته أخذ النتائج الكافية في أداء رسالته التي هي مدنية وحضارة، وما مات محمد نبي العرب وصاحب هذه الرسالة حتى أحدث انقلاباً هائلاً في عادات وأديان الجزيرة العربية".

وقال في كتابه "العرب في آسيا": "لم يكن محمد نبي العرب المشعوذ ولا الساحر - كما اتهمه السفهاء في عهده - وإنما كان رجلاً ذا حِنْكَةٍ وإدارة وبطولة وقيادة وأخلاق وعقيدة، فلقد دعا لدينه بكل صفات الكمال، وأتى للعرب بما رفع به شأنهم، ولم نعرف عن دينه إلا ما يتلائم مع العصور - مهما تطورت - ومن يتهم محمداً ودينه بخلاف هذا فإنه ضال عن الطريقة المثلى . . وحَرِيٌّ بكل الشعوب أن تأخذ بتعاليمه".

ومن الهند

*** "جواهر لال نِهْرُو" الهندي:**

رئيس وزراء الهند، وهو هندوكي العقيدة، ولد عام ١٨٨٩، وتوفي عام ١٩٦٤.

قال في كتابه "لمحات من تاريخ العالم" (ص٥٤): "إن الإسلام هو الباعث لهذه اليقظة العربية بما بَثَّه في أتباعه من ثقة ونشاط، وحمل رسالة الإسلام إلى العرب نبي جديد اسمه "محمد"، ولد في مكة عام ٥٧٠ للميلاد، ولم يكن محمد عجولاً في نشر رسالته، بل ظل زمنًا يعيش حياة هادئة، يعجب به مواطنوه، ويثقون به حتى لقبوه بالأمين، فلما قام يبشر برسالته ويهاجم الأوثان قام الناس عليه وآذوه، فاضطر لأن ينجو بحياته وأن يهاجر من مكة، وكانت رسالته (لا إله إلا الله، محمد رسول الله)".

وقال (ص٢٦): "كان محمد واثقاً بنفسه ورسالته، وقد هيأ بهذه الثقة وهذا الإيمان لأمته أسباب القوة والعزة والمنعة، وحَوَّلَهُم من سكان صحراء إلىٰ سادة يفتحون نصف العالم المعروف في زمانهم، كانت ثقة العرب وإيمانهم عظيمين، وقد أضاف الإسلام إليها رسالة الآخرة، والمساواة والعدل بين جميع المسلمين، وهكذا ولد في العالم مبدأ ديمقراطي جديد . . وَثَبَ الشعب العربي بنشاط فائق أدهش العالم وقلبه رأساً علىٰ عقب، وإن قصة انتشار العرب في آسيا وأفريقيا وأوربا، والحضارة الراقية والمدنية الزاهرة التي قدموها للعالم هي أعجوبة من أعاجيب التاريخ".

ومن هولندا

*** العلامة "وث" الهولندي:**

مستشرق ولد في مدينة "أوترخت" ١٨١٤، وتوفي ١٨٩٩، وقد كان عضواً عام ١٨٦٤ في المجمع العلمي، جاء إلىٰ بلاد الشرق عام ١٨٦٧، وتجول فيها، وقد نقل القرآن إلىٰ اللغة الهندية، وله مؤلفات منها "محمد والقرآن" قال فيه (ص٧٨): "لقد جاء قرآن العرب علىٰ لسان نبيهم محمد العظيم، وعلمهم كيف يعيشون في هذه الحياة، وقد وحد محمد صفوفهم، وجمع كلمتهم، وأدبهم حتى لا ترى أمةً من الأمم أحسن منهم، وبالنهاية اعتمدوه في كل أمورهم، وكان يتلقى الوحي من ربه الذي يوحي إليه، ثم ينقله إلىٰ الناس بعد أن يكتبه له الكتاب الذين انتدبهم لذلك، وابتدأ دعوته لدينه الجديد من تاريخ ٦١٠م حتى قبضه ربه إليه، وذلك سنة ٦٣٣م".

*** العلامة "فلوتنبان" الهولندي:**

مستشرق هولندي، ولد في مدينة "لاهاي" ١٨٠٧، وتوفي عام ١٨٧٩، له عدة مؤلفات، منها "مفاتيح العلوم"، وكتاب "الفصول".

قال في الأخير (ص١٠٣): "إن محمداً لم يلبث أن أصبح له نفوذ روحي وزمني بعد سنين قلائل من الجهاد والاضطهاد، كما يدل علىٰ ذلك غير آية من القرآن، وذلك بتحول أهل المدينة إلىٰ الإسلام بفضل ذلك النفوذ الذي كان يتمتع به الرسول ديناً قوياً، وقد انتشر بين الشعوب عن طريقا الإنذار والوعيد[1] ولم يتردد

(١) ما انتشر الإسلام بالإنذار والوعيد ، وإنما دخل الناس في دين الله أفواجاً لأنه الحق ، وما سواه باطل .

النبي في رمي أهل الكتاب بالكذب والتضليل واتهامهم بالتحريف في كتبهم حين رأى دينه الذي كان يرمي إلىٰ نشره لم يُرْضِ اليهود كما أنه لم يَرُقْ للنصارى هكذا استطاع أن يُحَاجَّ أهل الكتاب بتصريحه أنه أرقى الأديان، وأن دينه وحده دين الحق، وكان من أثر اصطدام محمد بالنصارى واليهود في بلاد العرب أن طردوا من المدينة، وشُنَّت الغارات علىٰ المسيحيين في بلاد بيزنطة في اللحظة التي انتقل فيها محمد إلىٰ جوار ربه ".

*** المسيو "راينهارت دوزي" الهولندي:**

مستشرق هولندي، ولد في "تروخت" ١٨٢٠، وتوفي عام ١٨٨٤، مدرس للغة العربية في "لايدين" اشتغل في تواريخ الدول الإسلامية في الأندلس والمغرب، له عدة مؤلفات منها "عرب أسبانيا".

قال فيه: "كان يوجد علىٰ عهد محمد في بلاد العرب ثلاث ديانات ؛ الموسوية والعيسوية والوثنية".

ثم بسط القول خصوصاً في عبادات الوثنيين الذميمة إلىٰ أن قال "في عهد هذه الأحوال الحاكة، ووسط هذا الجيل شديد الوطأة وُلِدَ محمد بن عبد الله في شهر أغسطس ٢٩ منه عام ٥٧٠، من هذا نرى أن العالم الإنساني كان بحاجة إلىٰ حادث جَلَلٍ يُزْعِج الناس عما كانوا فيه، ويضطرَّهُم إلىٰ النظر والتفكير في أمر الخروج من المأزق الذي تورطوا به، ولله في خلقه شؤون".

إلى أن قال: "لقد جاء محمد بتعاليم رفعت مستوى البشر إلىٰ عالم الكمال".

ومن إيطاليا

*** العلامة "لورا فيكشيا فاليبري" الإيطالي:**

مستشرق إيطالي، ولد عام ١٨٣٩، وتوفي ١٨٩٧.

قال في مقدمة كتابه "الأديان" المترجم إلىٰ الفرنسية (٩٦): "إنه مما لاشك فيه أن وصف محمد بتلك الأكاذيب التي كانوا يُشِيعُونها في القرون الوسطى عنه وعن ديانته قد خَفَّت كثيراً في هذا في هذا العصر، وصاروا ينشدون الحقيقة التاريخية عن محمد، وعن الإسلام الذي قلب وجه العالم، وإن جماعة من المستشرقين يؤيدون رسالة محمد، ويقولون: إنه خاتم الرسل".

*** المحامي العلامة "غوسطن كريستا" الإيطالي:**

أحد رجال الفكر الإيطاليين، ولد في بلدته "كيا" ١٨٤٠، وتوفي ١٨٩٧.

قال في كتابه "الكياسة الاجتماعية": "وإنك لتجد في كل موضع من القرآن الذي جاء به محمد إلىٰ العرب آيات تَحُثُّ علىٰ فعل الخير، وأما هو فقد كان أمينا وكان أعدل رجل، ولا يسعنا إلا ان نقدر له جهوده في سبيل دينه وعقيدته".

إلى أن قال: "لقد جعل محمد الإخاء والمحبة ركنين للمجتمع الإسلامي، وهذا لَعَمْرِي تقدم باهر إذا قابلنا عهد الإسلام بعهد الجاهلية أيام كان أرباب الثروة والسيادة يزدرون بصلفهم المساكين ويسومونهم الخسف".

*** المسيو "ميخائيل أماري" الإيطالي:**

مستشرق إيطالي، ولد في بلد "بالرمو" في "فبرنزة" درس اللغات العربية والفارسية والتركية في مدينة باريس "فرنسا" وانتهى إلىٰ التخصص بالأدب العربي وتاريخه، وله مؤلفات كثيرة، منها "تاريخ المسلمين".

قال فيه: "لقد جاء محمد نبي المسلمين بدين إلىٰ جزيرة العرب يصلح أن يكون دينًا لكل الأمم؛ لأنه دين كمال ورُقِيٍّ، دين دعة وثقافة، دين رعاية وعناية، ولا يسعنا أن ننقصه، وحسب محمد ثناء عليه أنه لم يساوم ولم يقبل المساومة لحظة واحدة في موضوع رسالته، علىٰ كثرة فنون المساومات، واشتداد المحن، وهو القائل: «**لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري علىٰ أن أترك هذا الأمر ما تركته**»[1] .. عقيدة راسخة وثبات لا يقاس بالنظير، وهِمَّةٌ تركت العرب مدينين لمحمد بن عبد الله؛ إذ تركهم أمة لها شأنها تحت الشمس في تاريخ البشر".

ومن بلجيكا

*** الدكتور "هنري ماسة" البلجيكي:**

ولد في "بروكسل" ١٨٢٠، وتوفي ١٨٨٦، علَّامة في الكيمياء والتاريخ.

قال في كتابه "حول الإسلام" (ص١١): "إذا بحثنا عن محمد بحثاً إجمالياً نجده ذا مزاج عصبي[2]، وفكر دائم التفكير، ونفس باطنها حزن، وأما مداركه فهي

(١) إسناده ضعيف.

(٢) حاشا لله أن يكون رسول الله ﷺ هكذا.

تمثل شخصاً يعتقد بإله واحد، وبوجود حياة أخرى، ويتصف بالرحمة الخالصة، والحزم في الرأي والاعتقاد، ويضاف إليه أنه رجل حكومة، وأحياناً رجل سياسة وحرب، ولكنه لم يكن ثائراً، بل كان مسالماً ".

* "ألفريد ألفانز" البلجيكي:

قال في كتابه "علم النفس": "شب محمد حتى بلغ، فكان أعظم الناس مروءة وحلما وأمانة، وأحسنهم جواباً، وأصدقهم حديثاً، وأبعدهم عن الفحش، حتى عُرِفَ في قومه بـ"الأمين"، وبلغت أمانته وأخلاقه المُرْضِيَّة خديجة بنت خويلد القرشية، وكانت ذات مال فعرضت عليه خروجه إلىٰ الشام في تجارة لها مع غلامها "ميسرة" فخرج وربح كثيراً وعاد إلىٰ مكة وأخبرعها بكراماته، فعرضت نفسها عليه - وهي أيِّمٌ ولها أربعون سنة - فأصْدَقَها عشرين بكْرَة، وتزوجها وله خمس وعشرون سنة، ثم بقيت معه حتى ماتت"[1].

* العلامة "إدوار جيبون" البلجيكي:

ولد ١٧١٥، وتوفي ١٧٨٣ في بلدته "دوداف".

قال في كتابه "الحضارة الشرقية" (ص٢٧): "إن دين محمد خالٍ من كل شيء يَشِينُهُ، وإن القرآن لأكبر دليل علىٰ وحدانية الله، وقد نهى محمد عن عبادة الأصنام والكواكب".

ومن اسكتلندا

* "روبرستن سميث" الأسكتلندي:

مستشرق أسكتلندي ولد في بلدته "بروزا" ١٨٥٦، وتوفي ١٩١١.

جاب بلاد الشرق، وله كتاب في "أنساب العرب وزواج الجاهلية" قال فيه: "من حسن الحظ الوحيد في التاريخ أن محمداً أتى بكتاب هو آية في البلاغة، دستور للشرائع والصلاة والدين في آن واحد".

* "وليم موير" الأسكتلدني:

مستشرق شهير، ولد في "أديبورك" عام ١٨٢٩م، وتوفي عام ١٩٠٥م، وله مؤلفان: "حياة محمد"، و"التاريخ الإسلامي".

(١) هذه القصة ضعيفة السند.

قال في كتابه "حياة محمد" - وذلك عند كتابته عن رحلته مع عمه إلىٰ الشام - (ص ٤٢، ٤٣): "إن الذين دَوَّنُوا سيرة الرسول قد ذكروا تفاصيل كثيرة تدل علىٰ عظمة نبوَّتِهِ المنتظرة، وأنه في نفسه، وأنه في نفسه عظيم، وفي رسالته عظيم، وما عسى أن نتحدَّث عن سيرة لرجل خلق أمة مُتَرَامية بعد أن كانت خاملة، وإذا بها ذات كيان عظيم".

وقال في كتابه "حياة محمد" المترجم إلىٰ اللغة الفارسية عام ١٩٣٤ (ص٤٦): "لقد جاء محمد بتوجيهات رائعة وتعاليم قيمة، تَحَدَّى ببلاغتها العهدين التوراة والإنجيل، وترك لهما الغبار في سباق "التعاليم الرسولية، وإن من يعرف محمداً في عقيدته بالله، وعطفه علىٰ الفقراء وزهده في دنياه، ومُضِيِّه لتركيزه مبدأه، وإدارته وحنكته وبطولته يُشْرِفُ علىٰ الاعتقاد بدينه والتصديق برسالته التي ما جاء بها إلىٰ العالم إلا لرفع مستوى الإنسان".

*** العلامة "روبر اسميث" الأسكتلندي:**

مستشرق ولد في "أديمبورغ" عام ١٨٥٦، وتوفي ١٩٠١ كان رئيساً لواضعي "دائرة المعارف البريطانية" عام ١٨٨٧، جاء إلىٰ بلاد الشرق وتَعَرَّف علىٰ بيئتهم وعاداتهم، وله مؤلف في أحوال العرب قبل الإسلام وبعده.

قال فيه (ص١٧، ١٨): "لقد كان العرب قبل الإسلام علىٰ جانب من الغلظة والخشونة، ويعيشون عن طريق الغزو، وكان قد نزعت الرحمة من صدورهم، وكانوا يعبدون الأصنام، ولكل قبيلة صنم، حتى جمعوا في كعبتهم ثلاثمئة وستين صنماً، وقد جاء محمد في أواخر القرن السادس فدعاهم إلىٰ دينه، وأعلن أنه لا يجوز أن تتخذوا أصنامكم أرباباً من دون الله، وكان محمد علىٰ خلق عظيم، فاتبعوه بعد أن لاقى منهم الأذى ؛ حيث دعاهم إلىٰ دينه القويم، وعرفوا أنه دين لا يصادم الخير والإنسانية، وأنه جاء لصلاح المجتمع".

ومن أيرلندا

*** "جون ديفو" الأيرلندي:**

مستشرق معروف، له قلم سَيَّال في التاريخ والرياضيات، ولد في بلده "دبلن"، وتوفي فيها عام ١٩٠٦.

قال في كتابه "العرب وعاداتهم" : "ما كان محمد بعد هجرته إلىٰ المدينة يستقرُّ قراره حتى أصبح مع القيام بالأعباء الإلهية، والدعوة الدينية محارباً وفاتحاً، وصاحب دولة ونظام جماعة تزداد كل يوم، فاصطبغ الإسلام بصبغته الأخيرة، وأُسِّسَتْ القواعد الأولى لأوضاعه الدينية والسياسية والاجتماعية، فكانت هذه الأسس نِبْراساً يُسْتَضَاء به في تشريع الأجيال المقبلة، واقتفى آثارها العلماء والفقهاء، فانتشرت المذاهب الإسلامية ذلك الانتشار الرائع " اهـ.

*** المستر "موير" الأيرلندي:**

"ولد في بلدته "ليشكانا" عام ١٨٠٨، وتوفي سنة ١٨٦٧م.

قال عند ذكره رحلة الرسول ﷺ سنة ٥٩٥ للميلاد من كتابه "الإسلام" (ص١٠٣): "إن محمداً لم يكن في وقت من الأوقات طامعاً في الغنى، إنما سعيه كان لغيره، ولو ترك الأمر لنفسه لآثر أن يعيش في هدوء وسلام قانعًا بحالته، ولما فَكَّر في رحلة كهذه، ولكنه لما عرض عليه عمه السفر شعرت نفسه الكريمة بضرورة تفريج كربة عَمِّه، فأجاب طلبه مسروراً".

إلى أن قال: "إن محمداً إنما لُقِّب بـ "الأمين" بإجماع أهل بلده، لشرف أخلاقه وحسن سلوكه بين قومه، ولذا سرعان ما انقلبوا عن عبادة الأصنام ورحَّبُوا بتعاليمه المباركة".

*** المستر "هربرت وايل" الأيرلندي:**

قال في كتابه "المُعَلِّمُ الأكبر" (ص١٧٩): "بعد سِتِّمئة سنة من ظهور المسيح ظهر محمد، فأزال كل الأوهام، وحَرَّم عبادة الأصنام، وكان يُلَقِّبُه الناس بالأمين لما كان عليه من الصدق والأمانة، وهو الذي أرشد أهل الضلال إلىٰ الصراط المستقيم".

ومن الأرجنتين

*** البحاثة "جون ديفر" الأرجنتيني:**

ولد عام ١٨٤٥، وتوفي ١٩١٧.

قال في كتابه: "الحياة تبدأ بالأربعين": "لما استكمل محمد أربعين سنة جاء بدين للعالم يدعو فيه إلىٰ الإصلاح وترك العادات التي كان عليها أهل الجاهلية من

وأد البنات وغيره، ومحمد نبي المسلمين عُرِفَ منذ الصغر بالصدق والأمانة والعفة والنزاهة ".

*** "دون بايرون" الأرجنتيني:**

ولد في بلده "آنسيكار" عام ١٨٣٩م وتوفي عام ١٩٠٠.

قال في كتابه "أتح لنفسك فرصة" تعريب "عبد المنعم محمد الزيادي": "لا يبعد أن يكون محمد يحس بنفسه أنه في طينته أرقى من معاصريه، وأنه يفوقهم جميعاً ذكاء وعبقرية، وأن الله اختاره لأمر عظيم، وقد أتفق المؤرخون جميعاً علىٰ أن محمداً ابن عبد الله كان ممتازًا بين قومه بأخلاق جميلة، من صدق الحديث والأمانة والكرم وحسن الشمائل والتواضع، حتى سماه أهل بلده "الأمين" وكان من شدة ثقتهم به وبأمانته يودعون عنده ودائعهم وأماناتهم، وكان لا يشرب الأشربة المسكرة، ولا يحضر للأوثان عيداً ولا احتفالاً، وكان يعيش مما يُدِرُّهُ عليه عمله من خير".

ومن المجر

*** الدكتور "إيليوس جرمانوس" المجري:**

ولد عام ١٨٨٤، أستاذ بجامعة "بودابست - المجر" مستشرق هنغاري، جال في البلاد الإسلامية في آسيا ومصر، وخَبِرَ الديانة الإسلامية، فأسلم وحج إلىٰ مكة، له كتاب "الله أكبر" ترجمه إلىٰ العربية الأستاذ "فتحي رضوان" قال فيه: "إن تعاليم القرآن هي أوامر الله، وهي مرشد أبديٌّ للبشر، إنه كتاب مِلؤُهُ الصراحة والوضوح لمن صدقت رغبته في تَفهُّمِهِ، وإن محمداً لأعظم مصلح ثوري عرفه التاريخ مؤيد بوحي من عند الله، ونحن مأمورون أن نفهم تعاليمه، ونطبقها علىٰ شئون حياتنا الدنيوية، مع الإيمان بأن ما أوحى به إليه هو أساس لا يهتز ولا يتعثر لكونه إلهياً.

ولقد أخطأ المسيحيون إذ لم يفهموا الإسلام علىٰ حقيقته، وبالتالي لم يتشبعوا بروحه، إن ما يُمَيِّز الإنسان عن الحيوان هو إدراكه أن الكون تحكمه قوانين روحية، وتُسَيِّرُه قوى غير محسوسة.

وهذه الحقيقة هي أساس كل دين، ولكنه لا يوجد دين يؤكدها أكثر من دين الإسلام الذي يُبَسِّط أمام الإنسان طريقاً وسطاً لا تتجرد فيه الروح عن البدن، ولا

البدن عن الروح بل يكون وسطًا بين المادة والروح، علىٰ أن لا ينسى أنه كائن روحي قبل كل شيء ".

ومن أسوج

*** "كازانوفا" الأسوجي:**

ولد عام ١٨٣٧، وتوفي ١٩٠٣.

قال في كتابه "حضارة الشرق" (الجزء الأول، ص٢٣): "يَهُمُّني أن أجهر أولاً بأنني لا أسلِّم أصلاً بكل نظرية يُفْهَمُ منها الريب بصدق محمد، إن سيرة النبي العربي من بدايتها إلىٰ نهايتها تدل علىٰ أنه ثبت رصين أمين، ولا مناص من الإقرار بأن محمداً كان علىٰ ذكاء عظيم.

إن التعقل ونضوج الفكر اللذين دل عليهما إذ أظهر الآيات الأولى الموحاة إليه، وحسن سياسته في توحيد القبائل العربية رغم الخرافات المتأصلة، وفي تمييز ما ينبغي الإبقاء عليه من تقاليدها القديمة، كلها أدلة علىٰ أنه كان له في الأمور نظر سديد، كان يرى الغاية ويسعى إليها بغريزة السياسي العاقل، ونورانية النبي الصادق علىٰ السواء".

*** العلامة "سينرستن" الأسوجي:**

مستشرق أسوجي، ولد عام ١٨٦٦، أستاذ اللغات السَّاميَّة، ساهم في "دائرة المعارف" وجمع المخطوطات الشرقية، محرر مجلد "العالم الشرقي" له عدة مؤلفات، منها "القرآن الإنجيل المحمدي" ومنها "تاريخ حياة محمد".

قال في الأخير (ص١٨): "إننا لم ننصف محمداً إذا أنكرنا ما هو عليه من عظيم الصفات وحميد المزايا، فلقد خاض محمد معركة الحياة الصحيحة في وجه الجهل والهمجية، مُصِرّاً علىٰ مبدئه، وما زال يحارب الطغاة حتى انتهى به المطاف إلىٰ النصر المبين، فأصبحت شريعته أكمل الشرائع، وهو فوق عظماء التاريخ".

*** "رودلف دتوراك" الأسوجي:**

مستشرق أسوجي، ولد في "سلمو" ١٨٥٢، وتوفي ١٩٢٠، أستاذ اللغات الشرقية في "براغ" عاصمة "تشكوسلوفاكيا" من مؤلفاته كتاب في شعر "أبي فراس الحمداني" وترجمة حياته باللغة الألمانية.

قال فيه (صفحة ١٣): "ليس بالبعيد بل ولا شك أن محمداً نبي العرب كان يتحدث إلىٰ الناس عن وحي من السماء، لأنه أتى إلىٰ العالم بدعوة، من ورائها المعجزات والآيات، وهي أعظم شاهد علىٰ مُدَّعَاه ولا يجوز لنا أن نُفَنِّد آراءه بعد أن كانت آيات الصدق بادية عليها، فهو نبيٌّ حقٌ، وأولى به أن يُتَّبَع، ولا يجوز لمن لم يعرف شريعته أن يتحدث عنها بالسوء، لأنها مجموعة كمالات إلىٰ الناس عامة".

*** "ماكس سايكس" الأسوجي:**

ولد في بلدته "ملمو" سنة ١٨٧٦، وتوفي ١٩٢٧ - نقلاً عن مجلة "الهلال" المجلد الخامس (العدد ٣).

قال: "إن محمداً قد استطاع بعبقريته الفَذة والتعليمات الواسعة المعنى أن يجمع التفكير إلىٰ العمل، فكانت مملكته من هذا العالم، كان نبياً ثاقب الفكر، وكان مُشَرِّعاً، وكان حاكماً بين الناس".

*** "غوستاف" الأسوجي:**

ولد في "ملمو" عام ١٧٤٦، وتوفي ١٧٩٢ حارب روسيا ونشر في أسوج مبادئ الثورة الفرنسية، قال في مقدمة كتابه "الإسلام في الحجاز": "إن الأساس للدين الإسلامي بسيط جداً، وهو "لا إله إلا الله" وإن محمداًهو الذي أتى بهذه الحقيقة، ولا يوجد في هذه الحقيقة ما يُصَادم ويُخالف علوم العصر الحالي، فَحَرِيٌّ بهذا الدين أن يُتَّبَع".

ومن يوغوسلافيا

*** الدكتور "ألتر بتكين" اليوغوسلافي:**

ولد في "مكدونيا" ١٨٣٣، وتوفي ١٩٠٧، وله مؤلفات قيمة، منها "الحياة تبدأ بعد الأربعين".

قال فيه: "في إحدى ليالي شهر رمضان، بينما كان محمد نائماً في أحد كهوف حراء، عاد فتجلى عليه ذلك الشبح، وفي يده قطعة من الحرير عليها كتابة، قال له ذلك الشخص: "اقرأ" فأجابه: «**لست بقارئ**» فأعاد عليه القول ثانياً: "اقرأ"، ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾﴾ إلىٰ آخر السورة، فردد محمد هذه الكلمات، وأحسَّ بالنور قد أشرق علىٰ قلبه".

*** الدكتور "ويلسن" اليوغوسلافي:**

ولد في مدينة "زارا" ١٨١٥، وتوفي ١٨٨٧.

قال في إحدى محاضراته: "إننا إذا لم نعتبر محمداً نبياً لا نستطيع أن ننكر أنه مُرْسَلٌ من الله، ذلك أنه ليس هناك غيره قد راح يفسر المسيحية الأولى تفسيراً رائعاً صادقاً، وإن دينه الذي جاء به لا يُعَارِضُ الديانة المسيحية[1]، وكل ما جاء به حسن".

ومن لبنان

*** الأستاذ "رشيد سليم الخوري" اللبناني:**

الشاعر المعروف الملقب بالشاعر القروي، ولد في "البربارة" لبنان ١٨٨٧، له ديوان "الرشيديات" ١٩١٦، والقرويات ١٩٢٢.

قال في إحدى محاضراته: "فلا "وليم شكسبير" ولا "فكتور هوغو" ولا "لاون تولستوي" ولا غيرهم من أمثالهم يطولون مهما اشرأبت أعناقهم إلىٰ الدرجة السفلى من تلك المنصة العالية التي يقف عليها محمد بن عبد الله ؛ لأنه الرجل الذي تلتقى أكمل الصفات في قلبه الكبير، وعقله الفريد، ورِقَّته المتناهية وروحه المتدفِّقة بشرف الإحساس وروح العاطفة".

وقال في قصيدته اليائية المعروفة:

عيد البرية عيد المولد النبوي ... في المشرقين له والمغْربين دوي
عيد النبي ابن عبد الله من طلعت ... شمس الهداية من قرآنه العُلْوِي
بدا من القفر نوراً للورى وهُدى ... ياللتمدن عمَّ الكون من بَدَوِي
يا فاتح الأرض ميدانًا لقوته ... هذي بلادكك ميدان لكل قوي
يا شاهر السيف للفتح المبين به ... اليوم يندى حياءً سيفك الدَّموي
يا قوم هذا مسيحيٌّ يناشدكم ... لا يُصْلِح الشرق إلا حُبُّنا الأخَوي
إذا ذكرتم رسول الله تَكْرِمَةً ... فَبلِّغوا سلام الشاعر القُروِي

(١) إن قصد شريعة المسيح النازلة من السماء فنعم، وأما غير ذلك فلا.

* "جورج جرداق" اللبناني:

الكاتب الشهير البَحَّاثة، قال في كتابه: "الإمام على صوت العدالة الإنسانية" (١ / ٣١) تحت عنوان: "صوت محمد": " من لهيب الصحراء المحرقة وهَجٌ في عينيه، ومن انبساط الرمال أمام وهج الشمس صراحةٌ علىٰ شفتيه، ومن جنائن يثرب وخمائل الطائف، ومن واحات الحجاز السابحة في الفضاء كأنها الجُزُرُ المتناثرة في محيط من الرمل تحت ضوء القمر، نداوة قلبه ورفقٌ في دمه، ومن عَصْف الريح الهُوج ثورة في خياله، ومن بيان الشعر ونور السماء سحر في لسانه وقبس في روحه، ومن صدق العزيمة ولغة الله مَضَاءٌ في حسامه ورسالة في يمينه.

ذلك هو محمد بن عبد الله، نبي العرب، ومُحَطِّمُ الوثنية التي أقصت الإنسان عن أخيه الإنسان، وثنية المال ووثنية العادة، ووثنية العنصر الخرقاء ".

إلى أن قال (ص٢٥): "واتسع ظل محمد بن عبد الله وتعاظم حتى اكتنف العالم القديم، فإذا هو من مطلع الشمس إلىٰ مغربها أرض تُنْبِتُ الخير والمعرفة والسلم، وإذا بنبي الصحراء يمد يده فوق الدنيا ليبذر في أرضها بذور الإخاء والحب، يَمُدُّها حتى تُطاول الأفق، وهي ما زالت في امتداد، وصار لدولة العرب رِجْلٌ في الهند ورِجْلٌ في الأندلس، وعقد علىٰ جبين الشمس تاج شعب عظيم".

* "أمين بك نخلة" اللبناني:

الأستاذ المعروف، والشاعر المُحَلِّق أمين بن رشيد نخلة.

قال في مقدمة كتاب الأستاذ لبيب الرياشي "نفسية الرسول العربي" (ص١٦): "محمد نغمة لا كلمة، لفرط ما مسحت علىٰ شفاه الخلائق تأخذ بالسمع قبل الأخذ بالذهن، وتُفِيد خِفَّة الحروف، وحلاوة اللفظات قبل أن تفيد العلاقة بالله، وليس علىٰ الأرض بسيط لا ينفتح لها صدره ولا تَرُجُّ جوانب نفسه، فمن لم تأخذه بالإسلام أخذته بالعروبة، ومن لم تأخذه بالعروبة أخذته بالعربية".

* "لبيب الرياشي" اللبناني:

قال في أول كتابه "نفسية الرسول العربي": "لنتجرد ولنتطهر من جُذَامِ التَّعَصُّب وأثرة الجنسية ".

وقال في أول كتابه "فلسفة الرسول العربي" (ص٦) تحت عنوان "اعترف قبل

التحلل وقبل الدروس" : "ما ندمت علىٰ شيء في حياتي ندماً عصيباً ساحقاً مثل ندمي علىٰ جهل نفسية الرسول العربي، والإمام الأعظم العالمي" .

وقال في آخر كتابه المذكور: "حقاً يا محمد، إنك رسول الثقافة والعلم، رسول الهداية والتضحية، رسول الفلسفة الجديدة، رسول الإنسانية الجديدة " .

وقال في (ص١١): "أما لو أدرك المسلمون سيرة الرسول بجوهرها، وشرع الرسول بسنائه، وحِكَمَ الرسول بجلالها، وإبداع الضمائر الجديدة التي ابتدعها الرسول بجدِّيَّتها الوضاءة، وعملوا بما أدركوا لكان المسلمون غير هؤلاء المسلمين، ولكان العالم غير هذا العالم " .

ثم قال: "أما لو درس عُشَّاقُ الرسول وعشاق العظماء والحكماء والمبدعين غير العرب بطهارة وجدان وبراءة سريرة، وتحليل عبقري حياة الرسول العربي، وسُمُوَّ الرسول العربي، وبراءة سريرته وأعماله وشرعه، لاستكملوا أعظم شخصية وأقدس رسالة للتاريخ الإنساني، ولقد طالعت مئات المجلدات وقرأت حياة ألوف العظماء والرسل، ولكن مئات المجلدات و حياة ألوف العظماء والرسل ما فعلت بنفسي وأثرت في دماغي، وهذبت وثقفت وأدهشت، مثلما فعلت حياة الرسول العربي العالمي، محمد بن عبد الله " .

*** الكاتب "ميخائيل طعمة" :**

نشر الصحافي المعروف "نجيب نصار " صاحب جريدة "الكرمل" التي كانت تصدُرُ في "حيفا" نشر فيها مقالاً للكاتب "ميخائيل طعمة " جاء فيه: "لو لم يكن خُلُقُ محمد عظيماً لانقلب عليه محيطه، ولو لم يكن خلق محمد عظيماً لضَعُفَ أمام ما اعترضه من العقبات، ولرأى نفسه مضطراً إلىٰ مجاراة محيطه، ولما قوي علىٰ إحداث ما أوجده من الانقلاب العظيم فبدل الضلال بالهدى، والجهل بالعلم، والهمجية بالمدنية" .

*** الدكتور "شلبي شميل" اللبناني:**

ولد في "كفر شيما"بلبنان عام ١٨٦٠، وتوفي ١٩١٧م، له مؤلفات عديدة "الأهوية" و"المياه"، و"البلدان" لأبي الطيب أبقراط الحكيم، ورسالة "الحقيقة" وكان يرى فيها مذهب دارون.

قال في إحدى مقالاته - مأخوذة عن "المقتطف" المجلد السابع، عدد ٦ -: "لقد أصبح من أكبر العار علىٰ أي فرد مُتَمدِّن من أبناء هذا العصر أن يُصْغي لما يُظَنُّ من أن دين الإسلام كذب، وأن محمداً خدَّاع مُزَوِّر، ، وآن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة، فإن الرسالة التي أداها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير".

وقال في قصيدة له:

دع من محمد في سدى قرآنه ... ما قد نحاه للحمة الغايات
إني وإن أكُ قد كفرت بدينه ... هل أكفرنّ بَمحكم الآيات
أو ما حوت في ناصع الآيات من ... حِكَم رَوَادِع للهوى وعِظات
وشرائع لو أنهم عقلوا بها ... ما قيَّد العمران بالعادات
نِعْمَ المدبِّرُ والحكيم وإنه ... رب الفصاحة مصطفي الكلمات
رجل الحجى رجل السياسة والنهى ... بطل حليف النصر والغارات
ببلاغة القرآن قد غلب النُّهى ... وبسيفه أنحى علىٰ الهامات
من دونه الأبطال في كل الورى ... من غائب أو حاضر أو آتي

*** الأستاذ "حنا خير الله" اللبناني:**

قال في إحدى حفلات ذكرى ميلاد الرسول ﷺ نقلاً عن مجلة "العرفان" المجلد السابع والعشرين، الجزء ٣: "يكفي النبي العربي عظمة أنه خَلَّد اللغة العربية وقَدَّسَها، وأوجب علىٰ جميع أتباعه تعلمها".

إلى أن قال: "إننا نُعَظِّم ذكر من خلَّد لأمتنا أعظم مجد، وأشرف تاريخ، وأسمى منزلة، وحفظ لغتنا مقدسة إلىٰ أبد الدهر، لِنُبَرْهِن علىٰ أننا نُكَرِّم محمداً - النبي العربي - ونحتفل بذكرى مولده المبارك، إنا نقدر محمداً وأعمال محمد، وعظمة محمد، وغاية محمد".

*** "شبلي الملاط" اللبناني:**

من قصيدة قالها في مهرجان أقيم لأمير الشعراء "أحمد شوقي" في القاهرة:

من للزمان بمثل فضل محمد ... وعدالة كعدالة الخَطَّاب

رفع الرسول عماد أمة يعرب وأعـزَّهـا بـالآل والأصـحـاب
فشت الفتوح وصَفَّقتْ راياتُها في الشرق فوق أباطح وهِضَابِ
وتغلغلت في الغرب طائرةً على أكتاف صقر جارح وعُقاب

إلى أن قال:

أخذت قريشُ بحزْنِها وبكت بها غِـرنَـاطَـةُ فـي رِقَّـةٍ وعـتـاب
لولا يد الإسلام لم يسلم بما فـيـهـا مـن الأخـلاق والآداب
من لم يُطِق لغة الجدود فليس من قـومـيـة تَـنْـسِـبُـهُ فـي الأنـسـاب

*** الشاعر "محبوب الخوري الشرتوني" اللبناني:**

هو شاعر معروف من أدباء "عالية لبنان" ١٨٨٦، تُوفي ١٩٣١ له ديوان طُبِعَ في نيويورك، ومن شعره قصيدته المعروفة:

قالوا تُحِبُّ العُرْب قلت أحِبُّهم يـقـضـي الجـوار عـلَّ الأرحـامُ
قالوا لقد بخلوا عليك أجبتُهُم أهـلي وإن شَـحُّـوا عـلَّي كِـرامُ
قالوا البداوة، قلت: أطهر عُنْصُر صفت القلوب هناك والأجسام
ومحـمـد بـطـلُ الـبـريـة كُـلِّـهـا هـو لـلأَعَـارِبِ أجـمـعـين إمـام

*** "إلياس فامور" السوري:**

"إلياس فامور" شاعر وأديب، ولد في "اللاذقية" ١٨٩٧نشرت له بعض الصحف السورية قصيدة قالها في حفل أقيم لميلاد الرسول عام ١٩٣٤، منها:

بَزَغَت ولكن في جبين محمد شمسٌ تدل علىٰ سناهُ الأَنْور
فتهلَّلت بشراً ملائكة السما في يوم مولده العظيم الأكبر
أمحـمـدٌ ولأنـت أرفـعُ رتـبـةً من كل سامٍ في الورى ومُوَقَّر
إني لأعجز عن مديحك عالماً أني أعـود بـصـفـقـة المتـحـيـر
أطلعت شمسك فاختفت وتضاءلت كل النجوم وسال ذَوْب المرمر
وملأت أفئدة الخصوم بحكمة فَيَّـاضـة وبهـرت كـل مـنـكَّـر
وشققت جلباب الظلام بصارم تجلو مضاره ضباب العَثْيَرِ

وبذلت نفسك للصوارم والقنا بين الجحافل في العجاج الأكدر
نفسٌ بشامخة النجوم مُهَمَّةٌ أَزْرَتْ بسابقة العِتاق الضُّمَّر
فرقانه كالشمس يسطع في الضحى وحديثه كضياء بدر مقمر
ذو طلعة رَدَّت ظلام زمانه صُبْحاً بمثل ظلام ماضي الأعصر
لو شئتَ نظم فرائِدَ من نَثْرِه أعيت وضاق بها مداد الأبحر

* **"قسطاكي" الحمصي السوري:**

ولد في "حلب" ١٨٥٨، وتوفي في "حمص" ١٩٤١ عضو المجمع العلمي في دمشق، وصديق إبراهيم اليازجي، له مؤلفات عدة، منها "أدباء حلب ذوو الأثر" وهو شاعر معروف، وكاتب لا ينكره أحد، وقد نشرت له مجلة "الفتح" التي تصدر في القاهرة عام ١٩٣٠ ما يلي: "إذا كان سيد قريش نبيَّ المسلمين ومؤسس دينهم، فهو نبي العرب ومؤسس جامعتهم القومية، كما أنه من الحمق والمكابرة أن ننكر ما لسيد قريش من بعيد الأثر في توحيد اللهجات العربية، وقتل العصبيات الفرعية في نفوس القبائل بعد أن أنهكها القتال في قتال الصحراء، وتناحَرَ ملوكها في الشام والعراق تناحُراً طال أمد الحماية الرومانية والفارسية في البلدين العربيين الشقيقين حتى الفتح الإسلامي، فمن الخطأ أن تُنكِرَ ما للرسول العربي الكريم وخُلَفَائه من يد علىٰ الشرق في إثارة تلك الحماسة والبطولة النادرة المتدفقة في صدور أولئك النفر الميامين - الذين كانوا قابعين في حُزُون الجزيرة وبطاحها - في سبيل الفتح والمنافحة لتحرير الشرق من رِقِّ الرومان وأسر الفرس.

إن سيد قريش هو المنقذ الأكبر للعرب من فوضى الجاهلية، وواضع حجر الزاوية في صرح نهضتهم الجبارة المتأصلة في تُرْبة الخلود، ولقد بنيت قصيدتي الآتية، وحذوت فيها حذو "البردة" في مناجاة رسول العرب وحارس العرب "بالمصحف الخالد الآيات والكلم" وإذا حُقَّ لأولئك الأعلام - وهم من حماة الإسلام - إطلاق اسم "البردة النبوية" علىٰ قصائدهم، فقد حق أي - وأنا من شباب العرب المنادين في سبيل الجامعة القومية - أن أطلق علىٰ قصيدتي اسم "البردة العربية" وأصُبَّ حِمَمَها علىٰ المستعمرين الطغاة.

وإذا كان فقيد الإسلام محمد علي يقول: "الإسلام أولاً والهند ثانياً، فأنا أقول: إن مسيحيتي لا تَحُول ولن تحول دون وقف يُراعي علىٰ خدمة أمتي

وتضحيتي في سبيل استقلالها، كما أن عروبتي لا تحول ولن تحول دون قيامي بشعائري الدينية، وهذه قصيدتي:

بالله يا جيرة البطحاء والعلَم ... عُودُوا خشوعاً وحيوا ساكن الحرم
واستعطفوا علىٰ صبٍّ تملَّكَهُ ... حُبُّ العروبة نبت المجد والشِّيَم
عساه يصغي إلىٰ شكواه إن لها ... بثَّ الفؤاد ومعنى الشجو والشَّمَم
ويُلْهِمُ العُرْبَ من إعجاز حكمته ... أن ينهضوا لاقتحام الهول والعُظم
ويستردوا مقامًا طالما سجدت ... له الجبابر من رُوم ومن عَجَم
إنما الحياة التي يحيون ويحهم ... إلا حياة ضعاف الشاة والبَهم
يا سيد العُرْب والأيامُ شاهدةٌ ... إني أوفِّي لعهد العُرْب كلِّهم
أنقذت قُدماً بني عدنان من عَمَهٍ ... في غمرة الجهل والطغيان والظّلم
وقُدْتهُم صُعُداً والدين قائدهم ... والعدل رائدهم في سلك العلم
تصافحوا المجد والأيام في يَدِهِم ... طوع البنان وأضحوا سادة الأمم
ودوَّخوا الغرب حتى لان جامحه ... وخر مسترحماً من وطء خيلهم
والآن قد دال مجد العُرْب والَهفِي ... وأصبحوا كبُغَاث الطير والغنم
يسُومُهُم عبدُهم بالأمس وَاكِبدي ... مُرَّ العذاب ويغْلِبهم علىٰ ضَرم
ويستبيح حماهم غير مُحْتَشِم ... كأنهم عنه من أحقر الخَدَم

إلى أن يقول:

فاهبط أبا القاسم الميمون مؤتزراً ... بالعزم وابعث مَوَات العزم والهمم
وانفخ بعدنان من روح النبوة ما ... يُثيرُها للعُلَىٰ في أرفع القمم
واسأل لها نُصْرَة من ربنا فعسى ... نصرٌ قريب وفتحٌ غيرُ مُنْثَلِم
سيندم الغرب عما جاء مُعْتَسفاً ... ولات ساعة عَضِّ الكف من ندم

وقد وقع الشاعر المذكور المسيحي تحت القصيدة المذكورة:

"فتى العرب" حمص .. الشام

*** الأستاذ "ميشيل عفلق" السوري:**

رئيس حزب "البعث" العربي في دمشق.

قال في كتابه "في سبيل البعث" (ص٥٣): "حتى الآن كان يُنْظَرُ إلىٰ حياة الرسول محمد من الخارج، كصورة رائعة وُجِدَت العجب لها ونُقَدِّسها، فعلينا أن نبدأ بالنظر إليها من الداخل، لنحياها، كل عربي في الوقت الحاضر يستطيع أن يحيا حياة الرسول العربي، ولو بنسبة الحصاة إلىٰ الجبل، والقطرة إلىٰ البحر، طبيعي أن يعجز أي رجل مهما بلغت عظمته أن يعمل ما عمل محمد، ولكن من الطبيعي أن يستطيع أيُّ رجل مهما ضاقت قدرته أن يكون نموذجاً مُصَغَّراً ضئيلاً لمحمد ما دام ينتسب إلىٰ الأمة التي حشدت كل قواها فأنجبت محمداً، أو بالأحرى ما دام هذا الرجل فرداً من أفراد الأمة التي حشد محمد كل قواه فأنجبها، في وقت مضى تلخصت في رجل واحد كل حياة أمته، واليوم يجب أن تُصْبِح كل حياة هذه الأمة في نهضتها الجديدة تفصيلاً لحياة رجلها العظيم، كان محمد كل العرب، فليكن كل العرب اليوم محمداً".

إلى أن قال: "إن الإسلام لم يوجد ليكون مقصوراً علىٰ العرب، إذا قلنا ذلك ابتعدنا عن الحق، وخالفنا الواقع، فكلُّ أمة عظيمة عميقة الاتصال بمعاني الكون الأزلية تنزع في أصل تكوينها إلىٰ القيم الخالدة الشاملة، والإسلام خير مُفْصح عن نزوع الأمة العربية للخير والشمول؛ فهو إذاً واقعه عربي، في مراميه المثالية إنساني، فرسالة الإسلام إنما هي خُلق إنسانية عربية.

إن العرب ينفردون - دون سائر الأمم - بهذه الخاصية، إن يقظتهم القومية اقترنت برسالة دينية، أو بالأحرى كانت هذه الرسالة مفصحة عن هذه اليقظة القومية، ولم يتوسَّعوا بغية التوسع، ولا حكموا البلاد استناداً إلىٰ حاجة اقتصادية مجردة، أو ذريعة عنصرية، أو شهوة للسيطرة والاستعباد، بل ليؤدوا واجباً دينياً، كله حق وهداية ورحمة وعدل وبذل، أراقوا من أجله دماءهم، وأقبلوا عليه خفافاً ومتهللين لوجه الله، وما دام الارتباط وثيقاً بين العروبة والإسلام، وما دمنا نرى في العروبة جسماً روحه الإسلام، فلا مجال إذاً للخوف من أن يَشْتط العرب في قوميتهم، إنها لن تبلغ عصبية البغي والاستعمار".

*** الدكتور "نجيب أرمنازي" المصري:**

ولد في بلدته "ماهاي" عام ١٨١٩، وتوفي ١٨٨٧م، وله كتاب عن "الشرع الدولي في الإسلام".

قال فيه (ص٥٦): "كان العرب لما بُعثَ محمدٌ فيهم علىٰ الفطرة البيضاء النقية، لم يُكَدِّرها مُكَدِّر، ولم يعبث برونقها عابث، تطلَّع إلىٰ أمر عظيم، وخَطْب جَسِيم، قد استكنَّت من المواهب الشريفة والقوى الكامنة والعزائم الشديدة ما يسمو كالنار إلىٰ إشاعة ذكره، وتعرُّف خبره، واستفاضت فيها روح الحياة، وشاع في الناس نبأ حادث ديني كبير، يكون عنوان تاريخ جليل".

إلى أن قال: "فقد ظهر الإسلام في عنفوان تلك البعثة، وأصاب بدعوته شاكلة القلوب، ودانت له العرب، فأصلح بينهم، وجمع كلمتهم، وحينئذ نفروا من البادية وانتشروا في أقطار الأرض، تنقاد لهم أَعِنَّة الأمم انقياداً يشابه المعجزات، ولما أظهر محمد دعوته قال لعشيرته الأقربين: «**ما أعلم أن إنسانًا في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة**»".

وقال في (ص٦١): "قام محمد - وهو عربي من صميم العرب- يدعو قومه إلىٰ توحيد لا ريب فيه ولا هوادة، مُنَوِّهاً عن رموز الأحبار وزخارف الكُهَّان، ويَحُثُّهم علىٰ الاستكثار من الخير في هذه الدنيا والحرص علىٰ مدارك أخرى في الحياة أشرف منزلة وأبعد غاية".

*** "عبد المسيح أفندي وزير" المصري:**

نشرت جريدة "الاستقلال" ١٩٢٧ مقالاً للأستاذ "عبد المسيح أفندي وزير" الكاتب المعروف تحت عنوان "محمد والحضارة" وذلك يوم ذكرى مبعث الرسول ﷺ.

جاء في المقال ما يلي: "في مثل هذا اليوم المبارك ننشر في هذه الجريدة مقالاً في محمد، فيه ذكرى - والذكرى تنفع المؤمنين - وقد عالجت الموضوع فيما مضى من وجوه غير هذا الوجه الذي عقدت العزيمة علىٰ معالجته الآن ؛ إذ كانت المقالات السابقة في قالب شعري أدبي، أما اليوم فأبحث في بعثة محمد بحثاً علمياً محضاً لا أثر للتخريب فيه، وقد آليت علىٰ نفسي أن أبرهن أن الحضارة الأوربية الحديثة - أو بالأحرى الحضارة المسيحية، إنما قامت - وهي قائمة وستقوم - علىٰ

مبادئ الإسلام، مبادئ محمد التي نشرها على العالم، فعمِل بها العالم المتمدِّن كله من يوم محمد حتى هذه اللحظة، والحضارة في واقع الأمر حضارة واحدة لا أدوار لها ".

إلى أن قال: "قال "بوذا" و"كنفونيس"، و"عيسى" بالمسالمة والاستكانة، وقال محمد بن عبد الله، النبي العربي بالقوة، وأصبحت جميع الأمم اليوم لا تعمل إلا بالقوة، ففي العالم اليوم فلسفتان في الدين، فلسفة التصوف، وفلسفة العمل - أي القوة - فلنأخذ المسيحية - وهي أرقى ما في التصوف بمبادئها - ولنأخذ الإسلام - وهو القائم على مبدأ القوة - ونقارن بين المبدأين، لنرى أيهما الفائز في حضارتنا:

قال المسيح عليه السلام "من ضربك على خدك الأيمن، فحَوِّل له خدك الأيسر"، و"من طلب ثوبك فأعطه ردائك" ومعنى هذا أن على الإنسان أن يكون مسالمًا مستكيناً لا يُبْدي حراكاً في حضارة تنازع البقاء، أما محمد فيقول: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ [الأنفال: ٦٠] أي نازع من أجل بقائك وكيانك بكل ما أوتيت من قوة، فالمبدأ الأساسي هو مبدأ تنازع البقاء، فإذا ثبت لزوم المبدأ لكيان الحضارة، كان محمد فائزاً في هذا المضمار، وكفى بهذا المضمار مسرحاً للمبدأ الصحيح الذي جاء به محمد، وعمل لأجله ".

إلى أن قال: "ثم لما كان المسلمون خاصة والعرب عامة عاملين بمبدأ نبيهم - محمد - شادوا حضارة مجيدة، وأصبحوا سادة الدنيا، ولكنهم فَرَّطوا بالابتعاد عن هذا المبدأ، وركنوا إلى الاستكانة فباتوا مَسُودين " .. إلى آخر المقال.

*** البحاثة "جرجي زيدان":**

ولد "ببيروت - لبنان" عام ١٨٦١، وتوفي ١٩١٤م مُؤسِّس مجلة "الهلال" عام ١٨٩٢ نشر فيها المقالات الأدبية والتاريخية واللغوية، ومؤسس "دار الهلال" للطباعة والنشر، وله دراسات قيمة في الأدب والتاريخ، أهمها "العرب قبل الإسلام" و"تاريخ التمدُّن الإسلامي"، و"تاريخ آداب اللغة العربية" و"تراجم مشاهير الشرق".

قال في "تاريخ العرب قبل الإسلام": "إن أقدم المصادر العربية لتاريخ العرب وأقربها إلى الصحة القرآن، فقد جاء فيه ذكر القبائل البائدة - كعاد وثمود - وبعض أخبار ملوك اليمن - كسيل العرم وغيره - وإذا قرأت تلك الأخبار فيه تجد ما ذكره

القرآن صحيحاً تؤيده الاكتشافات الحديثة، وهو المعجز الذي جاء به محمد ".

وقال في كتابه "التمدن الإسلامي" ولما عمد المسلمون إلىٰ تلاوة القرآن والحديث وتفسيرهما أشكل علىٰ غير العرب إعرابهما ؛ لأن ملكة اللغة غير راسخة فيهم".

إلى أن قال: "جملة القول: أن ما اشتغل به المسلمون في صدر الإسلام من العلوم مرجعه إلىٰ القرآن الذي نزل علىٰ محمد، فهو المحور الذي تدور عليه العلوم الأدبية واللسانية، فضلاً عن الدينية، ورَسَخَ في الأذهان أنه لا يجوز أن ينظر في كتاب غير القرآن ؛ لأنه جاء ناسخاً لكل كتاب قبله، وقد نهى الشرع الإسلامي يومئذ عن النظر في الكتب المنزلة غير القرآن لاتحاد الكلمة واجتماعها علىٰ الأخذ به، وقد أعلن محمد النبي العربي أن رسالته خاتمة الرسالات، وصحيح ذلك ؛ لأن فيها ما يصلح للبشر في مختلف أطوارهم وسائر أدوارهم".

*** الدكتور "نيس" الأندونيسي:**

أستاذ الديانة المسيحية في جامعة برمنكهام" قال في إحدى محاضراته - نقلاً عن مجلة "الهلال" الجزء الخامس من المجلد الثالث: "يا ابن مكة، يا نسل الأكرمين، يا مُعيد مجد الآباء والأجداد، ويا مُخَلِّص العالم من العبودية، إن العالم يفتخر بك، ويشكر الله علىٰ تلك المنحة العزيزة، بل ويُقدِّر مجهوداتك كلها، يا نسل الخليل إبراهيم، يا من منحت السلام للعالم، ووفَّقت بين قلوب البشر، وجعلت الإخلاص شعارك، يا من قلت في شريعتك: «**إنما الأعمال بالنيات**» لك منا الشكر الجزيل ".

*** "رينيه جينو" الشيخ "عبد الواحد يحيى".**

"رينيه جينو" من الشخصيات التي أخذت مكانها في التاريخ، وهو العالم الفيلسوف الذي يُدَوِّي اسمه في أوربا قاطبة، وفي أمريكا يضعه المسلمون بجوار الغَزَّالي وأمثاله، ويضعه غير المسلمين بجوار "أفلوطين" صاحب الأفلاطونية الحديثة.

وقد كان إسلامه ثورة كبرى، هَزَّت ضمائر الكثيرين من ذوي البصائر الطاهرة، فاقتدوا به، واعتنقوا الإسلام، وكونوا جماعات مؤمنة مخلصة تعبد الله علىٰ يقين في معاقل الكاثوليك في الغرب.

وكان سبب إسلامه يسيراً ؛ لقد أراد أن يعتصم بنصٍّ مُقَدَّس، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فلم يجد - بعد دراسة عميقة - سوى القرآن، فهو الكتاب الوحيد الذي لم ينله التحريف والتبديل ؛ لأن الله تكفل بحفظه، وحفظه حقيقة: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩] .

لم يجد سوى القرآن نصاً مقدساً صحيحاً فاعتصم به، وسار تحت لوائه، فغمره الأمن النفساني في رحاب الفرقان.

ومؤلفاته كثيرة مشهورة، من بينها كتاب "أزمة العالم الحديث" بيَّنَ فيه الانحراف الذي تسير فيه أوربا الآن، والضلال المبين الذي أعمى الغرب عن سواء السبيل.

أما كتابه "الشرق والغرب" فهو من الكتب الخالدة التي تجعل كل شرقيٍّ يفتخر بشرقيته.

قول الشيخ الدكتور "عبد الحليم محمود" شيخ الجامع الأزهر: "وإذا كان الشخص في بيئتنا الحالية لا يقدَّرُ التقدير الذي يستحقه إلا بعد وفاته، فقد كان من حسن حظ "رينيه جينو" أنه قُدِّر في أثناء حياته، وقُدِّر بعد وفاته، أما في أثناء حياته فكان أول تقدير له أن حرمت الكنيسة قراءة كتبه، والكنيسة لا تفعل هذا إلا مع كبار المفكرين الذين تخشى خطرهم، فقد وضعته بذلك بجوار عباقرة الفكر الذين اتخذت تِجَاهَهَم نفس المسلك، ولكنها رأت في "رينيه جينو" " خطراً يَكْبُرُ كل خطر سابق، فحرمت حتى الحديث عنه.

واستجاب كثيرون لدعوة "رينيه جينو" فألفوا جمعيات في أنحاء العالم، وعلى الخصوص في سويسرا وفي فرنسا، واتخذوا الإسلام دينًا.

ومن التقدير الإيجابي أنَّ كتب "رينيه جينو" برغم تحريم الكنيسة لقراءتها قد انتشرت في جميع أرجاء العالم، وطُبعت المرة بعد الأخرى، وتُرْجم الكثير منها إلىٰ جميع اللغاتن الحية ما عدا العربية.

وبعد مماته كتبت عنه جميع صحف العالم، وقد خصصت له مجلة "فرنسا آسيا" وهي مجلة محترمة عدداً ضخماً كتب فيه كبار الكُتَّاب الشرقيين والغربيين، وافتتحته بتقدير كاتب فرنسا الأكبر "أندريه جيد" وقوله في صراحة لا لبس فيها: إن آراء "رينيه جينو" لا تُنْقَض.

وخَصَّصت مجلة "إيتودترا ديسونيل" عدداً ضخماً من أعدادها، ثم خصص له الكاتب الصحفي الشهير "بول سيران" كتاباً ضخماً تحدث فيه عن حياته وعن آرائه.

بعد أن بهرت أشعة الإسلام الخالدة "رينيه" وغمره ضياؤه الباهر، اعتنق الإسلام وأصبح جندياً من جنوده يدافع عنه ويدعو إليه.

ومن أمثلته ما كتبه في كتابه "رمزية الصليب تفنيداً للفرية التي تقول: "إن الإسلام انتشر بالسيف".

ومن أمثلة ذلك أيضاً ما كتبه في مجلة "كابيه دي سور" في عددها الخاص بالإسلام والغرب، دفاعاً عن الروحانية الإسلامية، لقد أنكر الغربيون روحانية الإسلام، أو قللوا من شأنها، وأشادوا بروحانية المسيحية وأكبروا من شأنها، فأتى الشيخ "عبد الواحد يحيى" وبَيَّن سمو الروحانية في الإسلام وروعتها، وقارن بين ما يُسَمُّونه بـ "التصوف المسيحي" أو "المستيسزم" وانتهى بأن هذا "المستيسزم" لا يمكنه أن يبلغ - ولا عن بعد - ما بلغه التصوف الإسلامي[١] من سمو وجلال[٢].

*** الفنان الفرنسي "ألفونس إتيين دينيه":**

ولد "ألفونس إتيين دينيه" في باريس سنة ١٨٦١، وهو من كبار أهل الفن ورجال التصوير، وصاحب اللوحات الكبيرة النفيسة القيمة، وله في متحف "لوكسمبرج" عدة صور، منها الصورة الشهيرة المعروفة باسم "غداة رمضان"، وكذلك له صورة في متحف "بو"، وكذلك في متحف "سدني" باستراليا، "والحج إلىٰ بيت الله الحرام"، وله عدة مؤلفات منها "حياة العرب" وكتاب "السراب"، و"حياة الصحراء" وكتاب "ربيع القلوب"، وكتاب "الشرق كما يراه الغرب"، ومن أهم كتبه "السيرة النبوية" وهو مجلد كبير جليل وضعه باللغة الفرنسية، وله رسالة "أشعة خاصة بنور الإسلام" قام بتعريبها الأستاذ الأديب "راشد رستم" وقد أعلن إسلامه رسمياً بالجامع الجديد بمدينة الجزائر، عام ١٩٢٧م، وسمى نفسه "ناصر الدين دينيه"، وطلب أن يدفن في بلده "بوسعادة" بالجزائر حنيفًا مسلماً.

---

(١) أي الصحيح القائم علىٰ الكتاب والسنة الصحيحة، لا أقوال أصحاب التصوف الفلسفي أو البدعي الذي ضيع الأمة.

(٢) "أوربا والإسلام" (ص٧٢ - ٧٦).

قال في كتابه "محمد رسول الله" (ص٤٨): "إن حدود هذا السفر لن تسمح لنا بأن نقدم جميع التفاصيل وجميع النواحي لحياة حافلة بالعظائم إلىٰ هذا الحد، كما هو الشأن في حياة النبي محمد نبي المسلمين".

وقال (ص٤٩) منه: "والحق أننا نرى بين جميع الأنبياء الذين أسسوا ديانات أن محمداً هو الوحيد الذي استطاع أن يستغني عن مدد الخوارق والمعجزات المادية، معتمداً فقط علىٰ بداهة رسالته ووضوحها، وعلى بلاغة القرآن الإلهية، وإن في استغناء محمد عن مدد الخوارق والمعجزات لأكبر معجزة علىٰ الإطلاق".

وقال (ص٥٢) منه: "إن في مرأى المؤمنين وفي أعمالهم لصورة تلمحها منعكسة من مآثر محمد، وإذا ما كانت بالطبع باهتة بالقياس إلىٰ كمالاته العليا، فإنها لا جدال في صحتها، هذا علىٰ حين نجد قياصرة روما - مع دقة تماثيلهم - لا يطالعنا منهم سوى قناع مزيف لوجوههم الجامدة تحت صورة من الخيلاء، إن صورهم تظل ميتة يعجز خيالنا عن أن يلمح لها شيئاً من الحياة، وإنه لبوحي هذه الحقيقة المقررة قامت برؤوسنا فكرة نشر لوحات في تاريخ محمد تمثل المآثر الدينية لأتباعه، وبعض صور من حياة العرب، وبعض مدن الحجاز الذي هو وطنه".

وقال (ص٨٧) منه: "محمد لم يؤلف القرآن، حقاً إنه ليدهشني أن يرى بعض المستشرقين أن محمداً قد انتهز فرصة فروًى ورتب عمله المستقبل، بل لقد ذهب بعضهم إلىٰ أبعد من ذلك، فوسوس بأن محمداً ألف في تلك الفترة القرآن كله!.

أحقاً لم يلاحظوا أن هذا الكتاب الإلهي خالٍ من أية خطة سابقة علىٰ وجوده، مرسومة علىٰ نسق المناهج الإنسانية، وأن كل سورة من سوره منفصلة عن غيرها، وخاصة بحادثة وقعت بعد الرسالة طيلة فترة تزيد علىٰ عشرين عاماً، وأنه كان من المستحيل علىٰ محمد أن يتوقع ذلك ويتنبأ به".

وقال (ص٣٤٥) منه: "فدين الرسول محمد أكد من الساعة الأولى لظهوره أنه دين عام صالح لكل زمان ومكان، وإذا كان صالحاً بالضرورة لكل عقل إذ هو دين الفطرة، والفطرة لا تختلف في إنسان عن آخر. وهو لكل هذا صالح لكل درجة من درجات الحضارة".

وقال في كتابه "أشعة خاصة بنور الإسلام"، ترجمة الأستاذ "راشد رستم": "إن نبي الإسلام هو الوحيد من بين أصحاب الديانات الذي لم يعتمد في تمام

رسالته علىٰ المعجزات، وليست عمدته الكبرى إلا بلاغة التنزيل الحكيم، وفي ذلك يقول تعالىٰ: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [الإسراء: ٥٩] ".

* "فاند برج":

قال: "لقد وضع الإسلام قواعد جليلة للرقيق تدل علىٰ ما كان ينطوي عليه محمد ﷺ من شعور إنساني نبيل يناقض - كل المناقضة - تلك الأساليب التي كانت تتخذها إلىٰ عهد قريب شعوب تَدَّعي أنها تمشي في طليعة الحضارة.

لهذا كان كثير من الرقيق يفضل حياة الرق في ظلال هذه المبادئ علىٰ الحرية الوهمية في بلاد وأمم تسترق شعوبها بالجملة"(١).

الإسلام العظيم الذي رفع شأن "بلال" فجعله من أئمة الصحابة، حتى قال عنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "أبو بكر سيدنا وأعتق بلالاً سيدنا".

وفيه نزل قول الله ﷻ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨].

أين هذا من قول الفيلسوف العنصري "لونج" في كتابه "تاريخ جامايكا" عن الزنوج: "إنهم غير خليقين بالحياة، وإنهم لا يزيدون عن القرود التي تتعلم لتأكل وتشرب، وإن قيمتهم لا تزيد عن قيمة أي سلعة تباع في الأسواق!". بل يقول "منتيسكيو" عن السود: "إني أعتقد أن الله أحكم من أن يضع روحاً - فضلاً عن روح طيبة في جسم حالك السواد"(٢).

* الكاردينال "أشوك كولين يانق":

أمين عام مجلس الكنائس العالمي لوسط وشرق أفريقيا سابقاً يشهر إسلامه:

في مقال الكاردينال السابق "أشوك كولن يانق" يكشف جوانب جديدة عن رحلته إلىٰ الإسلام لرجب الدمنهوري والمنشور بمجلة "المختار الإسلامي" العدد ٢٨١ غرة المحرم ١٤٢٧هـ - ٣١ يناير ٢٠٠٦م (ص ٦٨ - ٧١) قال: "أثارت المقابلة التي أجرتها المختار الإسلامي" مع أمين عام مجلس الكنائس العالمي لوسط

(١) "لماذا يخافون الإسلام" (ص١٢٢) للدكتور عبد الودود شلبي - دار الاعتصام.
(٢) المصدر السابق (١٢٨).

وشرق إفريقيا سابقاً "أشوك كولن يانق" ردود فعل واسعة النطاق، وتناقلتها عشرات المواقع الإلكترونية ووسائل الإعلام، وكان "كولن يانق" الذي اعتنق الإسلام عام ٢٠٠٢ قد كشف في حواره أبعاد المخطط الكنسي الرامي لتنصير المسلمين، وضرب الحركة الإسلامية عبر توظيف العلمانيين لمواجهة المد الإسلامي، وإنفاق أموال طائلة علىٰ بعض الأجهزة والأفراد ذوي الصلة، وفي هذا العدد يكشف الكاردينال السابق جوانب جديدة في رحلته "من الظلمات إلىٰ النور، ومن الكفر إلىٰ الإسلام، ومن حال أهل النار إلىٰ حال أهل القبلة" - علىٰ حد تعبيره - وفيما يلي التفصيل:

- تغيير الإنسان عقيدته ليس أمراً سهلاً، خاصة إذا كان هذا الإنسان يحتل قمة الهرم الذي يدعو إلىٰ هذه العقيدة، فما الذي قادك إلىٰ التغيير، ومن ثم اعتناق الإسلام من واقع دراستك للأناجيل؟

- "سؤال مهم . . الإنسان مهما علا شأنه إذا كان صادقاً وجاداً في البحث عن الحقيقة، فإنه حتماً سيصل إليها يومًا ما، وهذه الحقيقة التي سيصل إليها إما أنها تعزز ما يؤمن به أو تهديه إلىٰ سبيل آخر . .هذا أولاً.

أما كيف غيرت عقيدتي فأجيب من خلال أقوال المسيح التي وردت في الأناجيل، فقد جاء في إنجيل "يوحنا" في الإصحاح الثامن، فقرة ٤٠ عندما هم اليهود بقتله: " ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني، وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله".

فالمسيح عليه السلام إنسان اختاره الله وحَمَّله رسالة، وجعله نبياً ؛ ولذلك يقول عليه السلام كما جاء في الإصحاح الثامن، فقرة ٤٢: "لو كان الله أباكم لكنتم تحبونني ؛ لأنني خرجت من قِبَلِ الله وأتيت ؛ لأني لم آت من نفسي، بل ذلك أرسلني، لماذا لا تفهمون كلامي ؟" وقد صرحت بعض الأناجيل بنبوة عيسى عليه السلام كما جاء في "لوقا - الإصحاح السابع - فقرة ١٦": "فأخذ الجميعَ خوفٌ ومجَّدوا الله قائلين: قد قام فينا نبيٌّ عظيم".

وجاء في "متى - الإصحاح الحادي والعشرين - فقرة ٩، ١٠، ١١ ": ولمّا دخل أورشليم ارْتَجَّت المدينة كلها قائلة: مَنْ هذا ؟ فقالت الجموع هذا النبي الذي من ناصرة الجليل".

وهذه النصوص تتفق مع قوله تعالى في القرآن الكريم: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [المائدة: ٧٥] .

* رسالة عيسى:

إذاً أنت ترى أن هذه النصوص التي اقتبستها من الأناجيل كفيلة بتغيير العقيدة من النصرانية إلىٰ الإسلام.

- الإيمان برسالة سيدنا عيسى عليه السلام يكون بتصديقه فيما أخبر، فلا نرد خبره، ولا نكذب قوله، ولا نخالفه، فالمسيح عليه السلام جاءنا من الله لأمرين مهمين:

- أولاً: لتعلم الأمة التي بُعِثَ إليها كيف تتقرب إلىٰ الله وتعبده، أما معرفة الله فيقول المسيح عليه السلام: "إن الله واحد لا شريك له ولا نظير له ولا شبيه له ".

فقد جاء في إنجيل "مرقص، في الإصحاح الثاني عشر - فقرة ٣٠" لما سأله الكاتب: أي وصية هي أول الكل ؟ فأجاب يسوع: إن أول كل الوصايا هي: اسمع يا إسرائيل، الرب إلهنا رب واحد، وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك، هذه هي الوصية الأولى، وثانياً مثلها، هي أن تحب قريبك كنفسك، ليس وصية أخرى أعظم من هاتين.

فقال له الكاتب: صحيح يا مُعَلِّم، حسب الحق تكلمت، فإن الله واحد لا آخر سواه".

وتتأكد هذه الحقيقة عن ذات الله بما جاء في إنجيل "متى - الإصحاح ٢٣ - فقرة ٨" يقول المسيح عليه السلام: "وأما أنتم فلا تدعوا لكم أبًا علىٰ الأرض ؛ لأن أباكم واحد، الذي في السماء" وجاء في "يوحنا" في "الإصحاح ٢٠ فقرة ١٨" قال المسيح: "إني أصعد إلىٰ أبي وأبيكم وإلهي و إلهكم".

وكلمة " الأب": "أبي وأبيكم" تعني في لغة الإنجيل "الرب" أي: "ربي وربكم".

فإلى محبي المسيح أقول: ألم تتضمن وصايا المسيح عليه السلام تعريفًا واضحاً لذات الله العلي الكبير المتفرد؟.

* يقول الله تعالى في القرآن: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾ [سورة الإخلاص].

* وكما جاء في القرآن الكريم أيضاً: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥] .

- ثانياً: إن مهمة عيسى عليه السلام الثانية أن يهدي الأمة التي بُعِثَ إليها إلىٰ عبادة الله، وهي أمة بني إسرائيل، أما غيرهم من الأمم فلا تعنيهم شريعة عيسى، وهذا ما تقرره الأناجيل المسيحية، فقد جاء في إنجيل "متى - الإصحاح ١٥ - فقرة ٥" قول يسوع: "لم أُرْسَل إلا لخراف بني إسرائيل الضالة".

وجاء في "متى - الإصحاح ١٠ - فقرة ٥":

هؤلاء الإثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً: "إلى طرق أمم لا تمضوا، وإلى مدينة السامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحري إلىٰ خراف بني إسرائيل الضالة" (أعمال الرسل ١١ الفقرة الأولى).

وإلى محبي المسيح أقول: يا من تبحث عن الحق، يا من آمن بالله الواحد الأحد، إليك هدية من القلب: آمن بالله إلهاً واحداً وبأن المسيح رسول الله وكلمته ألقاها إلىٰ مريم وروح منه، وبأن محمداً عبد الله ورسوله وخاتم النبيين والمرسلين، واتبعه حق الاتباع، قل: "لا إله إلا الله" يؤتك الله أجرك مرتين.

* قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [القصص: ٥٢ : ٥٤].

*** اللحظة الفاصلة:**

صِفْ لنا اللحظة الفاصلة التي قررت فيها اعتناق الإسلام، وماذا ترتب علىٰ ذلك.

- حينما قررت اعتناق الإسلام ذهبت إلىٰ الكنيسة، وتقدمت بطلب إجازة لكي أقضيها مع أسرتي، فَطُلِبَ مني أن أنتظر حتى تعتمد لي الكنيسة من ٥٠ إلىٰ ١٠٠ ألف دولار لكي أنفقها علىٰ أولادي، قلت لهم: أنا لا أريد "قروشكم" وكانت عندي للكنيسة عمارتان و"قروش" تبلغ مليونين و٤٠٠ ألف دولار أمريكي، و٣٢٠ مليون جنيه سوداني، فقمت بتسليمها إلىٰ راعي ميزانية التنصير، فكانت مفاجأة كبيرة للكنيسة.

وبعد ذلك قضيت يومين مع أسرتي نفكر في هذا الأمر ونناقشه، وقد كانت أسرتي المكونة من زوجتي وأربعة أبناء تدرك أنني أفكر في اعتناق الإسلام، وحينما أبلغتهم أن الوقت قد حان كان ردهم: "أنت أعلم منا، ونحن نثق بك، وقرارك قرارنا" وبالفعل ذهبنا إلىٰ أحد المساجد المجاورة، "مسجد النور" وأشهرنا الإسلام، وصحيح أنني خسرت أموالاً كثيرة غير أنني كسبت الإيمان والراحة النفسية بعد أربعين سنة قضيتها في الباطل، وعلى إثر ذلك اتهمتني الكنيسة بالجنون، وأنني مريض نفسياً !

*** لست مجنوناً.**

- قلتَ إن الكنيسة اتهمتك بالجنون . . فهل أثبتَّ لها أنك في كامل قواك العقلية، وقد أسلمت بعد قناعة ودراسة ؟ أم ماذا حدث ؟

- لقد شاء الله أن أدرس مقارنة الأديان، وكان الهدف أن أتعرف علىٰ الأديان السماوية وغير السماوية من أجل ممارسة التنصير بعلم وخبرة ومنهجية، لكن الله أراد شيئاً آخر، فقد درست الأديان السماوية وهي معروفة، كما درست غير السماوية - وهي البوذية والهندوسية وعُبَّاد النار والشمس والشيطان والأصنام - وخلال مرحلة الدراسة كانت تتكشف أمامي الحقائق عن الإسلام أولاً بأول، وبدأ تكويني الديني يتشكل، وأفكاري تتغير وتتداخل، وفي إحدى مراحل الدراسة أيقنت أن الإسلام هو الدين الصحيح، فكنت حينما أسمع الأذان أتوقف عن إلقاء المحاضرة احتراماً للنداء الإلهي، وحينئذ أصبحت شخصاً بوجهين، وجه يرى أن الإسلام الدين الحق، وأن الله واحد لا شريك له، ووجه يغالط نفسه ويواصل انخراطه في الأعمال الكنسية والتمتع بأموالها الطائلة.

ولما بدا تعاطفي مع الإسلام اجتمعت مجالس القساوسة والرهبان والكاردينالات، وكان رأيهم أنني أميل للإسلام، وهنا مارس مجلس الكنائس ضغوطاً كثيرة عليَّ، ولما فشل قرر إيقافي عن العمل بالكنيسة، وصدر قرار من الكنائس بأن الجنون قد أصابني، فقلت لهم: إنني لست مجنونًا، فأنا أخاف الله الواحد ربي وربكم، ورب محمد وعيسى، إنني أخاف من عذاب الله، إنني أخاف من الله، وعلمت بعد ذلك أن تقرير الأطباء أثبت أنني لست مجنوناً، ولكنني أتطلع إلىٰ اعتناق الإسلام.

- السيد أشوك، لماذا لم تغير اسمك إلىٰ اسمٍ مسلمٍ كما جرت عادة كل من يعتنق الإسلام؟

- **لم أغير اسمي لاعتبارين:**

الأول: لأن الإسلام لا يرى في ذلك حرجاً، وهذا ما يهمني بالدرجة الأولى، فلا بأس أن يعتنق غير المسلم الإسلام ويبقى محافظاً علىٰ اسمه القديم، فالدين الإسلامي يركز علىٰ الإيمان.

الثاني: لقد أحببت الاحتفاظ باسمي لأهداف دعوية، وهي أن أظل مقبولاً لدى غير المسلمين، ومن ثم أستطيع أن أبين لهم الحق، بعد أن شرح الله صدري بالإسلام وخرجت من الظلمات إلىٰ النور، ومن الكفر إلىٰ الإسلام، ومن حال أهل النار إلىٰ حال أهل القبلة.

*** الكاردينالية:**

- وصلتَ في الكنيسة إلىٰ درجة "كاردينال" كما احتل والدكم هذا المنصب . . ماذا يعني منصب "كاردينال" ؟ وما وظيفته في الكنيسة ؟

- لقد تقلدت مناصب كبيرة في الكنيسة، ومن بين ذلك كنت كاردينالاً كما كان والدي كذلك، وهذا المنصب في الكنيسة الكاثوليكية يوازي وظيفة "المفتي" في الإسلام، ويجب أن يعرف القس أنه ليس إلهاً لكي يغفر للناس ذنوبهم وآثامهم، فالعجيب أنه إذا أخطأ عبد ذهب إلىٰ القس يوم الأحد قبل الصلاة، ويقول له: "لقد أخطأت في كذا وكذا، فيقول القس: "اذهب قد غُفِر لك" ! كيف يتجرأ هذا القس علىٰ حمل سلطة الله ؟! ومَنْ الذي أعطاه هذه الصلاحية وهو بشر؟!

وأنا أتحدى أياً من كبار القساوسة الشرقيين أو الغربيين أن يحاججني، بل أنا علىٰ استعداد لمناظرة أي درجة عالية في الكنيسة لإثبات صحة الإسلام وأحقيته بالاتباع، فانا لم أسلم عاطفياً أو عبثًا، وإنما أسلمت بعد دراسة معمقة للأديان، ووصلت في نهاية الدراسة إلىٰ أن الإسلام هو الدين السماوي الذي ختم الله به

الرسالات السماوية، وأن النبي ﷺ هو «خاتم الأنبياء والمرسلين، وأن عيسى عليه السلام إنسان من البشر، وهو نبي ورسول، وليس أكثر من ذلك».

* قال تعالى في القرآن الكريم: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [المائدة: ٧٥] وأنا لست أول من يسلم من القساوسة، فقد سبقني إلىٰ الإسلام عدد كبير من القساوسة والمبشرين، وعلى رأسهم الأمين العام لمجلس مؤتمر المطارنة في الكنيسة الكاثوليكية، ورئيس القساوسة في الولاية الشرقية» اهـ.

* * *

يا له من دين أتى به محمد ﷺ

لو أن له رجالاً!!

هذا الدين العظيم الذي جاء به رسول الله ﷺ مفخرة للبشرية، والقرآن الذي أُنْزِلَ عليه فيه سعادة كل البشرية - لو التزمت نهجه وسارت علىٰ دربه -.

*** مرجليوث يثني علىٰ القرآن:**

مستشرق إنجليزي شديد التعصب ضد الإسلام ونبيه، ولد عام ١٨٥٨، وتوفي عام ١٩٤٠م كان أستاذاً للغة العربية في جامعة "أكسفورد" منذ عام ١٨٨٩، وعضواً بعدة مجامع علمية، كالمجمع اللغوي الإنجليزي، والمجمع العلمي العربي بدمشق، والجمعية الشرقية الألمانية، كما كان مرجليوث من محرري "دائرة المعارف الإسلامية" وله مؤلفات عديدة عن الإسلام والأدب العربي وتاريخه، ومنها كتابه "أصول الشعر العربي" وهو المرجع الذي اعتمد عليه "طه حسين" في كتابه عن "الشعر الجاهلي" الذي صدر عام ١٩٢٦م.

يقول مرجليوث عن القرآن: "باعتراف الجميع، يحتل القرآن مكانة هامة بين الكتب الدينية العظيمة في العالم، وعلى الرغم من أنه قد جاء الأحدث في قائمة مثل هذا النوع من الأعمال التي تعتبر مطلع عهد جديد في الفكر والتاريخ، فيكاد لا يضاهيه عمل آخر في تأثيره العجيب الذي أحدثه في جموع هائلة من البشر ! لقد خلق طوراً جديداً في الفكر الإنساني، ونوعاً حديثاً من الشخصية الإنسانية" ففي بداية الأمر، حوَّل القرآن عدداً من القبائل الصحراوية غير المتجانسة في شبه الجزيرة العربية إلىٰ أمة من الأبطال، ثم واصل - علىٰ نحو مطرد - خلق الهيئات الدينية السياسية الكبيرة في العالم الإسلامي، والتي تعتبر إحدى القوى العظمى التي يجب علىٰ أوربا والشرق أن يحسبا لها حساباً اليوم".

*** "مونتجمري وات":**

رئيس قسم الدراسات العربية في جامعة "أدنبرة" له عدة كتب ودراسات، منها"

"من تاريخ الجزيرة العربية" (١٩٢٧) و"عوامل انتشار الإسلام (١٩٥٥)"، و"محمد في مكة" (١٩٥٨).

يقول "مونتجومري وات" في كتابه "الإسلام والمسيحية اليوم": "ولست مسلمًا بالمعنى المألوف، ومع ذلك فإني أرجو أن أكون مسلماً كإنسان استسلم لله بيده، إني أعتقد أن القرآن وغيره من تعبيرات المنظور الإسلامي ينطوي على ذخيرة هائلة من الحق الإلهي، الذي ما زال يجب عليَّ أنا وآخرين من الغربيين أن نتعلم منه الكثير.

ومن المؤكد أن الإسلام منافس قوي في مجال إعطاء النظام الأساسي للدين الوحيد الذي يسود في المستقبل".

* **"إدوارد مونتيه":**

مستشرق من أصل سويسري، ولد عام ١٨٥٦، ودرس في جامعات "جنيف وبرلين، وهايدلبرج" حصل على الدكتوراه في اللاهوت من جامعة "باريس" عام ١٨٨٣ عُيِّن أستاذاً للعبرية والآرامية، والعهد القديم في جامعة "جنيف" ثم أضيف إليه العربية وتاريخ الإسلام، رأس جامعة "جنيف" (١٩١٠ - ١٩١٢)، وتوفي عالم ١٩٢٧.

يقول "إدوارد مونتيه" في كتابه "الدعاية المسيحية وأعداؤها المسلمون": "إن الإسلام في جوهره دين عقلاني وفق أوسع المعاني لهذا المصطلح من الوجهة الاشتقاقية والتاريخية، إن تعريف العقلانية باعتبارها نظامًا يقيم المعتقدات الدينية على مبادئ يدعمها العقل، إنما ينطبق تمامًا على الإسلام، وعلى الرغم من التطور الخصب - بكل ما في الكلمة من معنى - لتعاليم النبي فقد احتفظ القرآن بمنزلته الثابتة كنقطة البداية الرئيسية لفهم الدين، وصار يعلن دائمًا عن عقيدة توحيد الله في سمو وجلال وصفاء دائم، مع اقتناع يقيني متميز من الصعب أن يوجد ما يفوقه خارج نطاق الإسلام، إن هذا الإخلاص للمعتقد الأساسي للدين والبساطة الجوهرية للصيغة التي ينطق بها، والبرهان الذي يكتسبه من الاقتناع الذي يلتهب حماسة لدعاته القائمين بنشره، كل ذلك يقدم أسباباً كثيرة تعلل نجاح مجهودات الدعاة المسلمين.

إن عقيدة بمثل هذه الدقة ومجردة من كل التعقيدات اللاهوتية، وبالتالي يمكن للفهم العادي أن يتقبلها بسهولة، فمن المتوقع أن تكون لها قدرة عجيبة - وهي في الواقع تمتلك هذه القدرة - على اكتساب طريقها إلى ضمائر البشر".

* "جرونيباوم" :

قال في كتابه "الإسلام" : "إن الأمر الذي اقتضى عشرات السنين من المسيحيين الأوائل لكي يدركوه، قد أدركه محمد بعد سنوات قليلة، وهو أنه ما دامت إرادة الله قد اقتضت أن تمتد الحياة الدنيا فترة من الوقت - طالت أو قصرت - فإن جماعته[١] ينبغي أن تستقر فيها في التقاء كامل مع تعاليم الوحي المنزل . . ومن ثم أصبحت مهمة الجماعة أن تنشئ نمطاً شاملاً للحياة في ظل "الله"[٢] يشمل كل وجه من الوجود البشري - من أول التصور إلىٰ الدفن[٣] - ويلغي كل تمييز بين المقدس والدنيوي من مظاهر الحياة يجعل كل دقيقة من دقائق الحياة متصلة بعضها البعض برباط الدين، ومحتاجة إلىٰ مراسم "دينية" لتكملتها عند أي عمل من الأعمال - مهما كان نوعه - وبهذه الطريقة" توحدت صور السلوك إلىٰ حد ما . . ولكن الحياة كلها - حتى أدق تفصيلاتها - أعطت صورة سامية مستمدة من دلالتها الدينية . . ولم تكن حياة الفرد وحده هي التي ينبغي لها أن تتحول إلىٰ مجموعة متسقة من الأعمال التي يطلبها الله منه . . . بل إن المجتمع الإسلامي - في مجموعه - كان ينبغي أن يُحَوَّلَ بالمثل، فصارت الدولة والجيش والخزانة[٤] في اصطلاح المؤمنين الأوائل دولة الله، وجيش الله وخزانة الله[٥] " .

❊ ❊ ❊

(١) أي : المسلمين .

(٢) أي: في ظل وحي الله .

(٣) أي : يشمل الأمور الفكرية والمعنوية ، كما يشمل الأمور السلوكية والمادية .

(٤) أي ليت المال .

(٥) نقلاً عن : "هل نحن مسلمون" لمحمد قطب (٢٥ -٢٦) .

صفاء العقيدة الإسلامية وقوتها

* **"إدوارد جيبون"** :

ولد "إدوارد جيبون" في إنجلترا عام ١٧٢٧ م وكان عضواً في البرلمان، وقد بدأ حياته الأدبية عام ١٧٦١م وظهر الجزء الأول من مصنفه الضخم "انحدار الإمبراطورية الرومانية وسقوطها" عام ١٧٧٦ ثم استكمل بقية الأجزاء حتى ظهر آخرها عام ١٧٨٨ م وتوفي عام ١٧٩٤م.

أفرد "جيبون" الباب الخمسين من كتابه "انحدار الإمبراطورية الرومانية وسقوطها" للحديث عن الإسلام . . ولم يستطع "جيبون" التخلص من أسر الأفكار الشائعة حول الإسلام، ومع هذا فقد قال: "إن عبقرية النبي العربي وسلوكيات أمته، وروح ديانته كل ذلك يتضمن أسباب انحدار الإمبراطورية الرومانية الشرقية وسقوطها، وإن أنظارنا لتتجه في دهشة نحو واحدة من أكبر الثورات الجديرة بالذكر في العالم، والتي طبعت بعمق أثراً جديدًا وخالداً في الأرض ".

وقال: "إن عقيدة محمد خالية من الشك أو الغموض، والقرآن شهادة مجيدة علىٰ وحدانية الله، ومن الهند حتى مراكش يشتهر المهتدون إلىٰ دينه باسم "الموحدين" وقد انزاح خطر الوثنية بتحريم الصور.

إن مواهب محمد تجعلنا نكيل له المدح، إلا أن نجاحه ربما كان هو الذي جذب انتباهنا إليه، وإن ما يستحق إعجابنا ليس انتشار ديانته، وإنما استمراريتها.

إن نفس الانطباع النقي الكامل الذي حفره في الأذهان في مكة والمدينة لا يزال مصونًا إلىٰ اليوم بعد انقضاء اثني عشر قرنًا عند الذين اهتدوا بالقرآن من هنود وأفارقة وترك ".

وقال: "نجد أنه من المحيط الأطلسي غرباً إلىٰ أقاصي الهند شرقاً يُعْتَرَفُ بأن القرآن هو الدستور الأساسي، ليس فقط في مسائل الإلهيات ولكن فيما يتعلق بالقوانين المدنية والجنائية والقوانين التي تنظم سلوكيات البشر.

لقد نفث محمد بين المؤمنين روح الأخوة والإحسان، وأوصى بممارسة الفضائل الاجتماعية، وكبح بشريعته وتعاليمه الأخلاقية التعطش إلىٰ الانتقام وظلم الأرامل واليتامى، ولقد توحدت القبائل التي كانت في عداء تحت مظلة الدين

والطاعة، وتوجهت شجاعة المقاتلين - التي أُنْفِقَت هدراً في صراعات داخلية - نحو العدو الخارجي، فانتشرت بذلك أمصار الأمة الإسلامية شرقًا وغرباً"[١].

قال "فولتير" عن العقيدة الإسلامية: "إن عقيدة محمد خالية من الشك أو الغموض، والقرآن شهادة مجيدة علىٰ وحدانية الله . . هذه هي كلمات سورة الإخلاص تقول: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [سورة الإخلاص].

إنني أقول: إن هذه الكلمات أخضعت له الشرق أكثر مما فعله سيفه"[٢].

الغرب عاش علىٰ تشويه الإسلام:

قال "فولتير": " لقد ألصقنا بالقرآن ما لانهاية له من السفاهات التي لم تكن به علىٰ الإطلاق.

إن مؤلفينا لم يجدوا صعوبة تذكر في جعل نسائنا تقف في صفهم، لقد أقنعوهن بأن محمداً لم يكن يعتبرهن ضمن الحيوانات الذكية، وأنهن جميعا إماء وفق شريعة القرآن . . ومن الواضح أن كل هذا كذب وبطلان، اعتقدوا فيه بكل قوة.

أيها الجهلة الأغبياء الذين خدعهم جهلة آخرون، إذ أقنعوكم بأن الديانة المحمدية ديانة شهوانية ولَذّات جسدية بينما هي ليست شيئاً من ذلك ".

وقال "روجيه دي باسكيه": "إن الغرب المسيحي، أو الذي فقد مسيحيته لم يعرف الإسلام أبداً، فمنذ أن ظهر علىٰ المسرح العالمي والمسيحيون لا يكفون عن اختلاق الأكاذيب حوله وتحقيره من أجل إيجاد المبررات اللازمة لقتاله، لقد أُلْحِقَت بالإسلام صور مشوهة كثيرة لا تزال آثارها منطبعة بعمق في العقلية الأوربية إلىٰ اليوم.

ويجب الاعتراف بأن الدراسات الاستشراقية في الغرب لم تكن مستوحاة من روح النزاهة العلمية الخالصة، ولا يمكن إنكار أن بعض المتخصصين في الدراسات الإسلامية والعربية قد قاموا بأبحاثهم بهدف واضح هو تحقير الإسلام والمسلمين" اهـ.

* * *

(١) "الإسلام في الفكر الغربي" (ص٣٥ - ٣٨) ملخصاً.

(٢) المصدر السابق (١٢٩) .

الإسلام دين التقدم والحضارة وهو دين المستقبل

يا لجمال الإسلام الذي أتى به رسول الله ﷺ هذا الدين العظيم لايعرض عنه إلا منكوس موكوس مطموس.

* **"برنارد لويس"**:

ولد عام ١٩١٦م، وحصل علىٰ الدكتوراه من جامعة لندن ١٩٣٩م.

وهو أستاذ دراسات الشرق الأدنى بجامعة "برنسون" وأستاذ زائر في "كاليفورنيا وكولومبيا وإنديانا" وعضو شرف في "الجمعية التاريخية التركية"، وعضو في "الجمعية الفلسفية الأمريكية".

يقول عن الإسلام: " أرسل الله الملك جبريل ليملي القرآن علىٰ محمد، وبهذا يكمل القرآن سلسلة الوحي التي سبقت إلىٰ أنبياء اليهود، وإلى عيسى، ومن ثم يكون محمد أعظم الأنبياء وخاتمهم، ويكون القرآن هو "الكتاب" الأخير والتعبير الكامل عن إرادة الله فيما يتعلق بحياة الناس".

وقال: "كان الإسلام تأسيساً لدين جديد، وإمبراطورية جديدة وحضارة جديدة".

وقال: "لقد قامت حضارة أصيلة مستوحاة من العقيدة الإسلامية، ومتمتعة بحماية الدولة الإسلامية، ومدعمة بثراء اللغة العريقة، حضارة تنمو وتتسع وتعيش طويلاً، وقد صنعها الرجال والنساء من مختلف الأعراق والديانات، وقد اصطبغ كل شيء فيها بالعروبة والمبادئ والقيم الإسلامية".

* **"هربرت فيشر"**:

مؤرخ سياسي إنجليزي، عمل بعد الحرب العالمية الأولى مندوباً مفوضاً لدى "عصبة الأمم"، وفي وعام ١٩٢٦م عاد إلىٰ جامعة "أكسفورد" عميداً بإحدى كلياتها.

يقول في فصل كتبه عن الإسلام ضمن كتابه "تاريخ أوربا": "لقد وجدت الدول المسيحية نفسها تواجه التحدي من حضارة شرقية جديدة تأسست علىٰ دين شرقي جديد.

وهكذا انتشرت الحضارة الإسلامية، وساهم فيها الكثيرون، ليقدموا جميعاً العصر الرائع للآداب والفنون الإسلامية التي مكنت شعوب الإسلام من السيادة الفكرية للعالم طيلة أربعة قرون، بينما كان العقل الأوربي غارقاً في قيعان الجهل والكسل".

* **"مارسيل بوازار"**:

أستاذ جامعة سويسري، عاش لمدة أكثر من اثني عشر عامًا في بلاد عربية إسلامية خاصة، كممثل للجنة الدولية للصليب الأحمر، في الجزائر واليمن والمملكة العربية السعودية وسوريا والأردن ومصر، وبصفته مديراً مشاركاً في برامج التثقيف الدبلوماسي بالمعهد الجامعي للدراسات الدولية العليا بجنيف، وكمندوب مفوض أوربي بالجمعية الثقافية الدولية المعروفة باسم "الإسلام والغرب" فإنه قام بنشر عدة بحوث حول بعض أوجه الحضارة الإسلامية، وحول عدد من موضوعات السياسة الثقافية في بلجيكا والنمسا وباكستان والمغرب وغيرها من البلدان.

يقول "مارسيل بوازار" في كتابه "الجوانب الإنسانية في الإسلام"[1]: "الإسلام دين وحضارة .. لا شك في أن الوحي الديني قد ظهر في منطقة الشرق الأوسط مهد ديانات التوحيد الثلاث، ولعل الإسلام يعتبر هو التجلي الأخير والأكمل للحضارة في هذه المنطقة من العالم، ولقد نفذت أفكاره إلىٰ أوربا وآسيا باللغة العربية، عبر البحر الأبيض المتوسط وفوق جبال البرانس.

والإسلام باعتباره ديناً - وفق المعاني الاشتقاقية الثلاث لكلمة الدين في اللغة الفرنسية - فإنه يقتضي - من ناحية - اختياراً تطوعيًا، أو اختياراً حراً بالخضوع إلىٰ شريعة وإلى قواعد للأخلاق وممارسة الشعائر، كما يستلزم - من ناحية أخرى - تصنيف تراث إنساني خاص والحفاظ عليه.

وأخيراً - وعلى وجه الخصوص - فإنه يحدد وضع المؤمن أمام القيوم، وكذلك علاقات التضامن بين الناس، وهكذا يظهر لنا الإسلام كعمل باهر ومتوافق سياسياً واجتماعياً، وظاهرة تاريخية جديرة بالتأمل والاعتبار.

---

(١) الترجمة الحرفية لاسم الكتاب هي "إنسانية الإسلام" وأولى منها أن يقال: "الجوانب الإنسانية في الإسلام".

وفي كلمة موجزة، فإن الإسلام حضارة أعطت مفهوماً خاصاً للفرد وحددت بدقة مكانه في المجتمع، وقدمت عدداً من الحقائق الأولية التي تحكم العلاقات بين الشعوب، كما أن هذه الحضارة لم تقدم فقط مساهمتها التاريخية الخاصة في الثقافة العالمية، ولكنها كانت تؤكد أيضاً - ولها مبرراتها - على تقديم حلول للمشاكل الرئيسة للأفراد والمجتمعات والمشاكل الدولية التي تثير الاضطرابات في العالم المعاصر ".

وقال: "لقد أنجب هذا الدين "أمة" وأوجد أسلوبًا للحياة والعمل والتفكير، وفي كلمة واحدة فقد أنجب حضارة.

ويؤكد الإسلام طموحه السياسي على المستوى العالمي ويتابع انتشاره بانتظام، وخاصة في إفريقيا السوداء، وإذا نظرنا اليوم إلى كيان الإسلام ووحدته تبين أنه ليس جسداً ميتاً نقشت عليه ذكريات ماض مجيد، وإنما هو واقع حي فعلاً.

ويدل التاريخ على وجود حقيقة ثابتة مثالية في الحضارة الإسلامية التي كانت منذ بدئها - ولا تزال - متوجهة توجهاً كاملاً نحو الله، وهذه الظاهرة التي تغيب دائمًا عن الفكر والتحليل الغربي الحديث تعطي للإسلام طابعه المتميز بالدوام ".

وقال: "لقد أظهرت الرسالة القرآنية وتعاليم النبي أنها تقدمية بشكل جوهري، وتفسر هذه الخصائص المميزة انتشار الإسلام السريع بصورة عجيبة خلال القرون الأولى من تاريخه.

ومن المفيد أن نسجل إلى أي مدى يؤثر مفهوم معين للعلم والإيمان بمصير عالمي للإنسانية في طبع السلوك اليومي لملايين الأنفس من البشر، ولا يمكن لأي طريقة مثلى (أيديولوجية) معاصرة أن تدعي منافسة الإسلام في هذا الصدد".

وقال: "لم يكن محمد حاكمًا مستبداً (أتوقراطياً) ".

وقال: "في الإسلام لا يمكن فهم السياسة بعيداً عن الدين".

*** عالمية الإسلام:**

وقال: "علاوة على أن الإسلام حقيقة إلهية تامة ومثل أعلى روحي كامل، وأنه خلق كياناً سياسياً وتنظيماً اجتماعياً خاصين به، فهو حقيقة عالمية ترتكز على وعي عميق بالتوحيد ؛ إذ كان دين اليقين الذي يدفع طاقات المؤمنين وإرادتهم الواعية نحو تنظيم العالم الدنيوي ".

وقال: "إن فعالية الإسلام وحيويته حقيقة واقعة على المستوى الديني، يشهد لها استمراريته في تحول الناس إليه، فالإسلام ينتشر أكثر من أي دين آخر، وخاصة في أفريقيا وآسيا، حيث تكتسب البساطة المنطقية لعقيدته ويسر تعاليمه مهتدين إليه جدداً كل عام".

*** المستقبل للإسلام:**

قال "برناردشو": "لقد تنبأت بأن دين محمد سيكون مقبولاً في أوربا الغد، كما أنه بدأ يكون مقبولاً في أوربا اليوم".

وقال: "إنه الدين الوحيد الذي يبدو لي أنه يمتلك القدرة على استيعاب تغير أطوار الحياة بما يجعله محل إعجاب لكل العصور".

*** روجيه دي باسكيه:**

هو الكاتب والصحفي السويسري الذي اعتنق الإسلام تحت اسم "سيدي عبد الكريم" وكذلك أسلمت زوجته الهولندية.

قال "روجيه دي باسكيه": "إن الإسلام بأبعاده الأفقية والرأسية قادر على عمل توافق قوي بين الإنسان والكون المحيط به، وكذلك بين الإنسان والإله خالق كل شيء ومبدعه، إن الإسلام عالمي بكل معنى الكلمة.

فمهما حدث في العالم الغربي المزدهر وفاسد الأخلاق، أو حدث للشعوب التي تعاني من فقر المستلزمات المادية للحياة مثل تلك التي يطلق عليها "العالم الثالث" فإن الإسلام يقدم الحل الأكثر وضوحاً وجوهرية وحتمية من أجل مواجهة التحدي الحديث.

وبالنسبة لهؤلاء الذين يعتنقون الإسلام ويطبقونه عملياً فإنه يقدم لهم العلاج الأكثر فعالية وشفاء من شرور هذا العصر".

وكتب كتاباً من أجل تعريف الغرب بالإسلام تحت اسم "اكتشاف الإسلام" قال فيه: "من المسلم به حالياً وبوجه عام أنه بينما تتراجع الديانات الكبرى - أو على الأقل تتخذ موقف الدفاع - فإن الإسلام ذاته في تقدم، وتعطي أفريقيا أكثر الأمثلة وضوحاً على ذلك.

إن قوة الإسلام هذه - مقارنة بضعف المسيحية - تمثل حقيقة كبرى في التاريخ

المعاصر، ولقد قامت عدة دراسات اجتماعية واستشراقية بمحاولة لتفسير ذلك، فأظهرت أن هناك وجهات نظر عديدة.

لقد جاء الإسلام إلىٰ الناس لمساعدتهم علىٰ عبور هذه المرحلة الأخيرة من التاريخ العالمي، دون أن يتعرضوا للضياع، وباعتباره الوحي الأخير في سلسلة النبوات فإنه يقدم وسائل لمقاومة الفوضى التي تسود العالم حاليًا، وإقرار النظام والنقاء في داخل الإنسان، وإيجاد التآلف والانسجام في العلاقات الإنسانية، وتحقيق الهدف الأسمى الذي من أجله دعانا الخالق إلىٰ هذه الحياة ".

وقال: "والإسلام بأبعاده الأفقية والرأسية قادر علىٰ عمل توافق قوي بين الإنسان والكون المحيط به، وكذلك بين الإنسان والإله خالق كل شيء ومبدعه، إن الإسلام عالمي بكل معنى الكلمة . إن الغرب المسيحي - أو الذي فقد مسيحيته - لم يعرف الإسلام أبداً ".

ويرى "مارسيل بوازار" أن الإسلام هو الحل لمشاكل العالم، ويقول: "لقد عرف الإسلام - بمحافظته علىٰ العقيدة - كيف يقاوم تحطيم جماعته السياسية، ولم يكن الإسلام منذ ظهوره وتحت إدارة النبي إلا ثورياً معتدلاً علىٰ المستوى الاجتماعي، فهناك تكليف مفروض بالتكافل والتضامن علىٰ جميع أعضاء الجماعة المسلمة من أجل تأمين الرخاء والكرامة لجميع الأفراد في حدود الإمكانيات المتاحة، ويمثل هذا مظهراً متمماً لطابع الجماعة المسلمة وشيئاً تتميز به مبادئ الأخلاق التي طبعها الوحي القرآني.

ولقد أقام الإسلام نظاماً اقتصادياً مرتكزاً علىٰ الأخلاق، وذلك بتنظيم توزيع الدخل عن طريق نظام ضريبي مقدس هو "الزكاة" وبإدخال مفهوم جديد للملكية الخاصة التي ليست في كلمة موجزة سوى حق انتفاع بالنعم التي أفاءها الله علىٰ الإنسان، وبذلك حقق الإسلام - من وجهة نظر خاصة - الجمع بين قيمتي رأس المال والعمل ".

وقال "مونتجومري وات": "من المؤكد أن الإسلام منافس قوي في مجال إعطاء النظام الأساسي للدين الوحيد الذي يسود في المستقبل ".

وقال "إدوارد مونتيه": "احتفظ القرآن بمنزلته الثابتة كنقطة البداية الرئيسة لفهم الدين، وصار يعلن دائمًا عن عقيدة توحيد الله في سمو وجلال وصفاء دائم، مع اقتناع يقيني متميز من الصعب أن يوجد ما يفوقه خارج نطاق الإسلام ".

وقال "جورج برنارد شو": " يجب أن يسمى "منقذ الإنسانية".

وإني أعتقد لو أن شخصاً مثله تولى الحكم المطلق للعالم المعاصر لنجح في حل مشاكله بطريقة تجلب له ما هو في أشد الحاجة إليه من سلام وسعادة ".

وذكر الأمير شكيب أرسلان في كتابه "لماذا تأخر المسلمون؟" بعد كلامه عن الفتوحات الإسلامية: "على أن تلك الفتوحات التي فتحوها في نصف قرن - أو ثلثي قرن - قد أدهشت عقول العقلاء والمؤرخين والمفكرين، وحيرت الفاتحين الكبار، وأذهلت نابليون بونابارت، وله تصريح في ذلك نقله "لاكاس" الذي رافقه إلىٰ جزيرة "سانتة هيلانة" وغيره من المقيِّدين لحوادث نابليون المتتبعين لأقواله، فقد ثبت ثبوتًا قطعياً من أقوال نابليون وسيرته أيام كان بمصر أنه كان معجبًا بمحمد ﷺ وعمر وبكثير من أبطال الإسلام، وأن نفسه حدثته لما كان بمصر أن يتخذ الإسلام ديناً له"[1].

ونختم بما قاله "مايكل هارت": "لكن محمداً كان هو الإنسان الوحيد في التاريخ الذي بلغ أعلى درجات النجاح علىٰ المستويين الديني والدنيوي.

وبسبب هذا الجمع - الذي لا نظير له بين الدين والدنيا - أرى أن محمداً من حقه أن يُعْتَبَر أعظم الشخصيات البارزة أثراً في تاريخ الإنسانية" .

* * *

(١) "لماذا تأخر المسلمون؟" (٢١، ٢٢) .

الباب الثالث

نظم الجهاد والحرب في الإسلام

وفيه تمهيد وخمسة فصول

التمهيد: شريعة الجهاد والحرب في الإسلام من أسمى مظاهر الرحمة والعدل.

الفصل الأول: الباعث على الحرب في الإسلام.

الفصل الثاني: الضوابط الشرعية في علاقة المسلم بغير المسلم.

الفصل الثالث: شريعة الجهاد قبل المعركة.

الفصل الرابع: شريعة الجهاد أثناء المعركة.

الفصل الخامس: حقائق ثابتة وظاهرة كنور الشمس في حرب الإسلام.

وفيه مبحثان: الأول: ما يحل وما لا يحل في القتال.

وفي المبحث الأول مسائل هامة:

أولاً: منع قتل رجال الدين.

ثانياً: منع قتل الأطفال والشيوخ والنساء.

ثالثاً: منع التخريب وإهلاك الحضارة والمدنية العامرة بكل صورها.

المبحث الثاني: احترام الإنسانية والإنسان وإن كان عدواً.

فيه: تمهيد يبين الأدلة على ذلك.

ونموذجان لعدل الإسلام ورحمته.

النموذج الأول: الأسرى وحقوقهم.

النموذج الثاني: المحافظة على حقوق رعايا الأعداء وأموالهم.

خاتمة .

الباب الثالث

أولاً: نظم الجهاد والحرب في الإسلام

تمهيد

أولاً: شريعة الجهاد والحرب في الإسلام من أسمى مظاهر الرحمة والعدل

من الثابت المقرر عند العقلاء والمنصفين من المسلمين وغير المسلمين أن محمداً ﷺ نبي الرحمة، وأنه رحمة للعالمين، وليس المسلمين فقط . لذا دعا إلىٰ الرحمة مع الخلق كافة، والرحمة الإسلامية مكفولة للجميع، وليست مجرد الشفقة والرأفة أو الانفعال بالعطف نحو جريح أو مكلوم، أو ضعيف، إنما الرحمة الإسلامية تختص بأنها الرحمة بالجماعة أولاً وبالآحاد العادلين ثانياً، والرحمة في الإسلام قائمة علىٰ أصلين مهمين:

الأول: بث التآلف والتوادّ والتراحم بين أهل الإيمان وأهل الحق، والتعاون معهم علىٰ إقامته ونصرته، وإعلاء كلمته.

الثاني: منع الظلم ودفع الأذى والغلظة علىٰ الظالمين حتى يؤوبوا إلىٰ الحق، وعلى المعتدين حتى يكفوا عن الاعتداء، وهذان الأصلان اللذان يشكلان معنى الرحمة هما المنطلق في شريعة الجهاد والحرب في الإسلام.

أستطيع أن أقرر هنا بكل يقين وثقة وموضوعية أن شريعة الجهاد في الإسلام هي الوليد الشرعي، والمظهر الأسمى لشريعة الرحمة في الإسلام، فالحرب في الإسلام لدفع الاعتداء، وإقامة الحق ورفع منارة الحرية والعدل والقضاء علىٰ الظلم والشرك والفساد.

إن الرحمة الإنسانية توجب وقف المعتدي عن الاعتداء، ومنع الظالم من ظلمه، ودفع الفساد في الأرض، وإقامة دعائم الحق، وذلك ما حققته حروب الإسلام، شهد بذلك العدو قبل الحبيب، وقد سبق مئات من شهادات علماء الغرب المعتدلين والمنصفين، توضح ذلك وتبينه، ولا ينكره إلا أعمى حاقد أو جاهل متعالم.

والله خلق الإنسان وجعل فيه نوازع الخير والشر، ولا بد من قوة لدفع الشر، ورفع لواء الخير، وصدق الله تعالى حين قال: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾ [الشمس: ٧ - ٨]، وهذا هو محور الكلام عن الجزئية القادمة.

ثانياً: حتمية الصراع بين الخير والشر، وسنة التدافع في الأرض

صدق الله تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البَقَرَة: ٢٥١].

نعم أخي القارئ، فإن الخير والشر يتنازعان في نفس كل إنسان وفي أنفس الجماعة، وبين الدول، فمع الشر الاعتداء ومع الخير دفع الاعتداء، ورفع أواصر الظلم والفساد، فإذا اعتدى الشر وجب علىٰ أهل الخير أن يدفعوا، وإذا كان العبث والفساد وجب علىٰ أهل الإصلاح أن يصلحوا، ويبينوا ويرشدوا، وإذا كانت الفضائل تنتهك وجب علىٰ الفضلاء أن يكفوا الرذيلة عن غوايتها وانتشارها واستمرارها.

هبط آدم علىٰ الأرض وتوالد نسله من بعده، والنزاع مستمر بين بنيه وكأنه قانون الحياة الذي لا مناص من الاعتراف به والإذعان لحكمه.

وصدق الله تعالى حين قال: ﴿ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البَقَرَة: ٣٦].

وكان نزول إبليس إلىٰ الأرض متسلحًا بسلاح الغواية وتحدى ربه متوعداً آدم وذريته: ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٤٠﴾ [الحجر: ٣٩ - ٤٠] فازداد النزاع حدة، واتسعت حركة الخلاف، وكثرت المطامع، وفي ابني آدم قابيل وهابيل النموذج الأول والأمثل فانتبه معي لهذا الأنموذج.

قال تعالىٰ: ﴿۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ ۚ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٢٧ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٨ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٩ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٣٠﴾ [المائدة: ٢٧ - ٣٠].

هذه المغالبة بين الخير والشر، توجب بلا ريب أن يقع النزاع، والقتل بين

الآحاد والجماعات والدول، وتلك هي الحتمية، بين الخير والشر، وتلك هي الفترة فكانت سنة الله في خلقه، سنة التدافع، فإذا الشر يعتدي فلا بد للحق أن يرد، وإذا كان الظلم يتحكم فلا بد من أن يُدْفَعَ ويُحْكم، سنة الله في خلقه: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٢].

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البَقَرَة: ٢٥١].

فمن المقبول والمتفق عليه أن الحق والفضيلة لا بد لهما من شوكة قوية، وقوة تحميهما وتمنع طغيان الرذيلة والظلم، ولذا أباحت جميع الأديان القتال دفاعاً عن النفس وعن الفضيلة، والعبادة. يقول الله تعالىٰ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الحَجّ: ٣٩].

وهذا مدخل هام للجزئية القادمة، ألا وهي أن الأنبياء علَّموا البشرية معنى الرحمة وإحياء الفضيلة، ودفع المظالم حال حروبهم، ولذا خاض الأنبياء جميعاً حروباً كثيرة لإحياء هذه السنة فإلى:

ثالثاً: الأنبياء والحروب

السؤال الذي يطرح نفسه: الأنبياء دعاة الرحمة والرشاد، لِمَ خاض بعضهم الحروب، وجاءت في كل شرائعهم سنة التدافع والقتال والجهاد؟

الإجابة: إذا تولى الأنبياء تعليم أبناء الأرض نظم الحرب والجهاد وما ينبغي أن يحدث ويسير فيها فهذا ضمان أكيد لعدم فناء البشرية، وإقامة العدل، ودحض الفساد والظلم.

وذلك لأن التزام الفضيلة والحق زمن السلم أمر يسير الحدوث لا مشاحة في ذلك ولا خلاف.

أما زمن الحرب فإن التزام الحق فيها أمر عسير، وإنه ولو كان الدافع إليها من جانب الحق فاضلاً ينبغي ألا يتجاوز الفاضل في الحرب ما توجبه الفضيلة، والتزام الفضيلة زمن الحرب وهي مقتلة بشرية تستباح فيها الدماء والأموال، أمر عسير علىٰ النفوس، وربما لا يتصور إمكانية حدوثه ووقوعه، لقد أتى الأنبياء وحاربوا الفساد والظلم ليبينوا ويوضحوا للبشرية إمكانية التزام الرحمة والفضيلة أثناء الحرب، وأن دعوى التناقض باطلة.

فلتكن الحرب لإقامة الحق ودفع الصائل والظالم، ولكنها حرب الرحمة والفضيلة.

ولقد كان تولي الأنبياء للحروب المصباح المنير الذي يبين للناس أنه يجوز - بل يجب - أن تلتقي الفضيلة والعدالة مع القتل والحرب في ميدان واحد، وبذلك الوصف ورد الجهاد والحرب في جميع الكتب المقدسة، نعم لقد كانت حروب الأنبياء هي المعلم الصادق للحروب التي تستباح فيها أنفس المقاتلين من غير خروج علىٰ نطاق الفضيلة، ومن غير تمرد علىٰ سلطان العدل الذي هو فوق كل عمل إنساني.

وقد تتنافى في الحروب وتضيع معاني الرحمة والشفقة لكن حروب الأنبياء بعيدة كل البعد عن هذا المنحى، بل أقرر - وهناك آلاف الشواهد - أن حروب الأنبياء كانت كلها حروب رحمة وشفقة وإعلاء للإنسانية بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى.

نعم فإن أمثل الحروب التي تلتقي فيها الفضيلة والعدالة والمحافظة علىٰ الكرامة والإنسانية مع القتل والقتال في ميدان واحد، والسيوف مشتجرة، والحتوف دانية، هي حروب محمد ﷺ، وهذه هي الجزئية التالية، وما سبق من بيان تمهيد لها، فإلى بيان شاف لحروب النبي محمد ﷺ.

رابعًا: حروب النبي محمد أمثل النماذج لحروب الرحمة والفضيلة

أيها القارئ الفطن، هذا هو العنوان فأين البيان ؟ سأدون لك هنا بيانًا إجمالياً، وأما التفصيل فستجده في ثنايا هذا الباب بكامله.

وفي البداية أحب أن أقرر هنا حقيقة تاريخية، ألا وهي أن حروب النبي محمد ﷺ ثابتة مسجلة في سجل الخلود، إنها هادية مرشدة، مدونة علىٰ سبيل التفصيل لكل دقائق هذه الحروب والغزوات.

هذا بعكس حروب إخوانه من الأنبياء - عليهم السلام - فإنها قد تضيع معالمها عبر الحقب والأزمنة المديدة الغابرة.

وكأن الله تعالى أراد أن يجعل سجل حروب النبي ﷺ سجلاً خالداً باقياً يُعَلِّم البشرية معنى الحرب الفاضلة، وقد شهد بذلك زمرة كبيرة من مفكري وعلماء الغرب وفلاسفته - كما وضحناه سابقاً-.

ولأن الشيء بالشيء يذكر تعالوا نلقي الضوء علىٰ حروب الآخرين في القديم والحديث.

كانت الحروب في السابق لعهد النبي ﷺ حروب شعوب لا حروب مقاتلين، يستباح فيها كل شرف وعرض، وتهلك الشعوب والبلدان، وتنتهك الحرمات في الميدان، وخارج الميدان، وما دُوِّن عن حروب الروم والفرس وحروب الإسكندر المقدوني يجعل الولدان شيباً، وتُذْهِلُ كل صاحب عقل، للقسوة والشراسة، وتدمير الحرث والنسل، أما في العصور الحديثة يكفي أن أشير إلىٰ الحرب العالمية الأولى والثانية، تذكر الإحصائيات أن عدد قتلى الحربين ٢٥٥ مليون، مائتان وخمس وخمسون مليون قتيل، واستعمال أسلحة الشامل - القنبلة النووية علىٰ هيروشيما ونجازاكي - فقتل في يوم واحد مائتان وخمسون ألفاً من شعب اليابان.

أقول: قارنوا بين هذه الحروب وبين حروب الإسلام، وحروب النبي ﷺ يتضح الفرق.

لقد عَلَّمَ النبي محمد ﷺ أصحابه المجاهدين الآتي:

- أن القتل في الحروب لا يتجاوز الميدان، وأن الحرب ليست بين الشعوب، وإنما بين الجنود في الميدان.

وهكذا فلتعلم الدنيا:

أقول أين هذا من احتلال أمريكا بلاد الإسلام والعراق ودَكِّ المدن بالطائرات والقنابل التي تصل إلىٰ آلاف الأطنان من المتفجرات، بل واستعملت الأسلحة المحرمة دولياً كما ورد في التقارير الإخبارية - قنابل عنقودية وأسلحة كيماوية وغير ذلك.

فالمجاهد المسلم لم يقتل شعباً وإنما يقتل عدوًا في ميدان القتال، ألا فليتعلم العالم.

- لم يبح النبي ﷺ ولم يجز قتل أحد لا يقاتل، وليس من شأنه أن يقاتل، كالنساء والأطفال والشيوخ، فنهى عن قتل النساء والذرية والشيوخ الذين لا رأي لهم ولا فعل في الحرب.

لقد رأى النبي ﷺ امرأة مقتولة في إحدى المعارك فغضب غضباً شديداً وقال

لقائد جيشه خالد بن الوليد: «**ما كانت هذه لتقاتل**»[1] ألا فليتعلم العالم.

كان يفرح ﷺ بحرب يكون فيها النصر بأقل عدد من القتلى سواء من أهل الإيمان أو العدو المقابل لهم، بل كان يتمنى ذلك في كل النوازل والمعارك، وكان ﷺ يقول: «**تُعْجِبُني حرب ابن العاص؛ إنها حرب رفيقة سهلة**».

هذه هي الحرب السهلة الرفيقة الفاضلة، التي بها يعلو شأن الحق، وبها يدفع الظلم، وبها تقام العدالة، وفيها وبها يكون أمن البلاد والعباد لا حروب الغاب، والتي هي السمة الغالبة الثابتة لحروب غير المسلمين مع أعدائهم.

وهذه نافذة إجمالية ألقت الضوء علىٰ حروب الإسلام وحروب النبي محمد ﷺ وباقي الباب وما فيه من فصول ومباحث سيجلي هذه الحقيقة، ويجعلها ظاهرة للعيان، وأسأل الله التوفيق والسداد لذلك، إنه نعم الولي والمعين، وهو ولي ذلك والقادر عليه.

* * *

(١) أبو داود (٢/ ٥٠)، وأحمد في المسند (٣/ ٤٨٨)، والطبراني في المعجم الكبير (٤/ ١٢)، والبداية والنهاية (٤/ ٣٣٧)، وكنز العمال (٩٣٨٢).

الفصل الأول

الباعث على الحرب في الإسلام

لقد حدد القرآن الكريم - كلام رب العالمين - وحددت سنة النبي الأمين ﷺ البواعث على الحرب، والدافع لها.

وصدق الله تعالى حين قال: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾ [البَقَرَة: ١٩٠] .

والمتتبع لنصوص القرآن والسنة يرى أن من أدبيات الحروب أن الباعث ليس فرض الإسلام بالسيف - كما زعم المخالف - وليس لفرض نظام اجتماعي بعينه، بل الباعث هو دفع الاعتداء على تلك الدعوة الكريمة، وهذا الدين العظيم.

وهنا لا بد من بيان وإقرار قضيتين مهمتين، هما في الحقيقة أصل الموضوع كله.

الأولى: نفي أن يكون جهاد النبي وأصحابه وسائر المسلمين على مدار التاريخ للإكراه على دخول غير المسلم في الإسلام.

كيف يكون ذلك وقد قال الله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٦] .

وجاءت امرأة عجوز إلى عمر بن الخطاب في حاجة لها - وهي غير مسلمة - فدعاها إلى الإسلام فأبت، فتركها عمر وقضى حاجتها وخشي أن يكون في قوله - وهو أمير المؤمنين - إكراه - فاتجه إلى ربه ضارعًا: «اللهم أرشدت ولم أكره» وتلا قوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ﴾ .

القضية الثانية: وهي أمر ثابت.

وإن شئت أن تقول: هي قضية مثبته.

وهي أن القتال لدفع الاعتداء على الإسلام والمسلمين والنصوص في ذلك كثيرة منها: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [البقرة: ١٩٤] . دفع الاعتداء أمر واجب، لكنه مصحوب

بالتقوى ؛ خشية التمادي والظلم، حرب رحمة وفضيلة.

ويقول تعالىٰ: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الممتحنة: ٨].

- قتال وجهاد لدفع الصائل والمعتدي علىٰ الإسلام وأهله.

- ومع أن القتال شُرع لدفع الاعتداء لم يأمر القرآن بالحرب عند أول بادرة من الاعتداء، أو عند الاعتداء بالفعل، إذا أمكن دفع الاعتداء بغير القتال.

قال تعالىٰ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [النحل: ١٢٦ - ١٢٧].

هذه نصوص واضحة تثبت بلا ريب أن حرب النبي ﷺ وأصحابه الأخيار من بعده لم يكن الباعث عليها إلا دفع الاعتداء ولم يكن الباعث فرض رأي أو دين.

ولكن من المسلمات أن كل مبدأ سام يتجه إلىٰ الدفاع عن العقيدة والحرية الشخصية يهم الداعي إليه أن تخلوا له وجوه الناس، وأن يكون كل امرئ حرًا فيما يعتقد، يصطفي من المذاهب بحرية كاملة ما يراه مناسباً له، وهو مسئول عن اختياره في الآخرة.

لقد حال الإسلام بجهاده وجهاد أتباعه بين الطواغيت والملوك الظلمة وبين الشعوب المستضعفة، وجعل أمر حرية الفرد والشعب فوق رغبة الطاغوت والملك، فيختار الفرد ما يشاء، لقد أعطى جهاد الإسلام الفرصة الحقيقية للمستضعفين أن يكونوا أقوياء، فيختاروا ما شاءوا، ولم يجبرهم علىٰ الدخول في الإسلام بل دخلوا طواعية، نعم كان السيف في الإسلام لرفع رايات الحقوق والحريات ولم يجبر أحداً علىٰ الدخول فيه، ولذا لم يكره النبي ﷺ وأصحابه أحداً علىٰ الدخول في الإسلام.

وأريدك أن تنتبه معي إلىٰ الطرق التي سلكها الإسلام حال الحروب، فيتضح لك ذلك.

الطريق الأول: أرسل الدعوات الدينية إلىٰ الملوك والرؤساء يدعوهم إلىٰ الإسلام، ويحملهم إثمهم وإثم من يتبعونهم إن لم يجيبوا دعوته.

وخذ رسالته إلىٰ هرقل نموذجاً:

«**أسلم تسلم وإلا فعليك إثم الأريسيين - الرعية -**» ثم ذَكَّرهم بقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ﴾ [آل عِمرَان: ٦٤].

والثابت أن هرقل كاد أن يسلم، ويعلن إسلامه لولا حبه للملك وخوفه من الرهبان.

الطريق الثاني: بعد الدعوات الرسمية أخذ يعلن الحقائق الإسلامية ليتعرف الرعايا لهذه الشعوب والدول علىٰ حقيقة الإسلام، وفي إسلام نجاشي الحبشة وبعض أهل الشام وأهل مصر خير دليل علىٰ ذلك.

الطريق الثالث: اتجه النبي ﷺ لقتال الفرس والروم بعد أن تحركوا عسكرياً للقضاء علىٰ الإسلام ودولته. وذلك لحقيقتين:

الأولى: أن الروم قد ابتدءوا فاعتدوا علىٰ المؤمنين الذين دخلوا في الإسلام من أهل الشام فكان ذلك فتنة في الدين وإكراهًا عليه، وما كان للنبي ﷺ أن يسكت عمن يحاولون أن يُخْرِجوا أتباعه عن دينهم كرهاً ولكنه اعتبر هذا العمل من جانب الروم اعتداءً علىٰ دينه وعليه لأنه صاحب الدعوة ؛ فله أن يزيل هذه الفتنة.

الثاني: أن كسرى - الفرس - عندما بلغ إليه كتاب الرسول همَّ بقتل من حملوه، وأخذ الأهبة والاستعداد ليقتل النبي ﷺ، واختار من قومه من يأتيه برأسه الشريف.

ولكن الله حال دون ذلك، فأنَّى لهذا الطاغوت وأمثاله أن يمكنه الله من سيد المرسلين ﷺ ؟!.

ومن العدل والعقل والحصافة أن يقاتل النبي ﷺ من أراد قتله لهاتين الحقيقتين، اتجه النبي ﷺ لقتال الرومان والفرس، لمنع الفتنة ولعدم ازدياد شرهم ومحاربتهم للإسلام والمسلمين.

والحقيقة أن النبي ﷺ - هنا - قد أقام شريعة الله وأمره، حين يقول تعالىٰ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩٣﴾ [البَقَرَة: ١٩٣].

يقول ابن تيمية في قتال النبي لأهل الروم: "وأما النصارى فلم يقاتل النبي ﷺ أحداً منهم حتى أرسل رسله إلىٰ قيصر وإلى كسرى وإلى المقوقس والنجاشي وملوك العرب بالشرق والشام، فدخل في الإسلام من النصارى وغيرهم من دخل، فعمد النصارى بالشام وقتلوا بعض من قد أسلم، فالنصارى هم الذين حاربوا المسلمين أولاً، وقتلوا من أسلم بغياً وظلماً، فلما بدأ النصارى بقتل المسلمين أرسل النبي محمد ﷺ سرية أمَّر عليها زيد بن حارثة، ثم جعفر ثم ابن رواحة، وهو أول قتال، وقاتل المسلمون بمؤتة من أرض الشام، واجتمع علىٰ أصحابه خلق كثير من النصارى، واستشهد الأمراء رضي الله عنهم، وأخذ الراية خالد بن الوليد، وبهذا يتعين أن قتال النبي ﷺ لم يكن إلا دفعاً للاعتداء، والاعتداء الذي حدث في عهد النبي كان علىٰ صورتين.

الأولى: أن يهاجم الأعداء النبي ﷺ فيرد كيدهم في نحورهم.

الثانية: أن يفتنوا المسلمين عن دينهم، ومن حق المسلمين علىٰ الإسلام والنبي أن يدفعوا ذلك عنهم، وأن يمكنوهم من حرية العقيدة.

وفي الصورتين نجد النبي ﷺ لا يفرض دينه ولا يكره أحداً، ولكنها حرية الاعتقاد التي هي مبدأ الإسلام الأسمى في التعامل مع الآخر.

وكذلك كان الحال مع الخلفاء الراشدين المهدِيِّين، وكلما ازداد عداء الرومان والفرس ازداد معه الفتوح وإرسال الجيوش لقتال هؤلاء الطواغيت في عقر دارهم، فحيل بين الرومان وما يشتهون، وكذا الفرس من القضاء علىٰ الإسلام، ورد المسلمون عن دينهم، بل رحب أهل البلاد التي تم فتحها بالمسلمين، وتحولوا عن دينهم طواعية إلىٰ الإسلام، وصاروا جنوداً له، تلك هي الحقائق، نقولها للمخالف، والمخالف يعرف ذلك ولكنه ينكر ويكذب ويحرف يريد بذلك أن يدلس علىٰ الناس الحقائق، ليتسنى له أن يقول: إن الإسلام انتشر بحد السيف، كَذَبَ وضلَّ وأضل، فاعتبروا يا أولي الأبصار.

* * *

الفصل الثاني

الضابط الشرعي في علاقة المسلم بغير المسلم

أقول بحول الله وقوته: سبق إيضاح أن الجهاد والحرب في الإسلام شُرِعَا لدفع الاعتداء وليس للحمل علىٰ اعتقاد معين.

ولذا فالأصل الحاكم والضابط لعلاقة المسلمين بغيرهم هو السلم، وليس الحرب، حتى يقع الاعتداء، فإن كان الاعتداء من الغير كانت سنة الدفع، والحرب لرد عدوانه، وهذا الأصل ثابت بالأدلة القاطعة المحكمة، من ذلك قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦١]. وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [النساء: ٩٤].

فالحاصل من خلال هذه الأدلة أن الأصل في العلاقة بين المسلم وغير المسلم ليست الحرب حتى يعتدي علىٰ المسلم أو الدين بأي نوع من أنواع الاعتداء، وإذا استقرأنا الوقائع من خلال السيرة النبوية وتاريخ الإسلام تأكد ذلك تماماً، فالنبي ﷺ لم يرفع سيفاً علىٰ مخالفيه حتى كان منهم اعتداء بالفعل، أو تربص بالاعتداء فمن ذلك:

كفار قريش مكث بينهم ثلاث عشرة سنة يدعوهم بدعاية الله إلىٰ التوحيد الخالص، والتطهر من أدناس الشرك، وأهوال وضلالات الجاهلية، وما ترك باباً من أبواب الدعوة إلا طرقه، وأكْثَرَ الطَّرْقَ عليه، وذلك عملًا بقوله تعالىٰ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

فالنتيجة التي حدثت أن اشتد المشركون في إيذاء النبي وأصحابه وتعذيبهم وقتلهم، وطردهم خارج بلادهم، فكان الجهاد لدفع ذلك، وكان أمر الله تعالىٰ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الحج: ٣٩].

وكان القتال مقصوراً علىٰ قريش لا يعدوهم، لأنهم هم الذين اعتدوا واستمروا

في اعتدائهم باستمرارهم على أذى المستضعفين الموحدين، الذين بقوا في مكة ولم يهاجروا، بل وجمعت قريش الجموع وجيشت الجيوش لقتالهم وغزو المدينة والقضاء على الدين بجملته.

النموذج (ب): اليهود

لم يبدأ النبي بقتالهم بعد هجرته إلى المدينة، بل سالمهم ووادعهم، وعقد معهم المعاهدات، وجعل لهم حقوقاً وأن عليهم واجبات، ولم ينقض النبي عهدهم، بل تعرضوا لنساء المسلمين في غزوة بني قينقاع، وقتلوا الرجل الذي دافع عن المرأة المسلمة وقد اعتدوا عليها في سوقهم، وعقدوا المؤامرات مع قريش لقتل النبي والمسلمين، بل ودسوا السم لقتل النبي، وذلك في طعام اليهودية، وحاولوا قتله واغتياله برمي الحجر الضخم من أعلى الحائط، وكانت الخيانة الكبرى في غزوة الخندق، والنبي ﷺ لم يعاقبهم إجمالاً بل كان يعاملهم على مبدأ "لكل حادثة منهم رد فعل مناسب، ولكل حادثة حديث" ولماذا نذهب بعيداً، لقد أمر الله تعالى في كتاب نبيه لمنابذة ومناجزة وحرب هؤلاء الخونة، قاطعي العهود، فقال تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [الأنفال: ٥٨].

النموذج (ج): النصارى

لم يحاربهم النبي ﷺ إلا بعد أن قتلوا الموحدين المسلمين في الشام، فهو لم يحارب الرومان على كونهم نصارى، بل حاربهم على كونهم معتدين رومان.

وبهذا الاستقراء التاريخي نجد النبي ﷺ ما حارب أحداً لم يعتد عليه أو لم يدر الأمر ضده، أو لم يتآمر على الإسلام مع أعداء الإسلام.

وهذه قمة الرحمة، وقمة المسالمة وقمة العدل، وليعلم المخالف الذي يعلم هذه الحقائق ثم يتجافى عنها أن عدالة الإسلام وسماحته كضوء الشمس لا تذهب ولا تضيع بإغماض العين.

* * *

الفصل الثالث

شريعة الجهاد قبل المعركة

نعم أخي القارئ إن الإسلام ونبيه ﷺ لم يسع لقتال، ولم يتمن لقاء الأعداء، ويتحكم الباعث علىٰ القتال هو دفع الاعتداء في كل حركات الجهاد والقتال من ابتدائه إلىٰ انتهائه، وإليك الدليل:

قوله ﷺ: **«لا تتمنوا لقاء العدو، وإذا لقيتموه فاثبتوا»**[1].

هذا هو المنهج؛ لا نتمنى لقاء الأعداء، وإذا اعتدوا علينا وعلى ديننا لا مناص من الجهاد وقتالهم، وحال ذلك لا يكون إلا الثبات واليقين بالنصر من عند الله أو الشهادة والجنة.

ودليل آخر: لم يبتدئ القتال في الإسلام إلا بعد تخيير المقاتِلين بين أمور ثلاثة: الإسلام أو العهد مع الجزية أو الحرب، وقد ذكرت آنفاً أنه بعد انتشار الإسلام في البلاد والأصقاع صار المسلمون في وسط أعدائهم، وكان الأعداء يتحينون الفرصة للانقضاض علىٰ الإسلام، فكان الجهاد المتزامن المتواصل.

ولم يختلف العدو أو الصديق علىٰ أن الإسلام لم يقاتل مخالفيه علىٰ غرة، بل هو يعلنهم قبل الهجوم، وإعلانه دليل علىٰ أنه لا يقصد القتال لذات القتال أو الاستيلاء علىٰ الأرض واحتلالها، أو يتحكم في مصير البلاد والعباد، بل يريد أن يأمن جانبهم، إما بالعهد أو بالإسلام أو بقطع دابر شرهم وفتنتهم، وهذا النهج سار عليه المسلمون سلفاً وخلفاً، في جميع فتوحاتهم، وإليك هذا النموذج الفريد والذي لم تر البشرية نموذجًا مثله، أو تعرف علىٰ مدار التاريخ حدثاً مثله.

- قتيبة بن مسلم قائد جند الإسلام في فتوحات ما وراء النهر والتي بلغت إلىٰ حد الصين، قتيبة يغزو سمرقند ويقاتل أهلها دون أن يعلنهم أو يخيرهم بين الإسلام أو الجزية أو الحرب فشكا وفد منهم لعمر بن عبد العزيز خليفة المسلمين، وقالوا ظلمنا قتيبة، وغدر بنا، فأخذ بلادنا، وقد أظهر الله العدل والإنصاف، فلما بسطوا

---

(١) البخاري (٤/ ٧٧)، مسلم (١٣٦٢)، أحمد في المسند (٢/ ٤٠٠)، والبيهقي في الكبرى (٤٠٠) والحاكم في المستدرك (٣/ ٣٨)، والطبراني في المعجم الصغير (٢/ ١٠).

القضية لعمر بن عبد العزيز وعلم شكواهم كتب إلىٰ واليه ذلك الكتاب: "إن أهل سمرقند شكوا ظلماً وتحاملاً من قتيبة عليهم، حتى أخرجهم من أرضهم، فإذا أتاك كتابي فأجلس إليهم القاضي، فلينظر في أمرهم، فإن قضى لهم فأخرج العرب إلىٰ معسكرهم قبل أن يظهر عليهم قتيبة".

فأجلس الوالي لهم القاضي فقضى أن يخرج العرب إلىٰ معسكرهم، وينابذهم علىٰ سواء، فيكون صلحاً جديداً أو نصراً عن عنوة، فقال أهل سمرقند: بل نرضى بما كان ولا نحدث.

فأي مثال للعدالة أروع من هذا المثال، وأي محارب يعامل محاربه هذه المعاملة، أرأى التاريخ الإنساني أن منتصراً يتخلى عن انتصاره من غير قوة تخرجه، بل يخرج استجابة لداعي العدالة، وشرعة الجهاد، وأحكام الجهاد والحرب في الإسلام هي التي دعته للخروج، والحرب هي التي دعته لترك الأرض ؛ لأنه خالفها، وخالف أحكام الجهاد لقد رأى أهل سمرقند في ذلك العدل المطلق، والرحمة التي لم يعرف التاريخ مثلها، فأبقوا القوات الفاتحة علىٰ الحال الذي كان، وآثروا العافية من القتال ؛ لأنهم رأوا عدلاً لم يسمعوا عنه ولم يشاهدوا نموذجاً مماثلاً له، ودخلوا في الإسلام أفواجاً أفواجاً طواعية.

- المشهد الثاني:

مشهد عجيب قبل المعركة وقبل الحرب تستطيع أن تستخلصه من أدعية النبي ﷺ قبل المعركة، ذلك: «**اللهم إنا عبادك، وهم عبادك، نواصينا ونواصيهم بيدك، اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم**».

دعاء عجيب ينبعث منه الرحمة وإشراقة النبوة والعدل، فهو لم يعتبر الأعداء أرجاساً، ولكنه اعتبرهم عباد الله، لقد صدر الدعاء بهذه الكلمة التي تحمل قمة وأنبل روح الإنسانية.

- المشهد الثالث: وصاياه ﷺ قبل القتال.

إليك هذه الوصية: «**لا تقاتلوهم حتى تدعوهم، فإن أبوا فلا تقاتلوهم حتى يبدؤوكم، فإن بدؤوكم فلا تقاتلوهم حتى يقتلوا منكم قتيلاً، ثم أروهم القتل وقولوا لهم هل إلىٰ الخير من سبيل، فلأن يهدي الله علىٰ يديك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت**».

وهذه الوصية لمعاذ بن جبل ﷺ وتكررت هذه الوصية لكل المجاهدين الفاتحين، وعمل بها كل المسلمين.

الرحمة كل الرحمة والفضيلة كل الفضيلة، حتى في المعركة، أرأيت أعجب من هذا، قتال لدفع الاعتداء، ثم عدم البدء إلا بعد التخيير بين ثلاثة أمور: الإسلام، الجزية، الحرب، ثم لا يبدأ القتال إلا بعد أن يبدأ العدو بقتالهم، وإسقاط شهيد منهم، وأنا أقول هنا متحدياً المخالف أن يأتي بهذه النماذج وتلك الأحكام على مدار تاريخ الإنسانية، فليبحث، ولن يجد !!.

هذه صورة عن ابتداء حرب النبي ﷺ وحروب المسلمين المجاهدين من بعده.

فاعتبروا يا أصحاب العقول، وكونوا صادقين: أدين أعظم من ذلك الدين ؟ !.

أرحمة في القتال أرحم من حرب الإسلام ؟!

لا والله، فالإسلام هو دين الرحمة ودين الإنسانية حتى في ميدان القتال والوغى.

* * *

الفصل الرابع

شريعة الجهاد في الإسلام أثناء المعركة

منهج فريد، ما علمت البشرية مثله، ومُثُلٌ وخلق، وأعاجيب من سلوك الجندي المسلم، المقاتل أثناء المعركة، ولمَ لا ونحن نرى النبي ﷺ القائد يبث ويحث، ويدفع جنوده دفعاً إلىٰ الرحمة في ميدان تغيب فيه الرحمة، وإلى رفق في ميدان تطير فيه الرقاب وتقطع، إنها حرب الرحمة، والتي ما عرفها إلا الأنبياء، ونقلوها إلىٰ أهل الإيمان.

نعم . . هي حرب رفيقة تتسم بالتأليف بين الناس، وتتسم بالمحافظة حتى علىٰ الأعداء، وأحب إلىٰ محمد - النبي ﷺ - أن يأتوه بالأعداء سالمين، قد عمر الإيمان بالحق قلوبهم من أن يأتوا إليه بالنساء والذرية سبايا، فليست حرباً وحشية، بل هي حرب نبوية، رحمة للبشرية.

أتريد الدليل ؟! اقرأ معي هذه الوصية للنبي ﷺ لجنوده أثناء المعركة، وابحث علىٰ مدار التاريخ لن تجد هدياً كهذا الهدي، ومنهجاً كهذا المنهج يقول لجنوده أثناء القتال: «**تألفوا الناس وتأنوا بهم، ولا تغيروا عليهم حتى تدعوهم، فما علىٰ الأرض من أهل مدر ولا وبر إلا أن تأتوني بهم مسلمين أحب إليَّ من أن تأتوني بأبنائهم ونسائهم وتقتلوا رجالهم**» نعم أيها القارئ الكريم، أترك لك التدقيق والتدليل، فهي حرب أرادت للمعتدي أن يهتدي، وللظالم أن يعود إلىٰ العدل، وللصائل أن يثوب إلىٰ رفق وصايا النبي ﷺ، نماذج لتعليم البشرية كيف يقاتلون، وكيف يردون كيد المعتدين، وكيف يتألفون الأعداء، ويأخذون بأيديهم إلىٰ الرحمة والرشاد، فإذا ما أصر العدو علىٰ الحرب والقتال تأتي الوصايا لتشرع القوانين، والتي تعلوها الرحمة والعدل، وترشد إليها وتثبتها، وتفعلها أرض الواقع، ميدان المعركة.

وإن بين أيدينا وصيتين، إحداهما للنبي ﷺ، والأخرى لخليفته، ومنهما يتبين قانون الحرب الإسلامية في ميدان القتال.

- **الوصية الأولى**: قوله ﷺ لجيش أرسله: «**انطلقوا باسم الله وبالله، وعلى بركة رسول الله، لا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا طفلاً صغيراً ولا امرأة، ولا تغلوا، وضعوا غنائمكم، وأصلحوا وأحسنوا، إن الله يحب المحسنين**».

عجيب أمرك يا نبي الرحمة، إحسان في ميدان تنعدم فيه الرحمة ؟ رحمة في ميدان الرعب والتقتيل ؟! شفقة في ميدان الوحشية ؟!

والمال والغنائم آخر شيء يتهالك عليه المقاتلون.

أمر بإصلاح في ميدان الفناء، أمر بالتعمير في ميدان التدمير.

تذكير بأن الحرب لنشر دين الله، ودفع المعتدين، فهي حرب بالله وفي الله، وعلى بركة اسم الله، وعلى هدي رسول الله.

الشيوخ فيها آمنون، والأطفال والنساء فيها مكرمون والأرض والشجر والحجر يسعد ويأمن، فلا حرق ولا هدم، ولا إهلاك حرث ونسل.

أين هذا من حروب الطغيان الأمريكي العالمي؟ أين هذا من إلقاء قنبلة هيروشيما ونجازاكي ؟ أين هذا من أهوال ووحشية الحروب العالمية الأولى والثانية؟ يا معشر العقلاء حَكِّمُوا عقولكم واتركوا غواية أهوائكم.

فماذا بعد الحق إلا الضلال.

- **الوصية الثانية**: وصية خليفة رسول الله ﷺ ليعلم القاصي والداني أن الصحابة ﷺ والمسلمون من بعدهم كانوا أهل رحمة وخير ورشاد، وليعلم هذا الكاذب الذي ادعى أكذوبتين لا تليقان برجل علىٰ رأس ملة يعتنقها أغلب سكان الأرض[1] أن ما قاله وما سمعه أتباعه محض أكاذيب . الأكذوبة الأولى: "أن الإسلام انتشر بالسيف" ، والأكذوبة الثانية: "أن محمداً خير البشرية لم يأت بخير بل أتى بالشر" أقول: لو أن هذا الرجل عنده مسكة عقل ما قال ذلك، ولكنها المكابرة، والمعاندة، وكراهية الكفر التي تلاحق وستلاحق أهل الإيمان علىٰ مر الأماكن والأزمان.

أيقول عاقل: إن الشمس لا تسطع بالنهار، وأن القمر لا يوجد وغاب من السماء بالليل ؟!

هذه هي وصية خليفة رسول الله ﷺ و ﷺ.

فقد روى أحمد في المسند عن يحيى بن سعيد أن أبا بكر بعث الجيوش إلىٰ الشام، وبعث يزيد بن أبي سفيان أميراً، فقاتل وهو يمشي، ويزيد راكباً، فقال: إما أن

---

(١) بابا الفاتيكان ، بندكت .

تركب وإما أن أنزل[١] فقال الصديق ما أنا براكب وما أنت بنازل، إني أحتسب خطاي هذه في سبيل الله: "إنك ستجد قومًا زعموا أنهم حبسوا أنفسهم في الصوامع، فدعهم وما زعموا، وستجد قوماً قد فحصوا أوساط رؤوسهم من الشعر، وتركوا مدها أمثال العصائب، فاضربوا ما فحصوا بالسيف، وإني موصيك بعشر: لا تقتل امرأة ولا صبياً ولا كبيراً هرماً، ولا تَقطعَنَّ شجرة مثمرة، ولا نخلاً ولاتحرقها، ولا تخربن عامراً، ولا تعقرن شاة ولا بقرة، إلا لمأكلة، ولا تجبن ولا تغلُل".

وصايا رحمة الإسلام في حربه.

- **الوصية الأولى**: لا تقتل امرأة، فهي ليست مقاتلة ولا جندية.

- **الوصية الثانية**: حفظ حياة الأولاد والأطفال "ولا صبياً".

- **الوصية الثالثة**: حفظ حياة الكبير الهرم "ولا كبيراً هرمًا".

- **الوصية الرابعة**: حتى الشجر "لا تقطعن شجرة مثمرة".

- **الوصية الخامسة**: ولا نخلًا، إشارة إلىٰ جميع أنواع الزرع.

- **الوصية السادسة**: ليس القطع فقط، بل نهى عن كل أوجه الفساد، حتى الحرق، "ولا تحرقها".

- **الوصية السابعة**: الجدران والخيام والبيوت بأنواعها، وهذا معنى "ولا تخربن عامراً".

- **الوصية الثامنة**: الشاة، "لا تقتل ولا تذبح إلا لمطعم".

- **الوصية التاسعة**: البقرة، لا تذبح إلا لمأكل، وهذا إشارة إلىٰ جميع أنواع الحيوان.

- **الوصية العاشرة**: ترك الجبن، ودفع المقاتلين للشجاعة والإقدام، وترك الإحجام.

---

(١) القائل هو يزيد بن أبي سفيان رضي الله عنه.

- **الوصية الحادية عشر**: إياك والغل، ومنها أخذ شيء من الغنائم لا يحل.

أرأيت - وأنا أقول للمفكرين والمستشرقين والأدباء والقساوسة والرهبان وعقلاء العرب والعجم والمغرب والمشرق.

إيتوني بوصايا مثل هذه علىٰ مدار التاريخ . التحدي قائم، فهل من متحدٍ، والحقيقة ناصعة، والواقع المشرق للإسلام وحربه ظاهر، فهل من مُكَذِّب ؟!.

على المخالف أن يأتينا بدليل صحيح يقبله الشرع ولا يرفضه العقل، فإن لم يأت بالدليل فلا حجة لقولٍ زائف بلا دليل ولا سند.

ونحن ديننا دين السند، ودين الوقائع والحقائق وحرية الإنسان . وفي البابين السابقين عشرات لأقوال العلماء والمفكرين في الغرب.

وأقول للمخالف: إما أن تقول عن هؤلاء العلماء الكُثر إنهم ليسوا بعلماء، إذاً النتيجة الحتمية أن الغرب ليس عنده حضارة علمية أو عقلية.

وإما أن تقول هم عندنا علماء ومفكرون، فهنا تكون الحجة قد قامت علىٰ المخالف، وما بقي عنده غير التعصب والهوى، وكيف يقبل أو يُعْقَلُ قول أهل الأهواء والهوى، والذين من شأنهم قلب الحقائق وتضليل العقول، فاعتبروا يا أولي الأبصار، وأنيبوا وارجعوا يا أصحاب الضمائر والأفهام.

الفصل الخامس

حقائق ثابتة وظاهرة كنور الشمس في حرب الإسلام

تمهيد

لقد سردتُ فيما سبق كثيراً من الأدلة الموضحة، والمبينة لمنهج الجهاد والحرب في الإسلام، وقلت - وأنا علىٰ يقين تام، وتحدَّيْتُ المخالف أن يأتينا بالنقيض المصحوب بالدليل - فإن الإسلام قد شرع الجهاد لدفع الاعتداء، ولإزالة الظلم والعدوان علىٰ الأمم والشعوب، فيكون عند الأفراد والشعوب من الحرية في اختيار أي الأديان شاء، فإما الإسلام، وإما الجزية ومقابلها يقوم المسلم بحماية الذمي والدفع والذود عنه.

هذه المنهجية الثابتة أفرزت حقائق تكلم عنها علماء الإسلام والفقهاء، وسأذكر هذه الحقائق إن شاء الله تعالى علىٰ هيئة مباحث، كل مبحث يضم حقيقة عن الجهاد والحرب في الإسلام، ليعلم القاصي والداني، الموافق والمخالف حقيقة الجهاد في الإسلام، وأقول: ما زال التحدي قائماً بأن يأتينا المخالف بدليل مقبول بخلاف رحمة الإسلام وعدله في جهاده وحربه.

المبحث الأول

ما يحل وما لا يحل في القتال

لقد دُوَّنْتُ فيما سبق بعض الوصايا قبل المعركة وأثناء المعركة علىٰ لسان النبي ﷺ وخلفائه الراشدين وغيرهم من الصحب الأمين ﷺ ولقد تبلور تصورٌ لضوابط التزم بها المجاهد المسلم علىٰ طول ومدار تاريخه إلىٰ اليوم، والمخالف يعلم ذلك، بل هم الذين خالفوا كل الأعراف والمواثيق الإنسانية في الحروب، وأدعو القارئ إلىٰ أن يعود للحروب الصليبية، وكيف كانت الوحشية المطلقة، وعدل وسماحة ورحمة الجيش المنتصر، وقائده صلاح الدين، وعلى ألسنة علماء الغرب، ليعلم الجميع، الموافق والمخالف أين تكمن الرحمة والعدل !

وأعود وأذكر بهذه الضوابط الشرعية:

أولاً: منع قتل رجال الدين.

وهذا ما أوصى به ﷺ وخليفته أبو بكر الصديق حال إرسال جنده إلىٰ الشام والتي بها هياكل وصوامع للرهبان، فمنع أن يمتد سيف المقاتل والمجاهد المسلم إلىٰ هؤلاء.

ولقد قسم أبو بكر رجال الدين إلىٰ صنفين:

الأول: الذين التزموا دون العبادة، لا يقتلون، ولا يقاتلون، وليس لهم رأي في القتال ولا تدبير، ولا مكيدة فيه، وأولئك لا يقتلون، وعلى هذا إجماع جميع علماء وفقهاء المسلمين.

يقول الإمام السرخسي معللاً ذلك: "إن المبيح للقتل شرهم من حيث المحاربة، فإذا أغلقوا الباب علىٰ أنفسهم اندفع شرهم مباشرة وتسبباً، فأما إذا كان لهم رأي في الحرب، وهم يصدرون عن رأيهم فإنهم يقتلون".

القسم الثاني: ممن تسربلوا بسربال الدين، فهم محاربون معاندون، مشعلوا الفتنة، والحرب وهؤلاء لا مناص عن قتالهم، ولو تسموا وتسبلوا وتزينوا بثياب الرهبان والقساوسة، فحكمهم حكم المحارب.

وبهذا التقسيم الذي أجمع عليه أهل الإسلام: علماء وفقهاء وغيرهم، يتبين أن المؤمن الموحد، المسلم وهو في ميدان الحرب والقتال يؤمن بحق كل متدين في القيام بعبادته، وأنهم ليحمون اعتقادهم، وإن كانوا لا يؤمنون بالإسلام.

وأقول: أين ذلك من محاكم التفتيش في أسبانيا - الأندلس سابقًا - وذبح المسلمين، وحرقهم وقتلهم، وردهم عن الإسلام، وحرق المساجد ودور العبادة ؟!

أين ذلك مما فعله الروس في الولايات التابعة لها من تقتيل وتذبيح، وحرق لدور العبادة ورد الناس عن دينهم ؟ !

أين ذلك مما يفعله المجرم الأمريكي بوش وجنوده من قذف المساجد والمدنيين بأشد أنواع الفتك من القنابل، وإذا ما سئل قالوا أخطأنا الهدف ؟!

أقول: أين ذلك من رحمة الإسلام بالعدو المخالف له، ألا فيفهم أولوا النهى والعقول.

ثانياً: منع قتل الأطفال والشيوخ والنساء . لقد نهى الإسلام، والنبي العدنان عن قتل الأطفال والشيوخ والنساء.

وإليك بعض هذه النواهي الواردة على لسان الرسول ﷺ، قال:

«لا تقتلن امرأة ولا صغيرا»[١].

«لا تقتلن ذرية ولا عسيفاً»[٢].

«لا تقتلوا أصحاب الصوامع»[٣].

«لا تقتلوا شيخاً كبيراً»[٤].

«لا تقتلوا وليدًا ولا امرأة»[٥] اهـ.

هذه هي أوامره وهديه ﷺ لجنده، وقد التزم بها جند الإسلام على مدار التاريخ.

نعم . .إن الاعتداء لا يتصور من الذرية والضعاف، فكيف يحملون اعتداء غيرهم، وليست حرب الإسلام لإفناء الأعداء، إنما هي لمنع الاعتداء، ولا يصح أن يتجاوز القتال البواعث التي بعثت عليه.

ثالثاً: منع التخريب وإهلاك الحضارة والعامر بكل صورها.

وإليك بعض هذه النواهي من رسول الله ﷺ:

«لا تقطعن شجرة»[٦]

«لا تقطعوا الأخضر»[٧]

---

(١) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر (١/ ٩٥) .
(٢) أبو داود [الجهاد (ب ١٢٠)] ، وابن ماجه (٢٨٤٢) .
(٣) شرح معاني الآثار (٣/ ٢٢٥) ومصنف ابن أبي شيبة (١٢/ ٣٨٧) .
(٤) معاني الآثار للطحاوي (٣/ ٢٢٤) .
(٥) شرح معاني الآثار (٣/ ٢٢١) .
(٦) البيهقي في الكبرى (٩/ ٩١) .
(٧) عبد الرزاق في المصنف (٩٢٠٧) .

ولهذا جاء النهي من بعده على لسان الصديق، خليفة المسلمين. ومن بعده سائر علماء المسلمين، عن قطع الشجر والنخل أو حرقه.

إنه ترك هدم العمران بكل صوره، إنه الحفاظ على الحياة بكل صورها، هذه حرب الإسلام، لم تأت لإبادة الأخضر واليابس، أو لتدمير المدن كما يفعل أعداء الإسلام الآن بأرض الإسلام.

أقول: إن غداً لناظره لقريب، وسيعم الإسلام وأهله، ولن نعاملكم بالمثل؛ لأن النبي حبيبنا وحبيب القلوب قد أمرنا بذلك.

اعتبروا يا عقلاء، وأفيقوا يا أصحاب الضمائر.

المبحث الثاني

احترام الإنسان والإنسانية وإن كان عدواً.

لقد علَّم الإسلامُ الجميعَ أن تكون الإنسانية مُكَرَّمةً في كل حال، وفي كل زمان، حتى في الحروب، وقد استبيحت فيها الأنفس وأريقت فيها الدماء، ولكن حتى لا يندهش الموافق والمخالف فإن قتال النبي ﷺ كان لدفع الاعتداء والمعاملة بالمثل، مع التمسك المطلق بالفضيلة، لا يحيد عنها، ولا يحيد عنها جند الإسلام.

وهذا هو الحرص على الكرامة الإنسانية.

ولذا ترى قوله ﷺ: «**إياكم والمثلة**».

والمثلة: التمثيل بجثث القتلى من الأعداء.

فلا تشويه للقتلى، ولا تشويه لأجسامهم، وكان ينهى عن القتل عطشاً وجوعاً، وينهى عن سلب أموال المقاتلين، نعم . . فالإسلام جعل الكرامة وصفاً للمقاتل في ميدان القتال وميدان السلم.

قال ﷺ: «**ليس منا من انتهب أو أشار بالسلب**»[1].

هذا هو الإسلام وشريعة القتال فيه.

---

(١) الطبراني في المعجم الكبير (١٢/١٠٧).

ولمزيد البيان والتفصيل سأتكلم بإذنه تعالى عن نموذجين لهذه الرحمة وهذا الرفق في الحرب المسلمة.

الأول: الأسرى. **الثاني**: رعايا الأعداء وأموالهم.

النموذج الأول: الأسرى

جاء الإسلام ودعا إلىٰ الرحمة والرفق في ميدان لا يعرف الرحمة، ميدان نيران ؛ الحرب فيه ملتهبة ومشبوبة في قلوب المقاتلين، والغيظ يتحكم فيندفعون إلىٰ الأذى يلحقونه بأولئك الذين عنت رقابهم ويشفون غيظهم فيهم.

وهنا يأتي النبي ﷺ ليضع تشريعاً وقانوناً لم تعرفه الدنيا من قبل، وقد تعلمته الدنيا من شريعة الإسلام، ألا وهو قوله ﷺ : **«استوصوا بالأسارى خيراً»**[1].

لقد تعلم المجاهدون المسلمون بهذا نوعين من الجهاد:

أولهما: جهاد في ميدان المعركة، حيث بيع النفس والمال والتضحية بهما في سبيل الله تعالى.

ثانيهما: جهاد غضب النفس، فلا يتحكم في النفس سوى الانتقام، والتشنيع والتمثيل بالأسرى.

وهنا نطرح السؤال لينتبه إليه الأذهان:

ماذا يصنع الإسلام بأسرى الحرب ؟

أيصنع كما صنع غيره من استعباد الأسرى، وتحميلهم ما لا يطيقون كما فعلت أمريكا بالعبيد والسود ؟! أيقتلهم ويذبحهم انتقامًا وغضباً، كما فعلت جيوش الإفرنج وغيرها بالأسرى المسلمين علىٰ تاريخ طويل، والحروب الصليبية مليئة بنماذج كثيرة لذلك ؟!

الإجابة من خلال كلام ربنا جل وعلا، ومن خلال شرعة الإسلام السمحة بنصوص قاطعة لا غبار عليها.

من ذلك قوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [محمَّد: ٤] .

---

(١) الطبراني في المعجم الصغير (١/١٤٦) ومجمع الزوائد (٦/٨) وكنز العمال (١١٠٣٦) .

وترى من هذا أن النص القرآني يخير بين أمرين لا ثالث لهما:

الأول: إما أن يمن القائد أو ولي أمر المسلمين على الأسرى بالحرية إذا لم يكن فداء من مال أو نفس.

الثاني: أن يفتدي الأسرى بمال أو بأسرى مثلهم من المسلمين، وهذا ما يسمى في لغة العصر الحالي "تبادل الأسرى".

وأقول: إنه نوع من الفداء يصير، وهذا يرد على المخالف أن الإسلام دين قتل وسيف، بل هو رحمة، وإنه وصل بتشريعاته إلى أرقى الحلول، والتي يظن الآخر بأنه أبدع وأجاد.

وإذا انتقلنا إلى السنة النبوية لا نجد نهياً صريحاً عن الاسترقاق، ولكن النبي ﷺ لم ينشئ رقاً على حرٍّ في عهده قط، ولقد حدث أن أصحابه سَبَوْا السبايا في غزوة بني المصطلق واسترقُّوهم، فلم ينههم بصريح العبارة، ولكن عمل عملاً كان من شأنه أن حملهم على فك رقاب الأسرى جميعاً، وجاءت الأحاديث أن رسول الله ﷺ لما انصرف من غزوة بني المصطلق كانت معه جويرية بنت الحارث، والتي كانت من الأسرى، فدفعها عليه إلى رجل من الأنصار تكون في ضيافته، وأمره بإكرامها، وقد عاد رسول الله ﷺ فأقبل أبوها الحارث ابن أبي ضرار ليفتديها، ، ولكن النبي ﷺ بعد افتدائها وإسلام أبيها طلب يدها، فتزوجها النبي ﷺ، وقد قالت أم المؤمنين عائشة راوية الخبر: "وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله ﷺ قد تزوج جويرية بنت الحارث ابن أبي ضرار فقال الناس أصهار رسول الله، وأرسلوا ما بأيديهم من الأسرى الذين استرقُّوهم، فلقد أعتق بتزوجه ﷺ إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق، فما أعلم امرأة أعظم على قومها بركة منها".

ولقد جاء من بعد ذلك عصر الصحابة رضوان الله تعالى عليهم وقد اشتد فيه الالتحام بين المسلمين والروم في الغرب، والمسلمين والمجوس في الشرق، كان استرقاق الأسرى نظاماً متبعاً في حروب هذه الأمم، وقد أسروا فعلاً من المسلمين واسترقوهم، وباعوهم، وقد سار أولئك المسلمون على المعاملة بالمثل فاسترقوا كما استرق أعداؤهم، ولم يكن من المعقول أن يكون الأسرى من المسلمين أرقاء في أيدي أولئك الأعداء، وأسرى الأعداء يكونون أحراراً، فإن ذلك يدفع الأعداء إلى استمراء تلك المعاملة والاستمرار فيها، ولم يجد القُوَّاد العرب نصاً نبوياً يمنع

من الاسترقاق، ولا نصاً قرآنياً صحيحاً ينهى عنه، ووجدوا قانون المعاملة بالمثل يوجب أن نرد الاعتداء بمثله، فإذا كانوا يعتدون على حر ويسترقونه فإنه يوجب استرقاق أسراهم أيضاً عملاً بقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [البقرة: ١٩٤]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ﴾ [البقرة: ١٩٤] وبتطبيق ذلك القانون العادل يكون على المجاهدين أن يسترقوا كما يسترق أعداؤهم، والإثم في الحالين واقع على المعتدي، فليس المدافع كالمعتدي.

ولقد كان المسلمون عدولاً مع خصومهم تنفيذا لأوامر دينهم؛ فإنهم وقد أجازوا لأنفسهم الاسترقاق مضطرين قد سَوَّغوا مثل ذلك لأعدائهم إذا استرقوا المسلمين، فاعتبروا فعل أعدائهم وهم معتدون مسقطاً للحرية عمن يسرقون من مقاتلي المسلمين، فمع أن أعداءهم هم الذين ابتدأوا فاسترقوا وجعلوا الآدميين كالسلع تباع وتشترى، ورد عليهم المسلمون بالمثل اعتبروا من يجري عليه الرق من أسرى المسلمين رقيقاً يباع ويشترى، بل أجازوا بيعه في دار الإسلام.

فلو جاء المسلمون بأولئك الأسرى من المسلمين الذين استرقوا اشتروهم منهم، ولو كان هذا بعد انتصار المسلمين، وبعد أن صارت لهم الكلمة العليا.

وإن ذلك يخالف القانون الذي سنه الغرب اليوم، وقوادهم الذي يقول بلسان المقال ولسان الحال: "ويل للمغلوب".

فالإسلام لا يقرر ذلك ولا يقول به، بل يقول: الحرية ودفع الرق بشتى الوسائل للمغلوب.

انظروا إلى ما صنع الغرب بعضهم ببعض بأسرى الحربين العالميتين، الأولى والثانية: قتل وتنكيل واعتقالات وحبس في السجون لسنين طوال، وانظروا كيف عامل الإسلام الأسير، سعى إلى فك الرق عنه وعامله معاملة حسنة، كأي مسلم له من الحقوق والواجبات، وهناك عشرات الأحاديث التي توصي بالأسير وحسن معاملته.

وعلى أولئكم الذين يملئون أفواههم فخراً بالمدنية الحاضرة ومحاربتها للرق أن يلتفتوا التفاتة صغيرة إلى تلك المعاملة الظالمة من الغرب للأسرى وبين معاملة الإسلام للأسير.

❊ ❊ ❊

النموذج الثاني

رعايا الأعداء وأموالهم

كررت المقال وقعدته بالأدلة على أن الإسلام لم يطلب الحرب ابتداء ولم يعتد في حروبه، بل هو المعتدى عليه، وأن الباعث على القتال في الإسلام هو رد الاعتداء، وأن الأمر مقصور على ميدان القتال ؛ فالحروب الإسلامية لم تكن يوما حروبًا على الشعوب، وإنما حروباً على الطواغيت الظلمة، ليخلوا وجه الناس ويختاروا ما شاءوا.

ولذلك لا تنقطع العلاقة بين المسلمين والرعايا في هذه البلاد التي فتحها الإسلام، وإذا أردت أن ترى الفرق فلتضع مقارنة في أمر واحد، فإن البلاد المحاربة في هذا الزمان ترى مصادرة أموال الدول واحتجازها مما يضيع الحقوق، ويذهب بأقوات الناس ومصادرهم.

أما الإسلام فلم يقرر ذلك ولم يصنعه، بل يقرر أن العلاقات والمعاملات التجارية بين الشعوب لا تقطعها الحروب . فأين ذلك من مصادرة أمريكا لأموال المسلمين وغير المسلمين بحجة وفرية وكذبة كبيرة ألا وهي الحرب على الإرهاب.

ويقرر أيضاً أن التجار غير المسلمين الذين يدخلون الديار المسلمة هم مستأمنون، وقد أُعْطُوا عقد الأمان.

وخذ هذا النموذج:

قال ابن قدامة في المغني: إذا دخل حربي دار الإسلام بأمان فأودع ماله مسلماً أو ذمياً أو أقرضهما إياه ثم عاد إلى الحرب نظرنا، فإن دخلها تاجراً أو رسولاً أو متنزهاً أو لحاجة يقضيها ثم يعود إلى دار الإسلام فهو على أمانه في نفسه وماله ؛ لأنه لم يخرج عن نية الإقامة بدار الإسلام، فأشبه الذمي، وبقي ماله ؛ لأنه بدخوله دار الإسلام بأمان يثبت الأمان لماله، فإذا بطل في نفسه بقي في ماله لاختصاص المبطل بنفسه، فيختص البطلان بنفسه " .

فالمال مصون محترم، ولو دخل الميدان، وحينئذ تباح نفسه، بل أكثر من ذلك أنه لو مات التاجر المستأمن الذي عقَدَ عقْدَ أمان مع المسلمين - في دار الحرب - أو

قتل في الميدان محارباً المسلمين لا تذهب عنه ملكية ماله، وتنتقل إلىٰ ورثته، وذلك عند جمهور الفقهاء، ولم يخالف إلا الشافعي.

والفقهاء لا يقررون مصادرة الأموال إلا في حالة واحدة، وهي ما إذا حارب المسلمين، وأُسِرَ واسترُقَّ، فإن في هذه الحالة تزول عنه ملكية ماله ؛ لأنه صار غير أهل للملك، ولا يستحق ورثته شيئاً.

وأنقل هنا نصًا للسرخسي إمام الحنفية يبين احترام المسلمين لمال المحاربين: "إذا بعث الحربي عبداً له تاجراً إلىٰ دار الإسلام بأمان فأسلم العبد فيها بيع بيعاً وكان ثمنه للحربي ؛ لأن الأمان يثبت له في مالية العبد حين خرج العبد بأمان منقادا له . ولو كان المولى معه فأسلم - أي العبد - أجبر علىٰ بيعه، وكان ثمنه له، فكذلك إذا لم يكن المولى معه، وقلنا يباع لإزالة ذل الكفر، ويكون ثمنه للحربي للأمان له".

وإن هذا النص الفقهي يفيد التسامح من ناحيتين:

الأولى: إعطاء الأمان للعبد، وإن جاء في غير مصاحبة مالكه، ولو كان مالكه يقاتل في ميدان القتال، وذلك لأن العبد آدمي، وله كل حقوق الآدميين، فإذا كان غير مسلم وكان حربياً فإن ذلك لا يخل بآدميته، ولا يمنع من أن يعطى الأمان كالحر، وتلك سماحة الإسلام بالنسبة للأرقاء.

الناحية الثانية: أنه إذا أسلم العبد يكون إسلامه قوة للمسلمين، ولكن مع إسلامه وصيرورته في عداد المسلمين وقوتهم برزت العدالة الإسلامية علىٰ أكمل ما تكون، فإن ثمنه حق الحربي - وقد يكون مقاتلاً للمسلمين - لا يضيعه الإسلام ؛ ولذلك كان علىٰ المسلمين أن يحتفظوا بثمن العبد ليقبضه صاحبه أو ليقبضه ورثته.

وبهذه الأحكام وأخواتها فقد قررت شريعة الإسلام هذه الحقائق التالية، وهي ملخصها أن حرب النبوة وحروب الإسلام كانت حروب رحمة وعدل وخير للبشرية، فإلى هذه الحقائق.

الحقيقة الأولى: يقسم الإسلام غير المسلم إلى:

محاربين.

مسالمين.

فالأول: يشرع قتالهم.

والثاني: لا يشرع قتالهم سواء كانوا أهل الذمة أو من أهل الصلح والهدنة.

الحقيقة الثانية: تخيير العدو عند قتاله بين خصال ثلاث: إما الإسلام أو الجزية أو الحرب، بل لا يبدأ القتال إلا بعد التخيير، وقد سبق بيان الفضيلة في ذلك.

الحقيقة الثالثة: عدم إكراه العدو علىٰ الدخول في الإسلام.

الحقيقة الرابعة: احترام وتعظيم الصلح والذمة، والهدنة، وعدم التعرض لدماء أهل الذمة وأموالهم، وليس في شيء من الأديان الأخرى ما في الإسلام من تعظيم أهل الذمة ووضع الحقوق لهم وعليهم.

الحقيقة الخامسة: النهي عن قتل غير المقاتلين والشيوخ والنساء والأطفال، والنهي عن تخريب الديار والأموال، والنهي عن التمثيل بالمقاتلين إلا علىٰ سبيل المماثلة، ومعاملتهم بالمثل.

الحقيقة السادسة: النهي عن استباحة البلاد والعباد حين الانتصار، بل يلزم الكَفُّ مباشرة إذا صالح العدو أو دخل الإسلام.

الحقيقة السابعة: الكف عن الخصم في ساحة المعركة إذا أظهر العدو الإسلام ونطق بالشهادتين، وعدم التعرض له مهما فعل من الجنايات، ويعصم دمه وماله.

الحقيقة الثامنة: إذا حصل من العدو خيانة أو هم بخيانة وقرر إجلاؤه أمهل فترة، من الزمن لإجلائه ليجمع ماله ويهييء أمره، ولم يؤمر بالجلاء في الحال.

الحقيقة التاسعة: إذا حصل نقض للعهد من بعض النصارى ولم يتواطأ الجميع لم يقاتلوا ويؤاخذوا جميعاً بجريرة بعضهم، بل يعاقب من يحصل منه ذلك، كما أفتى بذلك العلماء في نصارى طرسوس ونصارى قبرص ونصارى جبل لبنان، والشواهد كثيرة في التاريخ.

الحقيقة العاشرة: الالتزام بالعهود والمواثيق في الحرب، والنهي عن الغدر مهما كان العدو.

الحقيقة الحادية عشر: استقبال المستأمن وتعظيم حرمته مهما كان، وإكرامه وحمايته حتى يرحل.

الحقيقة الثانية عشر: مشروعية الجوار من كل مسلم ولو كان المجير امرأة، وتعظيم حرمة من أجاره المسلم وعدم التعرض له.

وقد تخلق بهذا القادة والعلماء والولاة، فضربوا أروع الأمثلة في العدل والإنصاف مع خصومهم وخصوصاً في عصر النبوة وعصر الخلافة الراشدة، وما تلا بعدها، وقد نعم بذلك النصارى في كثير من البلدان، وكانوا يخضعون لحكم الإسلام زماناً طويلاً آمنين مطمئنين، يبذلون الجزية مقابل حفظ حقوقهم وأموالهم وحمايتهم، وقد آثروا بقاء حكم المسلمين في بلادهم لعدلهم ومساواتهم بغيرهم، بل دلت الوقائع علىٰ أن بعض النصارى كانوا يستغيثون بالمسلمين ليخلصوهم من ظلم الطائفة الأخرى من بني جنسهم، وآخرون من النصارى، كانوا يثقون بالمسلمين في عهودهم، ويتبادلون المصالح معهم.

وأقول للمخالف: ولقد كان النصارى علىٰ خلاف ذلك، عُرفوا في كثير من حروبهم بالظلم والتعدي والوحشية، ولم ينس التاريخ أبداً جنايات ووحشية محاكم التفتيش في الأندلس وغيرها.

وأخيراً أقول للبابا - بابا الفاتيكان: لقد خالفت كل قواعد العقل والمنطق، وابتعدت عن الأمانة والحياد، ولقد غيرت وخلطت بين الأوراق، وكذبت صراحة، وأردت أن تشوه صورة الإسلام ونبيه، ولكن هيهات هيهات، وهل يخفى القمر ؟!

وأعيد الكرة، فإما أنك تجهل حقيقة الإسلام ونبيه، فالسؤال الآن: لم تجرأت وكذبت، وتحدثت عما تجهل، والجهل بالإسلام في حد ذاته عيب، ويزداد الأمر سوءاً إذا كان الجاهل علىٰ رأس ملة تدعي الحوار والمحبة والثقافة.

وإما أنك تعلم فأردت أن تخفي نور الشمس - شمس الإسلام - برداء البابوية.

وإما أنك تكره الإسلام، وتسير في ركاب من يريد إزالته من الوجود، وقد أصابك حمى المرض المنتشر في أوربا والغرب - فوبيا الإسلام - فإن الحال أن ندعوك وندعو جميع القساوسة للمناظرة العلمية المجردة، فيتبين الحق من الباطل.

وأصدع هنا بقول الله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [البقرة: ١٤٦].

* * *

الخاتمة

نعم أيها القارئ اللبيب، إنه الإسلام، دين الرحمة والمساواة والعدل، والقيم والفضائل، دين غزا أوربا بلا حرب، دين اقتحم عقول الغرب بلا استئذان ؛ لما فيه من رحمة وهداية للبشرية، وجد فيه الغرب كل المفقود عندهم، من راحة نفسية وتآلف وتناغم مع الحياة، وسعادة في الدنيا تعقبها سعادة الآخرة لم يعرف الغرب هذه الحقائق إلا حينما عايش ولامس حقائق وأنوار شريعة الإسلام، وهدي نبيه ﷺ.

ومن العجيب أنه بدل أن يدخل هؤلاء في دين الله أفواجاً أصاب الكثير منهم "حمى وفوبيا الإسلام".

جن جنون هؤلاء، وأصيب الكثير منهم بهستيريا مهاجمة كل ما هو مسلم وعربي، وقاد بابا الفاتيكان ذلك الفصيل، وخرجت من فمه تلك البذاءات والجهالات.

أقول له: أنت سألت وقلت: أرني شيئاً جديداً أتي به محمد، فلن تجد إلا ما هو شرير ولا إنساني ..؟

سألت وأجبت بكذبة كبرى، لا تليق برجل مسئول علىٰ رأس طائفة كبيرة، بل هي أكبر طوائف النصارى قاطبة.

وأنا أقول لك: إن هذا الكتاب أجاب عليك بأحد أمرين:

الأول: إن كنت تجهل ما هو الإسلام ومن هو نبيه أقول تعلم من أقوال ما دونته لك من عشرات أقوال علماء ومثقفي الغرب المنصفين والمعتدلين.

والثاني: إن كنت تعلم فما هي الحجة أمام أهل ملتك ؟ وهل يليق برجل مثلك أن يكذب، أو يدلس أو يزور الحقائق ؟

أقول لك: ما قاله الجميع، وأجمع علي صحته من المسلمين وغير المسلمين: "إن محمداً تجسيد للكمال الإنساني".

هذا ما شاهده علماء ومفكرو الغرب الغرب المعتدلين، والذين تجردوا وعاشوا حقيقة الإسلام وقادتهم يقظة الضمير إلىٰ الصدع بذلك الحق الأبلج.

يرى هؤلاء في شخصية النبي ﷺ نموذجاً متكاملاً لنوع من الكمال الإنساني الذي لا يمكن للغرب بأفكاره ونظرياته وممارسته أن يصل لها، وعند هذا الفريق من الغربيين الصدع بالحق عندهم أولى من السير في ضلالات التعصب، والذي يذهب معه الحق.

وفريق آخر علم هذه الحقائق، فكان همه الأكبر القضاء علىٰ هذا النموذج، وتشويه صورته.

فكانت حياة محمد تمثل ذلك الضمير الذي يوخز الغرب في جنباته، وكأنه مرآة، داكنة توضح لهم بالدليل الواقعي مدى التردي الذي وصل إليه حال الشخصية الغربية نتيجة لابتعادها عن النموذج المحمدي.

إنه الإسلام ونبيه العدنان، وتلك الحقائق الساطعة التي أنارت الدنيا، شهد بذلك القاصي والداني، وكل يوم يمر يعلو فيه شأن الإسلام ويكثر معتنقوه، وتزداد أعداد المسلمين كل يوم.

وأختم بحديث تميم الداري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل به الكفر**».

وإنا بهذا الخبر نؤمن، وبالموعود نصدق، وعز الإسلام قادم لا محالة، وضياؤه سيذهب بظلمات الكفر والإلحاد، والله علىٰ أمره غالب.

هو نعم المولى ونعم النصير، هو بكل جميل كفيل . وصلى الله علىٰ سيدنا محمد، نبي العالمين وسيد الأولين والآخرين.

كتبه

أبو عبد الرحمن

جمال بن محمد بن محمود

* * *

فهرست بالمنصفين للإسلام في الغرب

١ - آدم أوليفر كلاوس / رئيس مجلس حقوق الإنسان بألمانيا الشرقية / أسلم منتصف عام ١٩٩١م . ٤٨

٢ - آدم ميليفكس / شاعر بولندي (١٧٩٨ - ١٨٥٥) ١١٦

٣ - إدوار جيبون البلجيكي (١٧١٥ - ١٧٨٣) ٢٠٨/١٧٨/٨٤

٤ - إدوارد جيرجيان / مساعد وزير الخارجية الأمريكي لشئون الشرق الأدنى ٥٦

٥ - إدوارد لين الإنجليزي / مستشرق (١٨٠٣ - ١٨٧٧) ١٢٩

٦ - إدوارد مونتيه / مستشرق سويسري (١٨٥٦ - ١٩٢٧) ١٤٣

إدوارد مونتيه السويسي (١٨١٠ - ١٨٨٢) . . . ١٦٨

٧ - آرلونوف الروسي / رئيس مجلة الثقافة الروسية ١٧٣

٨ - أريك بتتسام الأسباني / مستشرق أسباني (١٨١٥م - ١٨٨٧م) ١٧١

٩ - المؤرخ / أريك بتام الأمريكي / مبشر مسيحي ١٦٤

١٠ - المسيو / إسحاق أميل برنامكام الفرنسي (١٨٥٧ - ١٩٢٤) من مشاهير كتاب القرن التاسع عشر الميلادي ١٤١

١١ - إسحاق تيلر الفرنسي / مستشرق فرنسي (١٨١٠ - ١٨٩٧) ١٢٥

١٢ - الأب / إسكندر دوماس الفرنسي (١٨٠٣م - ١٨٧٠م) ١٤٥

١٣ - أشعيا - يومان / مبشر مسيحي ١٥

١٤ - ألبير تشاردور / مبشر ومستشرق مسيحي . . ١٦

١٥ - المستر / ألبير إنكو لوبيديا / مستشرق أسباني (١٨١٠م - ١٨٧٢م) ١٧١

١٦ - الدكتور/ ألتر بتكين اليوغسلافي (١٨٣٣م - ١٩٠٧م) ١٨٣

١٧ - ألفريد ألفانز البلجيكي / دكتور في علم النفس ومؤرخ ١٧٨

١٨ - ألفريد مارتين/ مؤرخ ٤٣

١٩ - د / ألفريد ولش/ أستاذ التاريخ وعلوم الدين الإسلامي بجامعة متشجان الأمريكية ٤٦

٢٠ - الفنان الفرنسي / ألفونس إتيين دينيه ولد ١٨٦١م من كبار أهل الفن، له لوحات نفيسة في متحف لوكسمبرج ١٩٦

ألفونس دي لامارتين ١٤٤

٢١ - ألكسندر بوشكين/ شاعر روسي كبير (١٧٩٩م - ١٨٣٧م) ١١٦

٢٢ - دكتور / الهر ماركوس / الألماني/ دكتور في الفلسفة ومؤرخ (١٨١٨م - ١٨٨٤م) ١٠٨

٢٣ - الشاعر السوري / إلياس فامور / شاعر وأديب (١٨٩٧م) ١٨٨

٢٤ - الدكتور / أليسون بالمر عالم الجيولوجيا الأمريكي ٣٢

بالمر الإنكليزي ١٢٤

٢٥ - كريستينا لين جرايس/ مواطنة أمريكية أسلمت وسمت نفسها: أميرة عبد الله . . . ٦١ - ٦٢

٢٦ - الشاعر اللبناني/ أمين بك نخلة ١٨٥

٢٧ - أنا ماري شيمل/ أعظم من أنصف الإسلام في ألمانيا / مستشرقة كبيرة حازت على جوائز دولية عديدة ١١٨

٢٨ -العلامة الكبير غوستاف لوبون الفرنسي (١٨٤١-١٩٣١) ١٤٢
٢٩ - أنطوني ناتنج ١٧
٣٠ - أورينج / المؤرخ الأمريكي الكبير ١٦٣
٣١ - أتينان دينيه ٣١
٣٢ - إيفيلين كوبرلد / الليدي وشاعرة كبيرة إنجليزية ١٢٣
٣٣ - إيلياس جون حبيب/ مستشرق إنجليزي / من أشهرهم / توفى (١٩٠٣م) ١٢٣
٣٤ - إيليوس جرماتوس / المجري/ أستاذ بجامعة بوادابست - المجر ١٨١
٣٥ - أيوجين رستو / رئيس قسم التخطيط في وزارة الخارجية الأمريكية ومساعد الرئيس جونسون للشرق الأوسط (١٩٦٨م) ١٣
٣٦ - بالمر / مستشرق إنجليزي (١٧٩٥ - ١٨٨٣م) ترجم القرآن للغة الإنجليزية ١٢٤
٣٧ - باول شمنتز / مؤلف كتاب: الإسلام قوة الغد العالمية ٣٣
٣٨ - برتلي سانت هيلر / مستشرق ألماني / ولد في درسدن (١٧٩٣م - ١٨٨٤م) ١٠٩
٣٩ - برتملي هربلو/ مستشرق فرنسي (١٦٩٥ - ١٧٧٦) ١٥١
٤٠ - برنارد شو / من أشهر كتاب ومفكري إنجلترا (١٨٥٦م - ١٩٥٠م) ..... ٣٧، ٥٤
٤١ - د/ برنارد لويس - حصل على الدكتوراه من جامعة لندن ١٩٣٩م أستاذ دراسات الشرق الأدنى ..... ٧٢، ٢١٠
٤٢ - برسوت سميث / عالم إنجليزي كبير، من كبار رجال الفكر ومن أكبر علماء الكيمياء (١٨٥١ - ١٨٩٢م) ١٢٧
٤٣ - بولس سلامة / الشاعر اللبناني الكبير وله قصائد رائعة عن الإسلام والنبي ﷺ ٩٩
٤٤ - بندلي جوزي السويسري / مستشرق سويسري كبير (١٨٠٣م - ١٨٨٣م) ١٦٥
٤٥ - بودلي / المستشرق الإنجليزي المعروف ٨٩
٤٦ - بودلي / ر. ف . بودلي المستشرق السويسري ١٦٦
٤٧ - بورسورث سميث / مؤرخ إنجليزي كبير (١٨٣٣م - ١٨٩٧م) ومستشرق معروف ٣٩
٤٨ - بول ديورانت / المستشرق والمفكر الكبير ١١٨
٤٩ - بشارة الخولي اللبناني / صاحب جريدة البرق ٩٧
٥٠ - بيدو / وزير خارجية فرنسا أيام الحرب في مراكش ١٤
٥١ - بيرودج / الأمريكي / رئيس الجامعة الأمريكية في لبنان ١٦٤
٥٢ - أتيه بيساني / مؤلف كتاب: إحياء تعاليم محمد ٤٢
٥٣ - السير/ تشارلز إرمان البريطاني / مؤرخ بريطاني معروف (١٨٨٦ - ١٩٤٠)م ١٢٦
٥٤ - تورتو كرو. الأسباني / مستشرق أسباني (١٨١٠م - ١٨٧٥م) ١٧٠
٥٥ - تولستوي/ فيلسوف روسي كبير (١٨٢٨ - ١٩١٠م) ٧٥
٥٦ - توماس أرنولد / المستشرق المعروف .. ٤٤
٥٧ - توماس كارليل (١٧٦٢ - ١٨٠٥) مستشرق إنجليزي - أحد كبار كتاب الإنجليز، أستاذ في جامعة كمبردج بريطانيا ٧٦

٥٨ - تيودور تولدكه / الألماني / من أكبر المستشرقين الألمان ١٠٩
٥٩ - جاك استروي / مستشرق معروف ٦٠
٦٠ - جان بول سارتر ١٥
٦١ - جان تورتون كرو / مستشرق فرنسي (١٨٦٧ - ١٩٢٤)م ١٥٣
٦٢ - جان ليك / الأسباني / مستشرق (١٨٢٢م - ١٨٩٧م) ١٧٢
٦٣ - جان ميكائيليس / مستشرق روسي (١٧١٧ / ١٧٩١) ١٧٤
٦٤ - جان ويليم درببر ٣٨
٦٥ - الشاعر/ جايتي الألماني / شاعر معروف ١٠٨
٦٦ - جرجي زيدان المؤرخ المعروف (١٨٦١ - ١٩١٤م) مؤسس دار الهلال ١٩٣
٦٧ - جرونيبام / له كتاب "الإسلام" ٢٠٧
٦٨ - جوته / الشاعر الألماني والفيلسوف الكبير (١٧٤٩ / ١٨٣٢) من أروع من أنصف الإسلام وقالوا عنه أنه أسلم ١١٠
٦٩ - جواهر لال نهرو الهندي / رئيس وزراء الهند ١٧٤
٧٠ - جورج جرادق اللبناني / بحاثة وكاتب شهير بلبنان ١٨٥
٧١ - جورج دي تولدز الأمريكي (١٨١٥ - ١٨٩٧) رئيس بنك شيكاغ التجاري ١٦٣
٧٢ - جورج سيمون ١٠٣
٧٣ - جورج وينتز / باحث ومترجم أمريكي .. ٥٧
٧٤ - جورج بروك / عضو البرلمان الإنجليزي ١٢٧
٧٥ - جول لابوم الفرنسي / مستشرق مشهور وضع فهرس للقرآن المترجم (١٧٩١ - ١٨٦٨م) ١٤٥
٧٦ - جولد تسيهر الأسباني / مستشرق أسباني (١٨٣٦ - ١٩٠٣) ومؤرخ معروف وهم من أحقد المستشرقين على الإسلام وأهله ١٧٠
٧٧ - جولد زيهر ٥٦
٧٨ - جون اوبرت فول ٥٧
٧٩ - جون أروكس / الإنجليزي ١٢٣
٨٠ - جون ديفر / البحاثة الأرجنتيني (١٨٤٥ - ١٩١٧)م ١٨٠
٨١ - جون ديفو الإيرلندي / مستشرق معروف توفى (١٩٠٦م) مؤرخ وعبقري رياضيات ... ١٧٩
٨٢ - جون ديفولبوت / مستشرق بريطاني (١٨٣٢ - ١٩٠٢) وهو من علماء الجيولوجيا والطبيعة ١٢٩
٨٣ - جيبون / إدوارد جيبون / أديب إنجليزي وعضو برلمان ٨٤
٨٤ - حنا دا كنبرت - السويسري / مستشرق كبير (١٨٣٦ / ١٩١٢) ١٦٦
٨٥ - الأستاذ / حنا خير الله اللبناني / أديب وشاعر لبناني ١٨٧
٨٦ - خوان فيرنيت / مستشرق ٥٢
٨٧ - داز الإنجليزي / مستشرق ومؤرخ إنجليزي (١٨٣٣ - ١٩٠٧) مستشرق ١٢٨
٨٨ - دوزي / صاحب كتاب ملوك الطوائف .. ٨٧
دون بايرون الأرجنتيني (١٨٣٩ - ١٩٠٠) مستشرق معروف ١٨١
٨٩ - ديتريش دينفر / مفكر ألماني شهير ٥٣
٩٠ - دي سلان ماك فموكين الفرنسي / مستشرق (١٨١٠ - ١٨٧٩) واضع فهارس محفوظات المكتبة الوطنية باريس وترجم مقدمة ابن خلدون ١٤٩
٩١ - ديسون الفرنسي / مؤرخ كبير .. ١١٧، ١٤٧

٩٢ - ديسون الألماني (١٨١٧) له كتاب الحياه والشرائع ١٠٢
٩٣ - ديفيد دي لويس / المستشرق الفرنسي (١٨٤٨ - ١٩٢٥) ١٤٧
٩٤ - ديكنز / المؤرخ الشهير ١٢١
٩٥ - راندولف تشرشل ١٤
٩٦ - رايموندا شارل ٥٧
٩٧ - الشاعر / رشيد سليم الخولي اللبناني .. ١٨٤
٩٨ - روجيه جارودي / الفيلسوف المسلم .. ١٥٥
٩٩ - روجيه دي باسكيه السويسري / كاتب صحفي كبير / اعتنق الإسلام وسمى نفسه "سيدي عبد الكريم" ٢١٣
١٠٠ - ريتشارد نيكسون الرئيس الأمريكي السابق ٦٢
١٠١ - رينان / مستشرق وأديب فرنسي ٣٩
١٠٢ - رينيه جينو / مستشرق فرنسي أعلن إسلامه تحت اسم "عبد الواحد يحيى" ١٩٣
١٠٣ - ريتيه ديكارت الفرنسي / مؤرخ وفيلسوف (١٥٩٧ / ١٦٥٠) ١٤٩
١٠٤ - رينيه غروسة / الفرنسي / مستشرق ومؤرخ وأديب فرنسي معروف ١٤٨
١٠٥ - راينهارات دوزي الهولندي / مستشرق هولندي (١٨٢٠ - ١٨٨٤) ١٧٦
١٠٦ - ريتين الأسباني / مستشرق أسباني ... ١٧١
١٠٧ - الدكتور زويمر الكندي ١٦٩
١٠٨ - د/ رودلف دتوراك الأسوجي / مستشرق أسوجي (١٨٥٢ - ١٩٢٠) أستاذ اللغات الشرقية / جامعة براغ / تشكوسلوفاكيا ١٨٢
١٠٩ - سان إليار الأسباني / أديب وبحاثة كبير ١٧٢
١١٠ - سالازر ١٧
١١١ - البحاثة/ ستانلي جيفونس / البريطاني / مستشرق بريطاني (١٨٤١ / ١٩٠٤) ١٢٤
١١٢ - ستنلي بول الأمريكي (١٨٨٠) مؤرخ كبير ١٦٣
١١٣ - سنكس الأمريكي / مستشرق أمريكي كبير (١٨٣١ - ١٨٨٣) وله كتاب ديانة العرب .١٦٤
١١٤ - سيدللو السويسري / ولد في كونتاي (١٨٨٧) مستشرق وله كتاب تاريخ العرب ... ١٦٦
١١٥ - سيديو / مؤرخ فرنسي كبير ٨٨
١١٦ - سيفتر دي ساسي / مؤرخ فرنسي (١٧٥٠م - ١٨٣٨) ١٥٠
١١٧ - شيلنجر / الفيلسوف الألماني الكبير . ١١٧
١١٨ - شلبي شميل اللبناني / الشاعر المعروف .١٨٦
١١٩ - صموئيل زويمر المستشرق الإنجليزي المتعصب الحاقد على الإسلام ١٠٢
١٢٠ - صموئيل مارغوليوث / الإنجليزي / مستشرق إنجليزي (١٨٦٨ / ١٩٤٠) عضو مجمع العلماء دمشق. وله مجهودات كبيرة في نشر حضارة وثقافة العرب ١٢٥
١٢١ - عبد المسيح أفندي / الوزير المصري / له كتاب كبير (محمد والحضارة) ١٩٢
١٢٢ - غاردنز / مستشرق حاقد على الإسلام .١٦
١٢٣ - غورو / الجنرال الفرنسي ١٤
١٢٤ - غوستاف لوبون / المستشرق الفرنسي الكبير والفيلسوف والمؤرخ علم فرنسا / صاحب كتاب حضارة العرب. ومن أبرز من دافع عن الإسلام والنبي ١٤٢
١٢٥ - غوستاف الأسوجي (١٧٤٦ / ١٧٩٢) مستشرق أسوجي كبير ١٨٣

١٢٦ - غوسطن كريستا الايفال / أحد رجال الفكر الإيطاليين (١٨٤٠ - ١٨٩٧) ١٧٧
١٢٧ - فارس الخولي اللبناني / شاعر كبير ... ٩٧
١٢٨ - فاند برج ١٩٨
١٢٩ - فونالبس / العلامة السويسري / مستشرق سويسري (١٧٩٣ - ١٨٦١) ١٦٧
١٣٠ - فلوتنبان الهولندي / مستشرق هولندي (١٨٠٧ - ١٨٧٩) ١٧٥
١٣١ - فولتير ٥٨
١٣٢ - فيليب فونداس ١٨
١٣٣ - قسطاكي الحمص - السوري (١٨٥٨ - ١٩١٤) عضو المجمع العلمي بدمشق ١٨٩
١٣٤ - كاترينا ممسين/باحثة ألمانية ... ١١٠، ١١١
١٣٥ - كارل ماركس الألماني(١٨١٧ - ١٨٨٣) من رجال الأدب والسياسة والفلسفة ومحرر المذهب الماركسي ١٠٧
١٣٦ - كارين أرمسترونج / الراهبة ١٣٠
١٣٧ - كازانوفا الأسوجي ١٨٢
١٣٨ - كازانوفا ٣٦
١٣٩ - كاتيان الإيطالي ١٠٧
١٤٠ - كريستينا جرايس / بعد إسلامها سُميت أميرة عبد الله ٦١
١٤١ - كليمان هوار / العلامة الفرنسي (١٨٥٤ - ١٩٢٧) وهو مستشرق أيضًا كبير .. ١٤٧
١٤٢ - كوسان دي برسفال الفرنسي ١٥١
١٤٣ - كوليت جونسون / مؤلف كتاب الجزائر الخارجة عن القانون/ وهو حاقد على الإسلام وأهله ٦٠
١٤٤ - لاتيس - المؤرخ الفرنسي الشهير (١٨٤٧ - ١٩٠٩م) ١٤٦
١٤٥ - لامارتين ٣٧
١٤٦ - لبيب الرياش / الأديب والشاعر اللبناني ١٨٥
١٤٧ - لورا فيكشيا فاليري الإيطالي (١٨٣٩ - ١٨٩٧) ١٧٦
١٤٨ - لوزن / العلامة الفرنسي وأستاذ علوم الفلك (١٧٨٦ - ١٨٣٧) ١٥٢
١٤٩ - العلامة / ليبيار الأسباني / مستشرق كبير (١٨٣٧ - ١٩٠٢) ١٦٩
١٥٠ - الدكتور / ليتنز الأمريكي ١٦١
١٥١ - القس / المتعصب / لبسيوس / حاقد على الإسلام ٧
١٥٢ - لين بول / العلامة البريطاني ومستشرق أيضًا (١٨٥٣ - ١٩١٧) ١٣٠
١٥٣ - ليون التاسع / بابا صقلية ٢٦
١٥٤ - ليون دوني الفرنسي / المستشرق (١٨٤٥ - ١٩٠٨) ١٥٥
١٥٥ - مارسيل بوازار / أستاذ جامعة سويسري ٢١١
١٥٦ - ماجلي باتشييه / الأستاذة بجامعة السوربون / أستاذة التاريخ العربي ٥١
١٥٧ - مارشال جونسون ٣٣
١٥٨ - ماركو دار الإنجليزي ١٢٣
١٥٩ - ماكس الأمريكي / مستشرق (١٧٩٥ - ١٨٦٨) ١٦٣
١٦٠ - ماكس سايكس الأسوجي (١٨٧٦ - ١٩٢٧) مستشرق ١٨٣
١٦١ - ماكس فان برشم السويسري / مستشرق (١٨٦٣ - ١٩٢١) وجال بلاد الشرق وله مؤلفات كثيرة ١٦٧

١٦٢ - ماكس ماير هوف الروسي/ مستشرق روسي كبير (١٨١٥ - ١٨٨٧) ١٧٣
١٦٣ - ماكس موللر الإنجليزي / المستشرق المعروف (١٧٩٠ - ١٨٦٥) ١٢٦
١٦٤ - مالكوم إليكس / أحد زعماء السود في أمريكا / مسلم ٦١
١٦٥ - مايكل هارت / عالم أمريكي معاصر / عالم فيزياء ٦٩
١٦٦ - محبوب الخوري الشرتوني / شاعر لبناني كبير ١٨٨
١٦٧ - مراد هوفمان / الفيلسوف المسلم الألماني الأصل المشهور ١٢١
١٦٨ - مرجليوث / مستشرق متعصب حاقد على الإسلام ٢٠٥
١٦٩ - موريس اندارا / مؤرخ فرنسي كبير (١٧٩٥ - ١٨٧٢) ١٥٣
١٧٠ - مونتجمري وات / رئيس قسم الدراسات العربية في جامعة أدنبرة ٢٠٥
١٧١ - موير الأيرلندي /المستشرق (١٨٠٨ - ١٨٦٧م) ١٨٠
١٧٢ - ميخائيل أماري الإيطالي / مستشرق إيطالي ١٧٧
١٧٣ - ميخائيل طعمة / الشاعر اللبناني والأديب ١٨٦
١٧٤ - ميسمر السويسري / المستشرق (١٨٢٧ / ١٨٩٨) مستشرق ١٦٦
١٧٥ - ميسمر الفرنسي المستشرق ١٤٥
١٧٦ - ميشون الألماني ١١٠
١٧٧ - نابليون بونابرت/ قائد الحملة الفرنسية الجنرال المعروف ٣٣
١٧٨ - نجيب أرمنازي المصري (١٨١٩ - ١٨٨٧م) ١٩٢
١٧٩ - نظمي لوقا / كتاب محمد والرسالة والرسول ٩٨
١٨٠ - نوبل كلسون / أستاذ القانون الدولي في جامعة لندن ٦٠
١٨١ - نور ثروب ٣٤
١٨٢ - الدكتور / نيس الأندونيسي/ أستاذ الديانة المسيحية ١٩٤
١٨٣ - هارون ماركوس الأمريكي / دكتور بالفلسفة ١٦٢
١٨٤ - هاملتون جب / المستشرق الإنجليزي ..... ٥٦، ٦٨
١٨٥ - هـ . ج / ولز ٣١
١٨٦ - هربرت سبنسر الإنجليزي / فيلسوف إنجليزي ١٢٤
١٨٧ - هربرت فيشر ٢١٠
١٨٨ - هربرت وايل الإيرلندي / المستشرق ١٨٠
١٨٩ - هربرت وايل السويسري ١٦٥
١٩٠ - هربرت ويلز ٥٢
١٩١ - الكونت/ هنري دي كاستري ٩١
١٩٢ - هوغارت المستشرق الأمريكي ٥٦
١٩٣ - د/ هوكنج أستاذ الفلسفة الأمريكي ٦٠
١٩٤ - هلبار بلاون العلامة / مستشرق بريطاني (١٨٤٧) مستشرق ١٢٥
١٩٥ - هيليار بلوك الفرنسي / كاتب فرنسي شهير والمؤرخ الكبير ١٥٠
١٩٦ - هيدلي / اللورد هيدلي ١٠٣
١٩٧ - العلامة / واشنطن إرونك / الأمريكي ١٦٢
١٩٨ - والفوردكانتول سميث / المستشرق الأمريكي المعروف ٥٩

١٩٩ - الدكتور / وايل الفرنسي / المستشرق المشهور (١٨١٨ - ١٨٨٩) ١٥١
٢٠٠ - العلامة / وث الهولندي / مستشرق (١٨١٤ - ١٨٩٩) ١٧٥
٢٠١ - الدكتور/ وغسطون كرستا / الإيطالي (١٨٤٠ - ١٨٩٧) مستشرق ٩١
٢٠٢ - السير / وليام ميو الإنجليزي ١٢٢
٢٠٣ - وليام سوبر ٤٣
٢٠٤ - ويجوفار ٧
٢٠٥ - وليم موير ..... ٣٦، ٨٧، ١٢٢
٢٠٦ - الدكتور / ويغان مكسيم / الفرنسي المستشرق ١٤٩
٢٠٧ - الدكتور / ويلسن اليوغسلافي / ولد في مدينة زارا (١٨١٥ - ١٨٨٧) ١٨٤
٢٠٨ - لابلابس . الفرنسي / من مشاهير علماء الفلك ١٤٨
٢٠٩ - يرنيه مبليه ٥٥
٢١٠ - د / يرسو ٣٤

* * *

المحتويات

المقدمة ٣

الباب الأول: المكائد الصليبية والدولية على العالم الإسلامي ٧

الفصل الأول ١٣

الفصل الثاني ٢٠

مبحث نموذج لكذب أحد بابوات الفاتيكان . ٢٤

الفصل الثالث ٢٨

المبحث الأول القرآن العظيم حجة دامغة .. ٢٩

المبحث الثاني: محمد النبي العظيم ﷺ بأقلام وألسنة علماء الغرب ٣٥

المبحث الثالث عالمية الإسلام وشموليته .. ٤٤

المبحث الرابع دين الوسطية والاعتدال ... ٤٨

المبحث الخامس دين الفطرة العقل والإقناع . ٥٢

المبحث السادس دين الحضارة والعلم ورفع شأنهما ٥٥

المبحث السابع دين المستقبل والذي سينقذ البشرية ٥٩

الخاتمة ٦٤

الباب الثاني: وهل يخفى القمر؟!! ٦٦

الفضل ما شهدت به الأعداء ١٢٩

يا له من دين أتى به محمد ﷺ ٢٠٥

صفاء العقيدة الإسلامية وقوتها ٢٠٨

الإسلام دين التقدم والحضارة وهو دين المستقبل ٢١٠

الباب الثالث: نظم الجهاد والحرب في الإسلام ٢١٦

أولاً: نظم الجهاد والحرب في الإسلام ... ٢١٧

تمهيد ٢١٧

أولاً: شريعة الجهاد والحرب في الإسلام من أسمى مظاهر الرحمة والعدل ٢١٧

ثانياً: حتمية الصراع بين الخير والشر، وسنة التدافع في الأرض ٢١٨

ثالثاً: الأنبياء والحروب ٢١٩

رابعاً: حروب النبي محمد أمثل النماذج لحروب الرحمة والفضيلة ٢٢٠

الفصل الأول الباعث على الحرب في الإسلام ٢٢٣

الفصل الثاني الضابط الشرعي في علاقة المسلم بغير المسلم ٢٢٧

النموذج (ب): اليهود ٢٢٨

النموذج (ج): النصارى ٢٢٨

الفصل الثالث شريعة الجهاد قبل المعركة .. ٢٢٩

الفصل الرابع شريعة الجهاد في الإسلام أثناء المعركة ٢٣٢

الفصل الخامس حقائق ثابتة وظاهرة كنور الشمس في حرب الإسلام ٢٣٦

تمهيد ٢٣٦

المبحث الأول ما يحل وما لا يحل في القتال . ٢٣٦

المبحث الثاني: احترام الإنسان والإنسانية وإن كان عدواً ٢٣٩

النموذج الأول: الأسرى ٢٤٠

النموذج الثاني: رعايا الأعداء وأموالهم ... ٢٤٣

الخاتمة ٢٤٧

فهرست بالمنصفين للإسلام في الغرب .. ٢٤٩

* * *